جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية
http://www.zdnyilma.com/vb/

# هذه دعوتنا

إلى كل مسلم ومسلمة

للعمل بالكتاب والسنة

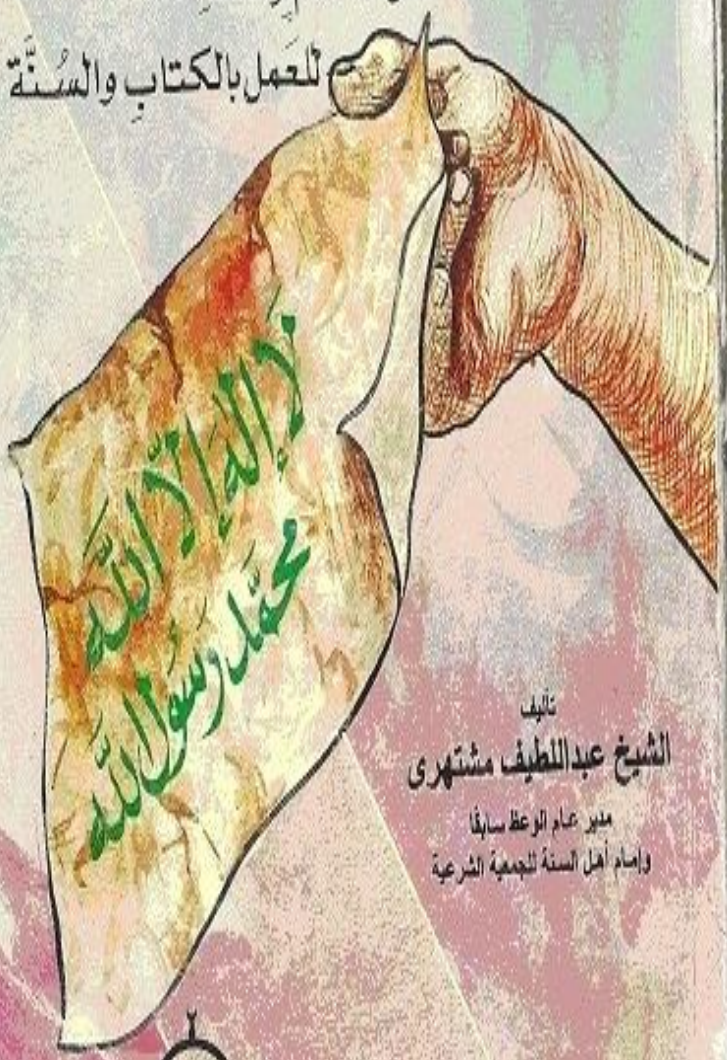


تأليف
الشيخ عبداللطيف مشتهرى
مدير عام الوعظ سابقا
وإمام أهل السنة للجمعية الشرعية

دار الروضة
نشر وتوزيع

المؤلف
الشيخ عبد اللطيف مشتهرى

## هذا الكتاب

فيه منهاج سديد لتوجيه المسلمين إلى فهم دينهم الحنيف ، وتصحيح المفاهيم الخاطئة ، والأخذ بزمام العقول الشاردة عن منهج دعوة الحق ، لكي يعبد الناس ربهم كما أمر ، اتباعا لرسوله ( صلى الله عليه وسلم ) كما هدى .

ففى الكتاب تحذير المسلمين من الابتداع ، ودعوتهم إلى الاتباع ، مع ذكر نماذج عملية تطبيقية فى الاتباع .

وفيه أيضا إفصاح عن معنى السنة وأقسامها ، والبدعة وأقسامها ، مع بيان شاف وافٍ مدعم بالأدلة عن بدع المساجد ، والأذان ، وبدع الجمعة ، وصلاة الجماعة ، وصلاة المنفرد ، وما طرأ على الصلاة من البدع ، وكذلك بدع الصوم ، الزكاة والحج ، وبدع الأعياد والعادات ، وما يقع فى المقابر ، والجنائز والمآتم ، والأفراح ، وغير ذلك مما وقع فيه عامة المسلمين وخاصتهم ، فأفسد عليهم عباداتهم ومعاملاتهم ، وإن شئت قل حياتهم .

ومن ثم صحح الكتاب مفاهيم المسلمين ، ووضع أيديهم على سنة رسولهم الكريم ( صلى الله عليه وسلم ) ، فوضع البدعة ثم بيان السنة يكشف حقيقة الخطأ والخطر الذى يعيش عليه كثير من الناس ، وفى ذلك امتثال لأمر الله ( عز وجل ) فى قوله : « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » .

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية

http://www.zdnvilma.com/vb/

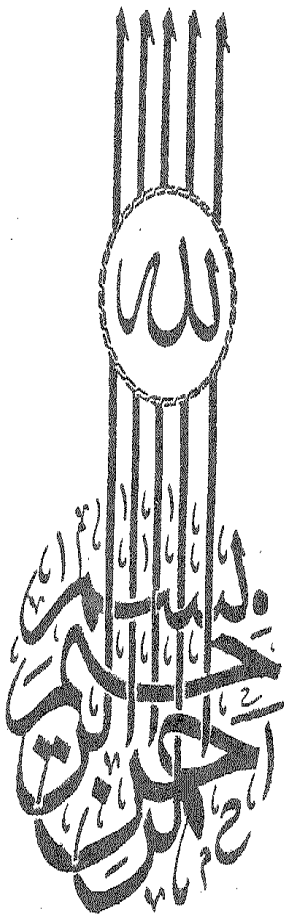

دار الروضة
للنشر والتوزيع
القاهرة : ص.ب ٢٢٢٧
يطلب من
مركز توزيع الكتاب الإسلامي
٢ درب الأتراك خلف جامع الأزهر
ت ٥١٢٣٦١١

نافذتك على الفكر الإسلامي
العربي والعالمي بما تقدمه لك
من روائع الكتب التي تجمع بين
الأصالة والمعاصرة في مختلف المجالات

يديرها ويشرف عليها سامي الطزاوي

جميع الحقوق محفوظة للناشر

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية
http://www.zdnyilma.com/vb/

# من نصائح النبوة

## المحجة البيضاء

« ما تركت شيئاً يقربكم من الله إلا أمرتكم به ، ولا شيئاً يبعدكم عن الله إلا نهيتكم عنه حتى تركتكم على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك » .

( رواه الطبراني )

## وتحسبونه هينا

« إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، ومثل ذلك كمثل قوم كانوا في سفر فأرادوا أن يستدفئوا وينضجوا طعامهم فجمع هذا عوداً وهذا عوداً حتى صار ما جمعوه حطباً كثيراً أججوا منه ناراً عظيمة » .

( رواه أحمد وغيره )

# مقدمة

لله تعالى وحده الحمد والملك والأمر ، وعلى رسوله محمد صلوات الله وسلامه وآله وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وآلهم وأصحابهم أجمعين .

أما بعد ..

فلما كانت المادتان ( السنن والبدع ) من الأهمية في الإسلام بمكان ، لأنهما يمثلان ( سبيل الرحمن ، وسبيل الشيطان ) . وقد صارت عقائد معظم الناس وعباداتهم وسلوكهم وأخلاقهم تنبذ كثيراً سبيل الرحمن ، إما جهالة وإما ضلالة ، وتتبع غير سبيل المؤمنين ، سائرة مع حزب الشيطان ، غلب عليها التقليد أو المواريث المنحرفة أو بيئة النشأة والمعاشرة ، وقد يرسخ هذا عندها ويزكيه كتم العلماء للجهر بالحق أو فساد الحكام وانشغالهم بعيداً عن الدين صحيحه وفاسده ، فاختلط الحابل بالنابل ، وكنا ولا نزال نسمع من المعوقين : انتظروا علينا حتى ننتهي من معاركنا الكبرى ثم نتفرغ للسنن والبدع والدين ، كأنهم يتخيلون أن الله يمدهم بالنصر والرخاء ثمناً لبدعهم وفسقهم وتعطيلهم لحدود الله وتطبيق شرعه ، مع أن العكس هو الصحيح ، فما عند الله لا يطلب بمعصيته ، وظنوا السنن والبدع من توافه الأمور ، فاستهانوا بها وبالمنادين بالانتباه إليها حتى فتن الشباب ( وهل حق له أن يفتن ؟ ويا حسرة عليه ) إذ حضر على علماء ما عرفوه دين الله السليم ، بل عموا له الكلام في الأخلاقيات دون الأحكام ودون سليم المعتقدات والعبادات ، وانضم إلى سكوت العلماء وسلبيتهم فساد في أجهزة التربية والتعليم والإعلام ، وهي بيد الهيئة المسئولة التي تملك أن تقول وتفعل وتحمل الناس على ما أرادت لو صدقت الله وصلحت النية

وأراد الله بها وبشعبها خيراً ، فاجتمع على الشعب بذلك بلاءان : بلاء الهيئة التشريعية الوارثة للرسالة والمكلفة بالإبلاغ الصحيح فكتمت ، وبلاء الهيئة الحاكمة القادرة المنصرفة عن الدين بما شغلها الشيطان به من مصائب سياسية واقتصادية وغيرها .

أقول لما كان ذلك كذلك ، وكثر عليَّ إلحاح الشباب الحائر والجماهير أن أنير لهم الطريق ولو فى الضروريات التى لا يسع مسلماً الجهل بها ، وضعت هذه الوريقات العاجلة لإسعاف الطالبين بمعرفة أمور دينهم بما يرشدهم إلى أمثلة من المطلوب وأمثلة من المحظور ، ولم أرد بها استيعاب البلاء المحيط بنا ، فهو يحتاج إلى مجلدات ، وإثمه على من سنه أو سكت عليه وهو على إزالته قادر ، ومن نعم الله علينا أن حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، وجعلنا من الراشدين ، وجعلنا ممن يحذر من الوقوع فى الصغائر ، فضلا عن الكبائر ، فعظم النار من مستصغر الشرر ، وإنما ينحل هذا الدين عروة عروة ، والشيطان من وسائله فى الغواية ، إنه يأخذ المرء إلى الشر والمعصية خطوة خطوة يهون عليه الصغائر ليوقعه فى الكبائر « يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان »[1] .

ومن هنا كانت النوافل والسنن والآداب سياجاً وحمى للفرائض وكان الحرص عليها من عوامل يأس الشيطان من صاحبها أن يوقعه فى عظائم المخالفات ، كما أن التهاون فى غشيان المكروه وإدامته من عوامل التدرج إلى السقوط فى المحرمات « وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم »[2] .

ولهذا وتحت الضغط الشديد والملح أسرعت بوضع هذه النصائح هدى وذكرى لأولى الألباب . والله الهادى والمستعان .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٨ (٢) سورة النور ، الآية ١٥

تلك زهرات يسيرة من رياض هذا الكتاب المعم بالزروع والثمار ، والورود والرياحين ، والجداول والأنهار ، مما لا يسع مسلماً جهله ، مما بنينا عليه عقيدتنا وعباداتنا ، وأخلاقنا وسلوكنا ، ومعاملاتنا وعلاقاتنا ، ودعوتنا وأهدافنا ، عليها نحيا ، وعليها نموت ، وفى سبيلها نجاهد ، وعليها نلقى الله إن شاء الله .

« وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

عبد اللطيف مشتهرى

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية

http://www.zdnyilma.com/vb/

# نصوص من القرآن الكريم

## فى وجوب الاتباع والتحذير من الابتداع

قال تعالى :

١ ــ « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم »[١] : علق الله فى هذه الآية محبته سبحانه على اتباع النبى صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى يحب أهل الاتباع ويغفر لهم ذنوبهم .

ــ ويفهم من هذه الآية أن من ادعى محبة الله من غير اتباع فهو كاذب ولن يغفر الله له .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع

لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

٢ ــ « وإن تطيعوه تهتدوا »[٢] : اشترط الله على من أراد الهداية إلى طريق الخير أن يطيع النبى فى كل ما جاء به من أمور الدين .

٣ ــ قال تعالى : « واتبعوه لعلكم تهتدون »[٣] .

تفيد الآيتان أن الله اشترط للهداية والنجاح فى الدنيا وإلى طريق النعيم فى الآخرة ، أن يسمع المؤمن ويطيع لكل أوامر الدين ، وأن يسير وراء نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فى كل تعاليمه .

٤ ــ قال تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »[٤]: هذه الآية من أشد الآيات وأعنفها ضد المخالفين لأوامر خاتم النبيين ، يهددهم الله فيها بمصيبتين :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣١ (٢) سورة النور ، الآية ٥٤

(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٨ (٤) سورة النور ، الآية ٦٣

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية
http://www.zdnyilma.com/vb/



١ ـ الفتنة .  ٢ ـ العذاب الأليم .

أما الفتنة : فقيل إنها الموت على غير الإسلام ، فيختم له بأسوأ خاتمة ، وقد يفتن فى ماله وعياله وزوجته وعمله وسمعته ، فيصاب فى هذا كله أو بعضه .

أما العذاب الأليم : فمن الممكن أن يكون فى الدنيا كالمرض له أو لذويه أو ضياع الأموال أو الموت أو شماتة الأعداء أو عذاب النار فى الآخرة بعد سوء الحساب ، والمراد بقوله تعالى : « عن أمره » فى الآية : سنته وهديه ، سواء كان قولا أو عملا أو حالا ، أمر أكان أو نهياً أو تحذيراً بأى أسلوب أو ترغيباً بأى صفة ، أما الأمر فى قوله تعالى : « قل إن الأمر كله لله »[1] . فمعناه التدبير والتشريع لله وحده .

٥ ـ قال تعالى : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله »[2] .

والمعنى أن الله لم يرسل رسوله عبثاً وإنما أرسله ليدل عباد الله على طريقه « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم * صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض »[3] .

والآية صريحة فى مهمة رسول الله وحكمة الله فى إرساله .

ومعناها أننا لم نبعثه إليكم إلا من أجل أن يحمل لكم مصباح النور ليضيء لكم سبيل الله ، فليست الطاعة منكم له هو وإنما هى لمن أرسله « وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً »[4] .

٦ ـ وقال : « وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى »[5] .

والآية قاطعة فى تقرير عصمته صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن ربه ،

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٤  (٢) سورة النساء ، الآية ٦٤
(٣) سورة الشورى ، الآيتان ٥٢ و ٥٣  (٤) سورة الأحزاب ، الآية ٤٦
(٥) سورة النجم ، الآيتان ٣ و ٤



فهو لا ينطق فى شىء منه صادراً عن هوى أو غرض شخصى أو عصبية أو حمية ، إلى آخر هذه الأهداف الفاسدة الكامنة فى القلوب المريضة ، وإنما كل نطقه فى رسالة ربه صادر عن الوحى ، فهو المبلغ عن الله والفاهم لمراد الله من شرعه وعباده ، فليس لمخلوق كائناً من كان أن يظن به السوء ، حاشاه فى أى نص ثبت عنه ، سواء منا من فهم الحكمة ومن جهلها ، وكما عصم الله لسانه عن نطق الباطل عصم عقله وقلبه عن الضلال والغواية ، وعصم بصره عن الزيغ والتجاوز للحق ، وعصم فؤاده عن الشك والريبة ، وعصم علمه عن الخلط والخرافات ، فقد علمه شديد القوى ذو مرة .

لهذا تحتم على كل من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً أن يتخذ من هذا الرسول قدوة كاملة وأسوة كلها إجلال وإكبار لمن علمه الله ما لم يعلم ، وكان فضل الله عليه عظيماً .

٧ ـ وقال : « هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، وإن الله بكم لرؤوف رحيم »[1] : استلزمت رحمة الله أن ينزل القرآن على خير الأنام لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية فى الكفر والشرك والهمجية إلى أنوار الإيمان والتوحيد والنظام ، رحمة من الله وحناناً .

٨ ـ وقال : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً »[2] .

والمعنى أن كل من يتمرد على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه بعد أن قامت عليه الحجة ، ويسلك فى عمله غير سبيل الجماعة ، وهى ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه ، يحدث له من الفتن

(١) سورة الحديد ، الآية ٩  (٢) سورة النساء ، الآية ١١٥

والآلام ما لا يعلم بشاعته إلا الله فيكله الله إلى من جعلهم قدوة له ثم يصب عليه بأس الدنيا وعذاب الآخرة ، ومعنى « يكله » أى يتركه لهم ولا يلهمه الرشد . ولفظ « يشاقق » مشتق من كلمة الانشقاق ، أى أنهم صاروا بالبدعة والتمرد فى جانب والله فى جانب ..

٩ ـ وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب »[1].

والمعنى : ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وجب علينا قبوله وأداؤه ، وما حذرنا منه وجب علينا تركه . ويستفاد من الآية أن ما شرع الرسول لنا هو من تشريع الله نفسه ، إلا أن الفرق بين الأوامر والنواهى أن الأوامر الشرعية يؤديها المسلم حسب استطاعته دون إهمال أو حرج ، أما النواهى الشرعية فيجب تركها كلها دون استثناء أو اعتذار بعدم الاستطاعة . وفى الحديث الصحيح : ( إذا أمرتكم بشىء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شىء فدعوه كله )[2] ، لأن الأوامر فعل إيجابى يخضع لاستطاعة المسلم ، وأما النواهى فهى أمر سلبى من السهل تركه كله .

فمثلا : فرض الله على من يريد الصلاة أن يتطهر وأن يؤديها بالقيام مستقبلا القبلة بشروط صحتها المعروفة ، ولكن من عجز عن الطهارة لمرضه أو لفقد الماء فعليه أن يتيمم بدل الوضوء أو الغسل ، وإذا عجز عن معرفة القبلة اجتهد وصلى ولا إعادة عليه ، ومن عجز عن التيمم صلى فاقد الطهورين وصلاته صحيحة ، ومن عجز عن القيام فى القراءة أو عجز عن الركوع أو السجود لمرض ، يصلى حسب الاستطاعة ، والله يتقبل منه .

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٧

(٢) متفق عليه . والحديث بتمامه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( دعونى ما تركتكم ، إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، إذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ) .



والمرأة الحامل إذا عجزت عن السجود فلها أن تسجد على شىء مرتفع أمامها حسب استطاعتها ، تستقر عليه جبهتها .

وفى الحديث : أن عمران بن حصين كان مريضاً بالنزيف ـ ولعلها البواسير ـ فسأل النبى صلى الله عليه وسلم كيف يصلى ؟ فقال له : يا عمران ، صل قائماً ، فإن لم تستطع فقاعداً ، فإن لم تستطع فمستلقياً ، فإن لم تستطع فعلى جنب[1] ، فإن لم تستطع فموميا ( أى محرك الرأس ) « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها » . والحديث صريح فى شرح النصوص السابقة من أداء الأوامر حسب القدرة .

أما المنهيات فكقوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا »[2] . وقوله : « لا تأكلوا الربا »[3] . فهنا يجب ترك الزنا بكل أنواعه : نظر ولمس وقبلة وجماع . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقاً لهذا : ( العينان تزنيان وزناهما النظر والأذن تزنى وزناها الاستماع ، واليد تزنى وزناها اللمس ، والقلب يزنى وزناه التمنى ، والفم يزنى وزناه القبلة ، والرجل تزنى وزناها السعى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه )[4] . وكل أنواع الزنا السابقة على الجماع من المحرمات الصغائر . والجماع من الكبائر ، ويغفر الله الصغائر بالتوبة وعدم الإصرار عليها وعمل الحسنات « إن الحسنات يذهبن السيئات »[5] .

ويجب أن يعلم أن من شروط التوبة المقبولة :

( ١ ) الندم على ما فات .

( ٢ ) العزم على ألا يعود إلى الذنب .

( ٣ ) الإقلاع عن الذنب .

---

(١) رواه البخارى .

(٢) سورة الإسراء ، الآية ٣٢

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٣٠

(٤) الحديث بتمامه متفق عليه ورواية البخارى له مختصرة .

(٥) سورة هود ، الآية ١١٤

(٤) رد الحقوق لأربابها إن استطاع ، والاستغفار لهم كثيراً ، فلا يصح لمسلم بعد نهى الله وتحذير نبيه أن يقول إننى لا أستطيع التخلى عن النظر أو اللمس أو القبلة ، فهذا كله حرام ، كما لا يصح أن يقول : سأتعاطى من الربا الشىء القليل أو من الظلم الأمر اليسير ، فكل هذا ممنوع .

وأما إباحة الإسلام أكل الميتة عند الاضطرار وإطفاء الحريق بالخمر أو إزالة الغصة المفضية إلى الموت ولا يوجد مزيل لها سواها ، فكل ذلك من باب (الضرورات تبيح المحظورات) ومن باب (ارتكاب أخف الضررين) ؛ وهى قواعد أصولية اتفق عليها السلف والخلف ، قال تعالى: « فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم »[1] .

١٠ – وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

أهمية الآية :

(١) أنها آخر آية نزلت من القرآن على رأى ، فهى أقرب القرآن عهداً بأم الكتاب « وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلىٌّ حكيم »[2] .

(٢) نزلت فى حجة الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم ساعة نزولها على ناقته القصواء وبطنها إلى جبل الرحمة عند الصخرات السود على عرفات يوم التاسع من ذى الحجة سنة ١٠ هـ ، وهى الحجة الوحيدة التى حجها النبى صلى الله عليه وسلم بعد الإسلام ، وقبلها بعام حج الصديق بالناس ، وأعلن علىّ يومها أن لا يطوف بالبيت بعد هذا العام مشرك ولا عريان ، وأن الجنة لا يدخلها إلا مؤمن ، وأن العهود مع الرسول محفوظة إلى مدتها ، فلما صفا الجو للحجة الكبرى وخلا جو الكعبة من الشرك والأصنام والعرايا حج النبى فى العام العاشر وودع أصحابه على الجبل (اسمعوا منى أبين لكم

(١) سورة المائدة ، الآية ٣ (٢) سورة الزخرف ، الآية ٤



لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بموقفى هذا) . ولم يعش بعدها إلا بضعة أشهر ، ثم لحق بالرفيق الأعلى فى ربيع الأول سنة ١١ هـ ، صلى الله عليه وسلم .

(٣) الآية قررت أن الله أكمل الدين فقط ولم تتعرض للدنيا ، لأن الكمال فيها سيستمر إلى أن تأخذ الأرض زينتها وزخرفها ويظن أهلها أنهم قادرون عليها ، فكل يوم سنسمع عن اختراعات وابتكارات فى كل المرافق الخاصة بالدنيا ، منها ما هو خير ، ومنها ما هو ضلال ، أما الدين فقد أكمله الله قبل وفاة نبيه صلى الله عليه وسلم قولا وعملا ، توحيداً وعبادة ومعاملات ومناهج وارتباطات ، فلا يصح لكائن من كان أن يزيد فى الدين أو ينقص أو يعدل ولو بحرف واحد ، قال مالك رضى الله عنه : (من استحسن فى الدين شيئاً لم يكن فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة ، لأن ما لم يكن فى عهده ديناً فليس اليوم بدين) ، فمن حق الناس أن يعدلوا فى شئون دنياهم حسب مصالحهم فى إطار « لا تظلمون ولا تظلمون »[1] .

والإسلام وإن كان قد ترك الناس أحراراً فى دنياهم إلا أنه وضع لهم بعض الأوامر والنواهى والحدود التى تجلت لهم المصلحة وترفع عنهم المضرة ، فأحل البيع بكل أنواعه ما عدا النجس والخنزير والخمر مثلا ، وأباح كل الطعام والشراب ما عدا ما حرمه مثل الميتة والدم وما ذبح وذكر اسم غير الله عليه مثلا ، ومع إباحته للملابس التى لا تزيد عن الكعبين فإنه حرم الذهب والحرير على الذكور وأباحهما للإناث . وفى الأثر : (كل ما شئت والبس ما شئت ما تركت اثنتين : الإسراف والمخيلة) .

١١ – « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله »[2] .

والآية تقرر فى وضوح أن من قبل حكماً فى الدين لم يوجد له دليل

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٧٩ (٢) سورة الشورى ، الآية ٢١

من الكتاب والسنة ، أو سن للناس حكماً فى الدين لم يوجد له دليل فى الكتاب أو السنة أو دعا الناس إليه ، فقد ادعى أن لله شريكاً يشرع معه للناس أمر دينهم . أو هكذا لسان حاله .

١٢ ـ « وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »[1] .

وصدر الآية أمر بالاتباع ، ونهايتها تحذير من الابتداع ، وقد فسرها النبى صلى الله عليه وسلم بأن خط أمامه خطاً مستقيماً وبجواره خطوطاً معوجة ، ثم تلا هذه الآية وقال : على كل خط من هذه الخطوط المعوجة شيطان يدعو إليه ..

١٣ ـ « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء »[2] .

فرقوا دينهم ، أى جعلوا بعضه حلالا ، وبعضه حراماً ، وبعضه بدعاً ، وبعضه سنناً ، حسب أهوائهم لا حسب الشرع الوارد ، وكانوا شيعاً ، أى فرقاً وأحزاباً ومذاهب ، كل يتعصب لرأيه ، معانداً للدليل ، لينصر هواه على شرع الله ، ويضم إلى هذه الآية الحديث الصحيح : ( إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا الجماعة[3] . قالوا : وما هى الجماعة يا رسول الله ؟ قال : ما أنا عليه اليوم وأصحابى ..

١٤ ـ « وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله »[4] .

والآية تحتم على كل مسلم اختلف مع غيره فى حكم شرعى أن يرجعوا فى الحكم فيه إلى الكتاب والسنة لا إلى مذاهبهم وأمزجتهم ..

١٥ ـ « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ (٢) سورة الأنعام ، الآية ١٥٩

(٢) رواه أبو داود وغيره من أصحاب السنن .

(٤) سورة الشورى ، الآية ١٠



منكم ، فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر »[1] .

والآية تفرض على كل مؤمن أن يخضع فى أحكام دينه ودنياه لله فى كتابه وللرسول فى سنته الصحيحة ، فإن لم يوجد للحكم دليل لا فى الكتاب ولا فى السنة رجعنا إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين وما أجمعوا عليه أو ما اتفقت عليه القواعد العامة فى الإسلام ، وهو منطوق الحديث : ( عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار )[2] .

والمراد بأولى الأمر فى الآية من كانوا منا ملتزمين بأحكام الله فى الأخذ والترك ، أما إذا كان الحاكم أو المسئول لا يلتزم بأحكام الله فيترك ما أمر الله ويرتكب ما نهى ويقر المنكرات فى شعبه ، فهنا لا تنطبق عليه أحكام هذه الآية ، فإنه ( لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق إنما الطاعة فى المعروف ) ، ولكن يجب على كل مؤمن أن يطبق هذا القانون الإلهى فى حدود الحكمة ، مع البعد عن الفتن وإثارة الجماهير ، بعداً عن سوء العواقب لدين الناس ودنياهم . ولقد قال عمرو بن العاص : ( إمام غشوم خير من فتنة تدول ) ، والجهاد فى حدود الطاقة والمصلحة .

١٦ ـ « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً »[3] .

تتضمن هذه الآية النفى القاطع المصحوب بالقسم المعظم بذات الله

(١) سورة النساء ، الآية ٥٩

(١) رواه أبو داود والترمذى .

(٣) سورة النساء ، الآية ٦٥

وربوبيته المضافة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشريفاً له بأن أى إنسان مهما كان لا يمنح لقب الإيمان بالله إلا إذا رضى بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم فى أى خلاف يحدث بينه وبين غيره فى أى موضوع دينى أو دنيوى، ولا بد من الرضا بحكم الرسول حياً بذاته وبعد وفاته ، رضاً بهديه وسنته ، ولا بد من التسليم الكامل بهذا الحكم دون حرج فى الصدر .

وسبب نزول هذه الآية أن الزبير بن العوام رضى الله عنه اختصم مع حاطب بن أبى بلتعة الأنصارى فى سقى الأرض ، فتحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : اسق يا زبير ثم اترك لجارك . فرد حاطب قائلا : حكمت له لأنه ابن عمتك . فقال صلى الله عليه وسلم : ( اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر ) — كان صلى الله عليه وسلم قد عامل حاطباً بطريق الإحسان ، فلما قال ما قال عامله بطريق العدل ..

— وقيل : نزلت هذه الآية فى شخصين تحاكما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقضى لأحدهما ، فلما خرجا من عنده قال المحكوم عليه : سنتحاكم إلى ( أبى بكر ) ، فحكم الصديق كحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون أن يعلم بالحكم الأول ، فلما خرجا من عنده قال المحكوم عليه : سنتحاكم إلى عمر ، فسأل عمر : هل ذهبتم إلى أحد من قبلى ، فقال المحكوم له : ذهبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسد وإلى أبى بكر فحكما لى ولكن صاحبى لم يرض ، فقال عمر رضى الله عنه : اصبرا حتى أخرج إليكما بحكم الله ، فاخترط سيفه وقطع به عنق المنافق وقال : هذا حكم من لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذهب الناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحكون له ما حدث ، فنزلت هذه الآية الكريمة[1] ..

(١) أخرج القصة ابن أبى حاتم .



= والآية وإن كان لها سبب نزول ( فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ) .

١٧ - « من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً »[1] ..

اعتبر الله عز وجل طاعة الرسول فى كل ما يبلغه عن الله طاعة لله نفسه ، وهذا تقرير من الله يرد به على من يرد الأحاديث الصحيحة الصريحة ويطلب على كل حكم آية من القرآن ، فيجب أن يعتبر أن السنة الصحيحة مكملة للقرآن مفسرة له ، وهى مع القرآن أشبه بالقوانين مع الدساتير . والأدلة المعتبرة هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس . وقد نبأ الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من الناس الذى يشكك فى الأحاديث ويطالب بأدلة من القرآن فى كل حكم ، فقال صلى الله عليه وسلم : ( يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يأتيه الأمر من أمرى فيقول ما نجد هذا فى كتاب الله ، ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معه )[2] ، قال تعالى فى هذا الموضوع : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم »[3] ، وقال : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[4] .

١٨ — « والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحى يوحى »[5] .. الآيات ، ويؤخذ من هذه الآيات علاوة على ما سبق فى رقم ( ٦ ) هذه العبر :

( ١ ) كأن الله يقول : لو فرض سقوط النجم ومحو نوره فإن محمداً صلى الله عليه وسلم لن يمحى نوره ولن يضيع دينه حتى يظهره الله على الأديان كلها .

(١) سورة النساء ، الآية ٨٠ (٢) المستدرك . (٣) سورة النحل ، الآية ٤٤
(٤) سورة الحشر ، الآية ٧ (٥) سورة النجم ، الآيات من ١ - ٤

(ب) عصم الله عقله عن الضلال ، وعصم قلبه عن الغى ( ضد الرشد ) ، وعصم علمه عن الجهالة ، وعصم بصره عن الزيغ ، وعصم فؤاده عن الكذب والتكذيب كما قررنا سابقاً ، فكأن الله يخبرنا عن منزلة الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قطعة من الإخلاص المحضة ، وحقاً لقد كان خلقه القرآن .

(ح) معنى الهوى : الأغراض الخاصة بالنفس التى لا يراد فيها إلا المنافع الشخصية ولو كانت شيطانية ، والرسول منزه عن هذه الأغراض ، فما ينطق بأية كلمة عن هوى شخصى أو عصبية أو حمق أو اندفاع ، حتى سأله عمرو بن العاص قائلا : يا رسول الله ، إنك تغضب أحياناً فهل نكتب عنك أثناء الغضب ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : ( اكتب فوالله ما خرج منه إلا الحق ، وأشار إلى فمه ) ، وبلغ من شدة عناية الله به ورحمته هو بالأمة أن دعا الله وقال : ( اللهم إنى بشر أغضب كما يغضب سائر البشر ، فأيما رجل من أمتى سببته أو شتمته أو لعنته فاجعل لعنتى عليه رحمة منك وحناناً ) .

١٩ - « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »[1] .

- والآية تقرر أن رسول الله كان ولا يزال قدوة لأمته ، بل للبشرية جمعاء فى أقواله وأفعاله وأحواله ، لأنه ما دام الله قد عصمه عن الهوى فقد أصبح هو ممثلا خير تمثيل لدين الله فى الأرض ، سواء كانت هذه الأسوة فى العقيدة أو فى العبادة أو فى المعاملة أو فى الأحوال العادية ما عدا خصوصياته ..

٢٠ - « قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم »[2] .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢١ (٢) سورة النور ، الآية ٥٤



تفيد الآية أن المسئولية فى الإسلام ذاتية فردية « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه »[1] - « ولا تزر وازرة وزر أخرى »[2] ، فلو فرض أن العالم كله أعرض عن طريق الدين السليم فليست هذه بحجة يحتج بها من يريد أن يلقى الله سليما « لا يضركم من ضل إذا اهتديتم » - « لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث »[3] . وفى الأثر عن ابن مسعود : ( عليك بطريق الصالحين ، ولا يغرك قلة السالكين ، واحذر طريق الضلال ، ولا يغرك كثرة الهالكين ) . فمهما ضلت الحكومات والشعوب فعلى المسلم أن يختار طريق الكتاب والسنة بعيداً عن أهواء غيره .

٢١ - « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين »[4] .

والآية تفيد منتهى التهديد العنيف لأعظم شخصية فى الوجود ، والمراد حقيقة بهذا هو غيره ، لأنه من أتى بأية زيادة أو نقص أو تعديل أو تبديل فى الدين فسوف يتعرض لعقوبة الله الشديدة . والأخذ باليمين وقطع الوتين معناه إعدامه بعد وثاقه . ويدخل فى هذا ما حكاه الله عن بنى إسرائيل أنه أمرهم أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا حطة ، ولكن نظراً لما جبلوا عليه من التمرد على أحكام الله ورسوله ، فبدلا من أن يدخلوا ساجدين دخلوا زاحفين ، وبدل أن يقولوا حطة قالوا حنطة ، ويلاحظ أن كلمة حنطة تساوى فى حروفها المنطوقة كلمة حطة ، إلا أنه قد أبدلت إحدى الطائين بنون ، فاعتبر الله هذا الحرف المبدل تغييراً فى دينه يستوجب العذاب العاجل ويستوجب وصف أصحابه بالفسق ، قال تعالى : « فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون »[5] .

(١) سورة الإسراء ، الآية ١٣ (٢) سورة الأنعام ، الآية ١٦٤
(٣) سورة المائدة ، الآية ١٠٠
(٤) سورة الحاقة ، الآيات ٤٤ - ٤٧ (٥) سورة البقرة ، الآية ٥٩

## نصوص من الأحاديث والآثار

### فى وجوب التمسك بالسنة

١ – ( إنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وابن حبان عن العرباض بن سارية .

٢ – ( إن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم ، فتمسكوا به ، فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبداً ) رواه الطبرانى . فالرسول صلى الله عليه وسلم يشبه القرآن الكريم الواصل إلينا منه تعالى بحبل النجاة ، وما أشبهه بقارب الإنقاذ فى بحار ومحيطات الهلاك ( والدنيا بحر عميق وقد غرق فيه أناس كثيرون ) كما قال لقمان . فهذا القرآن هو سفينة النجاة ..

٣ – ( من أكل طيباً وعمل فى سنة وأمن الناس بوائقه « أى شروره » دخل الجنة ) رواه ابن أبى الدنيا والحاكم بسند صحيح .. فها هو رسول الله يجعل فى جملة شروط دخول الجنة أن يعمل المؤمن فى سنة ، ومعناه أن يكون سلوكه طبقاً لأوامر الدين فى الكتاب والسنة بعيداً عن التقليد الأعمى والأهواء الضالة .

٤ – ( من تمسك بسنتى عند فساد أمتى فله أجر شهيد ، وفى رواية : مائة شهيد ) رواه المنذرى .

فهنيئاً لمن قوى إيمانه فتغلب على عاطفة الجبن ومجاراة الناس ، وسار



على منهج الرسول الأعظم ، فمثله كمثل الورد بين الأشواك ، أو كالمصباح المنير فى وسط الظلام ، بل شبهه الرسول بالحى بين الأموات فى قوله : ( ذاكر الله فى الغافلين كالحى بين الأموات ) .

٥ – قال فى حجة الوداع : ( إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحاقرون من أعمالكم ، فاحذروا ، وإنى قد تركت فيكم المعتصم : كتاب الله وسنة نبيه ) رواه الحاكم بسند صحيح .

وهذا مما حملنى على وضع هذه الرسالة منبهاً إلى صغائر الأمور مما يعده بعض الناس من هوامش الإسلام ، فيستهينون بفعله ، فيقعون بالتالى فى كبائر الإثم ، لأن الشيطان تعود أن ينقل الناس إلى كبير الإثم بفعل صغيره ، وهى خطوات حذر الله منهما « يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان »[1] .

والحديث يقرر أن الشيطان أصبح عاجزاً عن إرجاع الناس إلى الكفر دون مقدمات من إيقاعهم أولا فى صغائر الذنوب ، ومثل هذا ما قيل : ( نظرة فابتسامة فكلام فموعد فلقاء ففاحشة ) ، والله تعالى قبل أن يأمر بحفظ الفرج من الزنا أمر بغض البصر عن النظر ، لأن النظر بريد الزنا . وفى آخر الحديث قال : ( فاحذروا ) ونعم التنبيه هو ممن هو بالمؤمنين رءوف رحيم ..

٦ – ( الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة ) موقوف على ابن سعود .

هذا الأثر لا يمكن أن يكون من قبل الرأى ، بل لا بد أن يكون قد سمعه من نبى الإسلام صلى الله عليه وسلم فى مثل قوله : ( أخلص النية يكفك من العمل قليله ) . وهناك من يجتهد فيما يظنه عبادة ويضنى بدنه ليله

---

(١) سورة النور ، الآية ٢١

ونهاره ، ثم يتبين أنه على غير صواب . فياليته قلل من هذه المتاعب وأحسن العمل باتباعه لتعاليم الدين . وفى الحديث : ( رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا التعب والسهر )[1] .

ولنا عبرة فى بكاء عمر رضوان الله عليه كلما مر فى طريقه على دير لأحد الرهبان – فكان عمر يراه هزيلا من كثرة اجتهاده فى العبادة حسب ما فهم من دينه الباطل ، حتى أضناه الاجتهاد فصار كالفرخ الضعيف ، ولما سئل عمر عن سبب بكائه كلما رأى هذا الراهب فى هذا الدير قال : تذكرت قوله تعالى فى أمثاله المجتهدين فى غير صواب : « وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية )[2] . ويا لها من عبرة نبه عليها ، ولفت النظر إليها ، اللهم بالصواب عمر بن الخطاب . وشرط قبول العمل شيئان :

( ١ ) أن يكون صواباً حسب شرع الله السليم .

( ٢ ) وأن يكون العامل به مخلصاً فى أدائه لله تعالى ، لا مرائياً ولا طالباً لمنفعة شخصية أو محمودة عند الناس « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً »[3] ، فاشترطت الآية شرطين لمن كان يرجو لقاء الله على خير ، صلاح العمل وصوابه ، وعدم الشرك به تعالى برياء أو نفاق .

* * *

(١) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرط البخارى .
(٢) سورة الغاشية ، الآيات ٢ – ٤ (٣) سورة الكهف ، الآية ١١٠

# التحذير من الابتداع

## واتباع الأهواء

١ – حديث : ( من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد ) .

وفى رواية : ( من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد ) أى مردود . أخرجه البخارى ومسلم . أحدث بمعنى ابتدع . والحديث يقرر فى صراحة أن البدعة ، سواء كان صاحبها محدثاً لها ، أى مبتدعاً لها دون تقليد لغيره فيها ، أو كان مقلداً لغيره فيها ( فجملة من أحدث للمبتدئ وجملة من عمل للمقلد ) وكلاهما فى عرف الإسلام ضال وبدعته مردودة عليه ..

٢ – ( إن من كان قبلكم افترقوا على اثنتين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم فى النار إلا واحدة وهى ( الجماعة ) – ( وأنه سيخرج من أمتى أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب – داء يصيب الكلاب وتسمى « بالمسعورة » بصاحبه ، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ) وفى رواية : ( إلا من كان على ما أنا عليه وأصحابى ) رواه أحمد وأبو داود ..

والحديث يقرر طبيعة من طبائع البشر فى ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وهى أنهم حسب اختلاف العقول فى الناس والمواهب والأهواء توجد اختلافات فى المذاهب والمبادئ ، وهذا ابتلاء من الله ليعلم الله من يتبع هواه بغير هدى من الله ومن يمشى على طريق الله السوىّ ، وقد وقع هذا فى الأمم التى سبقت الإسلام ثم وقع فى الأمة الإسلامية نفسها ، وقرر الحديث شيئاً خطيراً وهو أن البدع لدى أصحابها

ستصير إدماناً عندهم ، بل كمرض مزمن تحكمت جرثومته من صاحبها فيصبح غير قابل للشفاء ، وقد عبر عن هذا بقوله : ( كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله ) فتنقلب عنده الموازين فيصبح الحق فى نظره باطلا والباطل معروفاً ومألوفاً ..

٣ – وروى المنذرى عن عائشة مرفوعاً : ( ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب : الزائد فى كتاب الله ، والمكذب بقدر الله ، والمتسلط على أمتى بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله ، والمستحل حرمة الله ، والمستحل من عترتى ما حرم الله ، والتارك للسنة ) .

التارك للسنة معناه التارك للشرع فى عمومه ، فكلمة السنة فى عرف الحديث تشمل دين الله عقيدة وعملا وواجباً ونفلا وأخلاقاً .

أما الزائد فى كتاب الله : فمعناه أن يتقوّل على الله ما لم يقله أو يفسره بما لم يرده الله فى كتابه .

والمكذب بقدر الله : هو من يعتقد عدم إحاطة علم الله أزلا بكل شيء أو يقول بأن الله لا يعلم الشيء إلا بعد حدوثه ..

أما المتسلط على الأمة : فهو أى جبار فى أى موقع عليه مسئولية نحو الشعب يرفع السافلين ويخفض الأكفاء المؤمنين .

والمستحل حرمة الله : هو من يبرز فعلى المنكرات ، فيقول مثلا عن الزنا أنه ( حصر للبلاء ) ويقول عن الربا أن تركه هدم لاقتصاد البلاد وعن الكبر أنه عزة للنفس ..

أما المستحل للعترة : فهم هؤلاء الأنجاس الذين لا يحلو لهم الحديث إلا حول سب أهل البيت الأكرمين وأقارب النبى المؤمنين ، ودائماً تلقاهم يحدثونك عن كفر أبيه وأمه وجده وعمه صلى الله عليه وسلم ، مع أن الله



يقول : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم »[1] . وقد يتعدى سبهم إلى الصحابة والسلف الصالح ، فيتكلمون عن قتال علىّ ومعاوية وأمثالها حتى يهونوا من شأن الصحابة الأمجاد فى نظر المؤمنين ، فلا يتقون فى قولهم عن رسول الله : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً[2] .

٤ – قال صلى الله عليه وسلم : ( إنما أخشى عليكم شهوات الغى فى بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى ) رواه أحمد والبزار والطبرانى .

مضلات الهوى : أى الشبهات .

وهذا الحديث يشير إلى أن من مواطن الخطر فى الإنسان :

١ – البطن . ٢ – الفرج . ٣ – العقل .

كما فى الحديث الآخر : ( اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى ) رواه أحمد والبزار .

وهذا النص الكريم يجمع بين الخطرين الذين يقضيان على المسلم إلا من رحم الله ، وهما الشبهات فى العقول والشهوات فى البطون والفروج ..

وكم صرفت الشهوات الحيوانية أناساً عن القيم الرفيعة وجعلتهم يحيون حياة السوائم « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »[3] .

أما شهوات العقول فهى الارتياب والتشكك فى تعاليم الإسلام لدى من لم ينل حظاً وفيراً من تربيته . فمثلا يشتبه لديه موضوع الرق فى الإسلام وتعدد الزوجات ومشروعية الطلاق وتحريم الخمر ، بل وتتعدى شبهه أحياناً إلى التوحيد نفسه قائلا : كيف أعبد من لم أره وما يهلكنا إلا الدهر

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٦١ (٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٧

(٣) سورة الفرقان ، الآية ٤٤

وما هى إلا الطبيعة أرحام تدفع وأرض تبلع - وإذا ضلت العقول بالشبهات وأتخمت البطون والفروج بالشهوات ، فقد انعدمت الآدمية وصارت الإنسانية غابة وحوش لا يدرى مدى ما تصل إليه من تدمير إلا الله تعالى . وهذا ما حدث الآن فى دنيا الشبهات والشهوات .

٥ - ( ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة ) رواه أحمد والبزار .

وذلك كقانون ملء الآنية ، فالكأس المترعة كيف نصب فيها شيئاً آخر وهى غير قابلة لجديد ، إلا إذا نقصنا منها بقدر ما نريد أن نصب فيها ، وذلك مثل توجه معظم الناس يوم العيد إلى المقابر لتجديد الأحزان ، وتركهم البيوت فى يوم سماه الله عيداً وفيه المسرة ، فهذا قلب لسنن الله وتغيير لخلقه ، ومثل ذلك أيضاً التشويش والصخب عند سماع القرآن ، فإن الانشغال بالنغم والطرب - وهو بدعة - صرفهم عن الإنصات والتدبر ، والأمثلة كثيرة .

٦ - ( إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته ) رواه الطبرانى بإسناد حسن - وفى رواية : ولا يقبل له عملا ويخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين .

٧ - قال صلى الله عليه وسلم : ( قال إبليس أهلكونى بالاستغفار فأهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون ولا هم يذكرون أو يتوبون ) رواه ابن أبى عاصم ..

معناه أن أبليس لما عرف أن إيقاعه للناس فى المعاصى تخلصوا منه بالتوبة والاستغفار زين لهم البدع باسم الدين ، فوقعوا فى المعصية وهم لا يشعرون ، ولا يمكن لأمثالهم أن يتوبوا إلا أن يهديهم الله ، لأنهم يحسبون أنهم على حق ..



٨ - ( من أحيا سنة بعدى أُميتت كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ) رواه المنذرى . وفى الأثر : أن ابن مسعود سمع رجلا يقص فى المسجد ( حكايات ) للناس ، فوقف عليهم وقال : أيها القاص ، لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو أنك فى زعمك أهدى من محمد وأصحابه ، فما زال يعيد الكلمة حتى انصرف كل الناس عن القاص - أخرجه الطبرانى ..

فهذا يبين أن الدال على الخير كفاعله ، والدال على الشر كفاعله ، وذلك لا يؤثر ولا ينقص من وزر العاملين بالسنة أو البدعة ..

وليس المراد بإحياء السنة إنشاءها من جديد ، فهذا من اختصاص المشرع صلى الله عليه وسلم ، وإنما المراد إحياء ما تركه الناس من الهدى الإسلامى .

* * *

## نماذج فى التطبيق العملى فى الاتباع

١ ــ صحابى جليل يسمى ( قرة ) والد معاوية ، لما بايع النبي صلى الله عليه وسلم وجده مطلق الأزرار ، فعاش طوال حياته مطلق الأزرار صيفاً وشتاءً ، وذلك من شدة محبته ، فقلده حتى فى العادات .

٢ ــ عبد الله بن عمر شاهد النبي صلى الله عليه وسلم محلول الأزرار فكانت تلك لبسة بن عمر ، وذات يوم حاد ابن عمر على ناقته فى الطريق ، فسألوا غلامه : لم فعل ذلك ، فقال : رأى النبي فى هذا المكان حاد فحاد مثله ، وكان ابن عمر يقيل تحت شجرة بين مكة والمدينة ، لأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك ، وكان إذا أراد أن يقضى حاجته ذهب إلى مكان خاص فقضى حاجته ويقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقضى حاجته هنا ..

وهذا التقليد منهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو عنوان المحبة المتأصلة فى قلوبهم ، فهم يتأسون به لا فى العبادات وحدها ، بل حتى فى العادات . وقد قال أنس : ( رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الدباء ( الكوسة ) فى حواشى الإناء ، فمن يومها وأنا أحبها ) ، ولكننا لا نلزم الناس جميعاً بمثل هذا التقليد فيما هو عادة أو جبلة ، فمن استطاع أن يفعله حباً فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فله الأجر على قدر نيته ، ومن لا فلا حرج ما دام قد سلمت عقيدته وعبادته وأخلاقه ..

**تنبيه :**

١ ــ مادة السنة والبدعة هى المادة التى ينبغى على كل مسلم أن يعنى بها معرفة وتحققاً ، لأنها هى المميزة بين عبادات والتزام ونظام المسلم



الملازم وبين المسلم الحائر بين الشعاب كحاطب ليل لا يدرى ما يأخذ وما يدع ، فلنأخذ فى بيان المادتين .

### السنة والبدعة

السنة هى : الطريقة المسلوكة فى الدين أيام النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح ، أو هى أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وإقراره وأحواله ..

### أقسام السنة

منها ما هو فعلى ، ومنها ما هو تركى .

**أولا : السنة الفعلية هى التى فعلها الرسول صلى الله عليه وسلم :**

١ ــ فما فعله النبي وهو من أفعال الجبلة ( الطبيعة ) أى طبائع الناس كالأكل والقيام والقعود والمشى والنوم ، فكل ذلك وأمثاله مباح له وللأمة .

٢ ــ ومنها ما هو خاص به كالوصال فى الصيام ، أى تتابع الصوم دون إفطار وعدد الزوجات ، فلا يصح لنا أن نقلده فيه ، لأنها تسمى خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ ــ ومنها ما هو بيان منه لحكم الله فيخضع لنوع الحكم وجوباً أو ندباً أو تحريماً أو كراهية أو تحديداً للمراد الإلهى ، وذلك كتفسيره قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة »[1] . فالآية لم تبين نوعيات الصلاة من فرض وسنة وكيفية وعدد ركعات ، وإنما المبين لكل هذا هو الرسول الكامل القائل : ( صلوا كما رأيتمونى أصلى )[2] ، وبين أن فرائض الصلاة خمس فى اليوم والليلة ، إلا أن يتطوع المسلم ، كما تبين السنة أيضاً مثل صلاة الضحى وعدد ركعات قيام الليل والتراويح والعيدين ، كما بين النبي صلى

(١) سورة البقرة ، الآية ٤٣ ؛ (٢) البخارى فى الأدب المفرد .

الله عليه وسلم مراد الله من قطع يد السارق ، فبين أن القطع يكون من مفصل الرسغ لا من المرفق ولا من الكتف .

ومثل ذلك بيان أحكام الزكاة والصيام والحج ، حيث قال صلى الله عليه وسلم : ( خذوا عني مناسككم ) . فالقرآن لم يبين ترتيب المناسك في الحج والعمرة ، وكيف نبدأ شعائرهما ، وكيف نطوف ونسعى ونقف على عرفة ونرمى الجمار .. إلى آخره ، وإنما المبين لكل هذا هو من علمه الله ترتيب المناسك وأداها عملياً بأصحابه ، وأمرهم أن يقلدوه فيها صلى الله عليه وسلم ، وكذلكم الصوم ، بينت السنة أن القيء المتعمد يبطل الصوم ( من ذرعه القيء فلا شيء عليه ومن استقاء فليقض)[1] . ووصول الماء إلى الجوف من الأنف أيضاً يبطله ، كما قال : « وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً »[2]. وكذلك الحيض والنفاس يفسدانه وعليها القضاء دون الصلاة التي لا تقضى منهما ، فكل هذه الأحكام أخذت من السنة التي بينت المراد من القرآن ، ومثل الصوم والصلاة والحج في ذلك الزكاة ، فالآيات عامة في وجوب إيتاء الزكاة وإيتاء الحق المعلوم والإنفاق « من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض »[3] ، ولكن الذي بين الأنواع التي تخرج منها الزكاة في المال والثمرات والحبوب والحيوانات .. إلى آخره ، إنما هو السنة ، كما بينت مقدار النصاب ونسبة ما يخرج من المال ، فالسنة أصيلة في بيان الأحكام ، ولا يصح أن تهمل أو تعطل ، فإن ضياعها إضاعة لدين الله .

( ملحق )

الوصال خاص بالنبي كما ذكرنا ، فقد أراد الصحابة أن يقلدوه في متابعة الصيام دون إفطار ولا سحور ، فنهاهم وبين لهم صلى الله عليه وسلم

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم .
(٢) رواه أصحاب السنن . (٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦٧



أن ذلك من خصائصه ، فقال : ( إني لست كهيئتكم ، إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني )[1] .

وأما تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم أكثر من أربع فهو أيضاً من خصائصه ، والسبب أن التعدد كان شائعاً في العرب قبل الإسلام واستمر إلى مابعد الهجرة . ثم أراد الله عز وجل أن ينزل فيه حكمه العادل ، فحرم أولا على النبي صلى الله عليه وسلم أن يزيد في عدد نسائه الموجودات حتى من طلقت منهن أو ماتت لا يأتي ببدلها ، فقال تعالى : «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن »[2]. كما حرم على الأمة أن يتزوجوا بنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً »[3]. والآيتان من سورة الأحزاب . وقد نزلت هذه السورة في غزوة الخندق التي حدثت في شهر المحرم عام ٧ هجرية .

وبعد أن ضيق الله على النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الشكل وعلى نسائه جاء بعد هذا بمدة وحدد للأمة كلها عدد الزوجات الأربع في سورة النساء التي نزلت بعد الأحزاب : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »[4]. فكل من عنده من المسلمين زيادة عن الأربع أمره الإسلام بتركه إلا الرسول صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله أن يبقى عليهن في عصمته ، وذلك للأسباب الآتية :

أولا – أنهن أمهات المؤمنين ومحرمات على الأمة ، فأين يذهبن إذا طلقن .

ثانياً – أنهن اخترن الله ورسوله حسب نص آية سورة الأحزاب ، في آخر الربع الأول .

(١) متفق عليه .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٢
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣
(٤) سورة النساء ، الآية ٣

فكافأهن الله بالبقاء مع نبيه صلى الله عليه وسلم : « يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها »[1] .. إلى آخر الآيتين ..

وهناك أفعال للرسول صلى الله عليه وسلم يظهر فيها معنى التقرب إلى الله ، فهى مندوبة ، فقد خلع نعليه فى الصلاة ، لأن جبريل أخبره أن بهما أذى ، ثم قال : ( إذا جاء أحدكم المسجد فلينظر فى نعليه ، فإن وجد بهما أذى فليدلكه بالأرض فإن التراب له طهور)[2] . وقال : ( صلوا فى نعالكم فإن اليهود لا يصلون فيها ) .

وهناك أفعال أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم لم يظهر فيها معنى التقرب إلى الله ، مثل لبسه الجبة حيناً أو القباء ( العباءة ) حيناً ، فهذا إذا فعله المسلم بنية التشبه بالرسول أثيب على نيته ، ولكننا لا نلزمه به تعبداً .

**ثانياً ــ السنة التركية :**

١ ــ هى ما تركه النبى صلى الله عليه وسلم مع قيام الداعى والمقتضى ، ولم يكن هناك منه مانع ، مثل : الأذان للعيدين والغسل لكل صلاة والأذان للتراويح والقراءة على الموتى وصلاة ليلة نصف شعبان والزكاة على الخضار فتبقى متروكة كما هى .

أما جمع المصحف فى عهد الصديق رضى الله عنه ، ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم قد جمعه ، فلعدم وجود المقتضى ولتوقع أن يغير الله ما يشاء أو ينسخ ما يشاء « يمحو الله ما يشاء ويثبت »[3] . وكان الوحى ينزل بما شاء الله ، فلما انتهى الوحى وأمن التغيير وخيف عليه من الضياع جمعه الصديق .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٢٨ (٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) سورة الرعد ، الآية ٣٩



وأما المواظبة على الجماعة فى التراويح طوال شهر رمضان فلم يكن فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجود المانع وهو الخوف من فرضه على الأمة ، فلما مات الرسول صلى الله عليه وسلم وأمنت الزيادة فى الدين صلاها عمر جماعة كما فعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض ليالى رمضان .

وأما الأكل على المائدة فهو لا حرام ولا مكروه ، لأنه لم يثبت فيه نهى ، وقد يكون فيه حفظ للطعام أكثر وراحة للجالسين . أما قول عائشة رضى الله عنها : أربع من البدع أحدثت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ( الشبع ــ المناخل ــ الغسل بالأشنان ــ المائدة ) فإنه لا يدل على تحريم هذه الأربعة ، لأن منها الغسل بالأشنان وهو نظافة يحبها الدين ، كما ذكر ذلك الغزالى فى الإحياء وصاحب الإبداع .

## البدعة

١ ــ هى ما أحدث بعد النبى صلى الله عليه وسلم على أنه دين وشرع بتأويل أو شبهة غير معتد بها ، أو يقال :

٢ ــ هى طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الطريقة الشرعية يقصد فاعلها المبالغة فى عبادة الله من علم أو عمل أو حال .

**أقسام البدعة :**

( ا ) حقيقية . ( ب ) إضافية .

أولا ــ البدعة الحقيقية : وهى ما كان الابتداع فيها بين جميع وجوهها ولم تدخل فى أية ناحية من الدين لا كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا سند ، مثل الترهب وهو الانقطاع للعبادة ، وترك عمل الدنيا الحلال ، وترك الزواج مثلا مع وجود الداعى وعدم المانع ، وقد قال تعالى : « رهبانية

ابتدعوها »[1]، وأيضاً مثل فرق الهند التي تحرق نفسها تقرباً لله – ومثله ما يصنعه الشيعة من تقديس مكان قتل الحسين وتسمية مسجده حرماً ، مع أنه ليس فى الدنيا حرم إلا فى مكة والمدينة والقدس . وفى الحديث : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث : مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى)[2]. ومثل ذلك أيضاً الوقوف على غير عرفة . فكل ذلك بدعة حقيقية يلعن الله فاعلها ومحدثها .

ثانياً – البدعة الإضافية : (أى أنها ليست بدعة فى ذاتها وإنما دخلها الابتداع النسبى ) : وهى التى لها أصل فى الشرع ولكنها تختلف عنها فى الزمن والمكان أو الكيفية ، وذلك مثل الطواف ، فقد شرعه الله حول الكعبة فقط فنقلوه إلى مكان آخر وهى الأضرحة، فسمى بدعة إضافية فى المكان، ومثله تلاوة القرآن فى الركوع والسجود، وهناك البدعة الإضافية فى الزمن، مثل المواظبة على صيام يوم الثلاثاء أو الأربعاء من كل أسبوع ، مع أن الأيام التى وصى النبى صلى الله عليه وسلم بالصيام فيها هى يوم الاثنين والخميس ، ومثل ذلك صيام يوم ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وهو ١٢ ربيع ، أو صيام نصف شعبان ، أو يوم صبيحة الإسراء والمعراج ويوم ٢٧ رجب . فهذه بدع إضافية فى الزمن ، فإن الصوم المسنون مطلوب فى مثل يوم عاشوراء أو يوم عرفة أو الثلاثة أيام البيض (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ) من كل شهر عربى ، وستة أيام من شوال ، فكل هذه الأيام مطلوبة شرعاً بنصوص ، ومثله الإكثار من الصيام فى الأشهر الحرم . أما البدعة الإضافية فى الكيفية فهى مثل ذكر الله مع التحريف فيه لأسماء الله ، فأصل الذكر مطلوب ولكن التحريف فيه هو المحرم .

إذن معنى كلمة بدعة إضافية أنها ليست بدعة مخترعة أساساً، ولكن

(١) سورة الحديد ، الآية ٢٧ (٢) رواه الجماعة .



أدخلها دخلت إلى الدين من التخصيص لها فى زمن مخصوص أو مكان مخصوص أو كيفية مخصوصة ، مع أنه يوجد لها أصل فى الشرع .

## أنواع الأدلة

هى الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وعند الإمام مالك دليل يسمى ( المصالح المرسلة ) أى الاجتهاد ، وعند أبى حنيفة دليل يسمى ( الاستحسان ) ، وعند الشافعى دليل يسمى ( الاستصحاب ) والمصالح ، المرسلة مثل إكراه الجار على مرور ماء جاره من أرضه ، ومثل تحديد جلد شارب الخمر بثمانين جلدة مع أنه أيام النبى صلى الله عليه وسلم كان غير محدود ، ومثل تضمين الصناع بقيمة ما أضاعوه أو أتلفوه ، ومثل قتل الجماعة فى مقتل الواحد ، ومثل الحبس فى التهم والضرب فى ( الاعتراف ) والتعزير ، ومثل العقاب بتغريم المال عند منع الزكاة أو عند الغش فى المعاملة ، كما صب عمر اللبن المغشوش تأديباً لصاحبه . ولا تكون المصالح المرسلة إلا فى المعاملات دون العبادات ، لأنها شرعت لحفظ أمر ضرورى أو رفع حرج ، مستنبطة من روح الدين العام ، وذلك كرصف الطرق وإقامة الجسور .. إلخ ..

### الاستحسان :

ومعناه استحسان عمل شىء لا يصطدم بقواعد الدين العامة ، مثل جواز دخول الحمام دون تقدير أجرة أو مدة أو كمية الماء المستعمل ، ومثله بيع السلم وهو بيع شىء موصوف فى الذمة ، أى أن المشترى محتاج إلى نوع من السلعة محدد كمية ونوعاً وزمناً للتسليم ، فيدفع المشترى ثمنه مقدماً للبائع على أن يسلمه هذا الشىء فى الزمان والمكان المحددين بالنوع المحدود والكمية المطلوبة ، وفيه نزل قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا

تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه »[1]. وقول النبي صلى الله عليه وسلم حينما قدم المدينة ورآهم يسلمون فى التمر وغيره : ( من أسلف فليسلف فى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم )[2] .

أما الاستصحاب عند الشافعى فمعناه إبقاء الأصل وطرح الشك ، فلو تيقن الوضوء ثم شك هل أحدث أم لا ، نبقيه على طهارته ، أما لو تيقن الحدث وشك هل توضأ أم لا ، فهنا نأمره بالوضوء . ومثله ما لو اختلف شخصان فى ملكية شىء وهو فى يد أحدهما ولم يستطع الآخر إثبات ملكيته بشهود أو عقد أو غيرهما ، فالأصل هنا استصحاب الحكم لواضع يده على الشىء ، لأن وضع اليد برهان على التملك إلا إذا ثبت نقيضه ، والله أعلم .

## الرد على شبهة وردت على حديث
## كل بدعة ضلالة

١ ـ يقول بعض الناس المعترضين والمخلين للبدعة : ( كيف تحرمون كل بدعة ) وهناك حديث يقول : ( من سنّ فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، ومن سنّ فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة )[3] .

ومثله حديث : ( ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل ) رواه البخارى ومسلم .

والرد على هذه الشبهة أن المراد بكلمة ( من سنّ ) هو من أحيا وعمل بما ورد لا من إخترع وأنشأ من قبل نفسه ، وذلك لأن سبب الحديث

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٨٢ (٢) رواه البخارى ومسلم .

(٣) رواه مسلم .



الأول فقراء مضر الذين دخلوا على النبى صلى الله عليه وسلم بمنظرهم المؤلم من شدة فقرهم يلبسون جلد النمار ، فحث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين ليتصدقوا من أجل هؤلاء الفقراء ، وأسرع واحد من المسلمين فذهب إلى بيته ورجع بصرة عجزت يده عن حملها فتصدق بها ، فحدثت غيرة فى الناس ، وتتابع الناس بعده فى الصدقة ، فكان هو البادئ بالخير حتى نهلل وجه النبى صلى الله عليه وسلم سروراً ، فمدح كل المتصدقين ، ولكنه خص الأول الذى فتح باب الخير لغيره وشجع الناس على الصدقة هى من فضائل الدين ، فالرجل الذى بدأ بالخير وتبعه الناس فيه لم يشرع شرعاً جديداً ، وإنما أحيا شعيرة ثابتة من شعائر الإسلام ( البذل والتعاون ) .

٢ ـ أجمع المسلمون على أن التحسين للأشياء والتقبيح لها مصدرهما الشرع لا العقل ، فمعنى : من سن سنة سيئة ، أى أحيا ما منعه الشرع من المعاصى ونهى عنه من البدع . وقوله : من ابتدع بدعة ضلالة ، كلمة ضلالة صفة ملازمة للبدعة الدينية والنهى المذكور عن بدع الدين ، حيث أن الدين قد تم وكمل فلا يدخله تعديل أو حذف أو إضافة . وهناك أيضاً بدع فى الدنيا ، منها ما هو نافع ومنها ما هو ضار .

فمن النافع من بدع الدنيا :

ـ الملاجئ ودور الحضانة والإيواء لكبار السن ، فهذه وإن كانت بدعة لم تكن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنها بدع فى الدنيا نافعة ، والمحرم هو بدع الدين لا الدنيا ، ومن أمثله بدع الدنيا الضارة الأسلحة المتطورة للتعدى على الشعوب الآمنة ، فهى حرام بإجماع المسلمين.

٣ ـ هناك حديث يقول : ( ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون ... إلى آخره ) .

والجواب : أن هذا ليس بحديث نبوى ، ولكنه أثر عن ابن مسعود ،

ولو صح حديثاً فالمراد بكلمة المسلمون فيه الإجماع ، لأن الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ، أو المراد بالمسلمون الصحابة كلهم ، كما أقر عمر المسلمين على صلاة التراويح عشرين ركعة مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصليها ثمانية ، أو المراد بكلمة ما رآه المسلمون فيما لا نص فيه يؤيده أو يعارضه ..

٤ ـ استدل المعارضون بما فعل عثمان رضى الله عنه من الأذان الثانى يوم الجمعة ، وفى نظرهم أن عثمان ابتدع بدعة حسنة والرد على هذه الشبهة أن عثمان لم يزد ولم ينقص عما ورد عن الوسول ولم يخترع أذاناً وكل ما فعله تغيير المكان لمجرد تعميم الإعلان لمن هم بعيدون عن المسجد على المكان يسمى الزوراء مجاور للسوق يبعد عن المسجد نحو ألف ذراع ليسمع أهل السوق الأذان ، نظراً لاتساع العمران وكثرة السكان عما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الشافعى : إن عطاء كان ينكر نسبة الأذان الثانى إلى عثمان ويقول إن الذى أحدثه معاوية مؤسس الدولة الأموية . وقال الشافعى : وأيهما كان سواء كان عثمان أو معاوية ، فالأذان الواحد الذى كان على عهد رسول الله أحب إلى ، وهذا نصه فى كتاب ( الأم ) ص ١٧٢ ج ١ الطبعة الأميرية القديمة .

**تنبيـــه :**

لا يصح الأخذ بالحديث الضعيف ، كحديث الكحل يوم عاشوراء ، وحديث إكرام الديك الأبيض ، وحديث أكل الباذنجان ، وحديث تواجد النبى صلى الله عليه وسلم عند السماع حتى سقط رداؤه مثلا ، وقول أحمد بن حنبل رحمه الله : ( ضعيف الحديث أحب إلينا من رأى الرجال ) المراد بالضعيف عنده الحديث الحسن لغيره أو لذاته لا الموضوع ولاشديد



الضعف ، ويشترط فى الأخذ بالحديث الضعيف فى فضائل الأعمال ألا يشتد ضعفه ، وألا يحتج به على غيره ، وألا يكون قدوة ، فإن كان قدوة عمل به فى نفسه دون الجهر به ، وألا يكون الأخذ به فى الأحكام الفقهية .

**تنبيـــه آخـــر :**

رجل يسمى صبيغ العراقى كان يسأل عن المتشابهات مثل : « الرحمن على العرش استوى » ، ويشكك فى القرآن ، فأمر عمر بضربه ونفاه من المدينة ونهى عن مجالسته ، وكان يسأل عن المرسلات والسابحات ، وأرسل عمر إلى أبى موسى الأشعرى وحذره منه وقال له : إياك أن تجالسه أو تسمح للناس بمجالسته ، لأنه مبتدع يريد أن يفتح على الناس باب فتنة ، وما زال كذلك حتى شفاه الله من وسوسته وتاب عليه من الشك ، فرجع كما كان بإذن عمر .

* * *

## من القواعد العامة إلى مجالات التطبيق

والآن وقد انتهينا من سرد القواعد العامة فى السنن والبدع وتعريف حقيقتها ودفع الشبهة الواردة عنهما نظرياً ، فلنبدأ — مستعينين بالله — فى تطبيق هذه القواعد فى مجالاتها العملية التى تشيع فيها البدعة ، حتى نتعرف إلى السنن الحقيقية وما طرأ عليها من مخالفات ، ونحاول تنقية رياحين الإسلام مما تطفل عليها من أشواك نشأ عليها الصغير وربا عليها الكبير وطال عليها العهد حتى صارت كأنها الأصل ، بل وجد من يدافع عنها باعتبار أنها دين الله والدين منها برىء ، وباعتبار أنها قد تأخذ شكل المشروع ، ولكنها تختلف عنه فى الكم أو الكيف أو الزمان أو المكان ، كما تقرر فى البدع الإضافية .

وبمراعاة النماذج الآتية يمكن للمؤمن البصير أن يستدل بها على غيرها مما هو شائع فى المسلمين من كبائر الذنوب وصغارها ، فهى مجرد دلالة تأخذ بيد المسلم إلى تفتح قلبه أمام ما تعبدنا الله به لنمشى مع الله على نور ..

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »[1] .

ولابد لنا أن نكرر أنه لابد من تنقية العبادة مما دخلها من تغيرات ، فهناك فرق بين العبادة وبين المعاملة ، فالعبادة صادرة من المعبود حسب أمره هو وتحديده لا رأى للبشر فيها ، أما المعاملات فلم يقيدها الإسلام إلا بإطار ( عن تراض منكم لا تظلمون ولا تظلمون — الصدق والتبيين ) وإذا كان الإسلام قد حرم التعامل فى الخمر والخنزير والميتة وأمثالها ، وحرم على الذكور لبس الذهب وسن لهم أن يبدءوا طعامهم باسم الله

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٢



ويختموه بحمده تعالى ، فكل هذه الفروع اليسيرة وأمثالها لا تعد حجراً فى المعاملات الحلال التى لا نهاية لاتساعها ، وإنما هى بعض القيود لصالح الفرد نفسه ودينه وعقله وعرضه وماله وصالح الجماعة ، كما فعل فى شروط الزواج والطلاق وما يتعلق بهما من أحكام .

والخلاصة أن كل ما يسمى عبادة نرجع فيه إلى أمر المعبود تعالى ، فالأذان مثلا له أول وآخر وكيفية ، وكذلك الصلاة والصوم والحج والزكاة والذكر وتلاوة القرآن ، فكل ذلك له حدوده وقيوده التى تعبدنا الله بها وأى زيادة أو نقص تعتبر افتياتاً على المعبود سبحانه ، تعرض صاحبها لمقته ولعنته . أما المعاملات كما ذكرنا فتخضع لظروف المتعاملين ، فما دامت داخل الإطار الذى ذكرنا فليس هناك فيها تحجير . وفى صحيح الحديث . ( كل ما شئت والبس ما شئت ما خطئتك اثنتان : إسراف ومخيلة )[1] .

فتوسيع الشوارع وتنظيم المرور وتعديل الميادين وإقامة المصانع والمستشفيات والملاجئ وأسلحة الدفاع عن النفس والبيع والشراء والإجارة .. إلخ هذه الأنواع وأمثالها ، لا تدخلها البدعة الضلالة ، فهى فى صالح دنيا الناس لم تتجاوزها إلى دينهم ، فلا يصح لجاهل أن يجادل فيها ويقول إنها لم تكن أيام الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه فتكون محرمة فقد قررنا وكررنا أن مجال السنن والبدع والحلال والحرام الذى تتحدث عنه إنما هو دين الله الذى قال فيه : « اليوم أكملت لكم دينكم »[2] كما سبق تقريره .

وإذا كنا سنتجول فى ميادين السنن والبدع العملية فى بعض العبادات والعادات والاعتقادات الشائعة ونأخذ من كل ذلك أمثلة لما سنه الإسلام ، وأمثلة لما حذر منه ، وإذا كنا كما قررنا مراراً لم نرد تفصيلات السنن

(١) رواه النسائى وابن ماجه .  (٢) سورة المائدة ، الآية ٣

والبدع فى كل فروع الدين ؛ فهذا شىء يحتاج إلى مجلدات وأزمنة مديدة ، والجماهير الآن فى عجلة من أمرها ، تضغط علىّ دائماً لإخراج كتيب يعطى المثل وإن لم يعط التفصيل .

إذا كان الأمر كذلك فلابد لى أولا من كلمة سريعة مجملة تبين الواجب اعتقاده فى الله عز وجل ذاتاً وصفتاً وأفعالا ، باعتبار أن هذا الاعتقاد هو أساس سائر العبادات والاعتقادات ، وإذا صلح الاعتقاد فى الله عز وجل أمكن السير فى بقية شعائر الإسلام وشرائعه على إيمان وهدى من الله ، أما إذا فسد الاعتقاد فى الله سبحانه ( نعوذ بالله ) فماذا تنفع العبادات ، إنها حينئذ تكون كالبناء على الرمال أو محاولة الكتابة على الماء . فالإيمان السليم هو أساس العمل السليم ، والشجرة التى لا جذر لها يمدها بالغذاء والسقاء والنماء حتى تتولد لها الأغصان والأوراق والثمار ، ليست شجرة أبداً ، بل هى قطعة خشب اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، والأولى قطعها وإحراقها بالنار — وإيماننا ولله الحمد كإيمان السلف الصالح فنحن نؤمن أن الله عز سلطانه ليس كمثله شىء ، ولم يكن له كفواً أحد ، وأن كل ما خطر لنا ببال فالله سبحانه بخلافه له المثل الأعلى والصفات العليا والأسماء الحسنى ، نسميه تعالى كما سمى نفسه ، وننسب إليه ما نسبه لنفسه ، ونصفه بما وصف به نفسه ، دون أن نؤول أو نعطل أن نمثل .

وقد قال ابن كثير فى قوله تعالى : « ثم استوى على العرش »[1] : نسلك فى هذا المقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعى والثورى والليث ابن سعد والشافعى وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادل إلى أذهان المشبهين منفى عن الله تعالى ، فإن

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٤



الله لا يشبهه شىء من خلقه « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير »[1] ، بل الأمر كما قاله الأئمة ، منهم نعيم بن حماد الخزاعى شيخ البخارى قال : من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه .

ورحم الله من قال : ( سبحان من استوى على العرش كما أخبر على الوجه الذى قال وبالمعنى الذى أراد ، استواءً منزهاً عن المماسة والاستقرار وعن التمكن والحلول والانتقال ، وليس العرش يحمله ولا الكرسى يسنده بل العرش وحملته والكرسى وعظمته ، كل محمول بلطف قدرته ومقهور فى قبضته ) . اهـ .

فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذى يليق بجلال الله تعالى ونفى عنه النقائص فقد سلك سبيل الهدى . اقرأ ( الدين الخالص ) للإمام محمود خطاب ، جـ ١ ص ٣٠ و ٣١ طبعة ثالثة ، وقال فى ص ٢٢ :

( وله تعالى صفات غير ذلك كالجلال والجمال والعزة والعظمة والكبرياء والقوة وهى غير القدرة والوجه والنفس والعين واليد والأصابع والقدم والمحبة والرضا والفرح والضحك والغضب والكراهة والعجب والمكر ، ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة ، فيجب الإيمان به بلا كيف ، فنقول : له تعالى يد لا كالأيدى ونفوّض معرفة ذلك وتفصيله إلى الله تعالى ولا نؤول أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك ، لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة ، ولكن نقول : يده صفة له بلا كيف ، وهكذا ، وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير

(١) سورة الشورى ، الآية ١١

إرادة الانتقام ، بل من صفاته بلا كيف ، وهذا مذهب السلف فى المتشابهات وبه نقول ) . اهـ .

وقال فى هامش الصفحة نفسها تعليقاً على وصف الله بالأصابع والقدم فيما سبق : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها إلى بعض ) الحديث أخرجه الشيخان والترمذى عن أنس .

وكثيراً ما يسألنى الشباب فى الدروس ويرسلون إلى بكتب يتساءلون فيها عن نصوص عديدة فى الكتاب والسنة ، وكيف يفهمونها مع أنها حسب تصورهم تتخالف . ومن هذه النصوص التى سألونى عنها قوله تعالى :

١ ـ الرحمن على العرش استوى[1] .

٢ ـ أأمنتم من فى السماء[2] .

٣ ـ ألا إنه بكل شىء محيط[3] ـ والله من ورائهم محيط[4] .

٤ ـ وقال عن السراب : « حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه »[5] .

وفى المختصر قال : « ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون »[6] .

٥ ـ قول الخليل : « إنى مهاجر إلى ربى سيهدين » . وقال[7] : « إنى ذاهب إلى ربى سيهدين »[8] . وقوله : « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين »[9] .

---

(١) سورة طه ، الآية ٥
(٢) سورة الملك ، الآية ١٦
(٣) سورة فصلت ، الآية ٥٤
(٤) سورة البروج ، الآية ٢٠
(٥) سورة النور ، الآية ٣٩
(٦) سورة الصافات ، الآية ٩٩
(٧) سورة الواقعة ، الآية ٨٥
(٨) سورة الأنعام ، الآية ٧٩
(٩) سورة العنكبوت ، الآية ٢٦



٦ ـ قول المصلى فيما صح : ( وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض ) فى دعاء الاستفتاح[1] .

٧ ـ حديث : ( ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حينما يبقى ثلث الليل ) .

٨ ـ فى صحيح الحديث يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة : ( جعت فلم تطعمنى ، ومرضت فلم تعدنى ) .. إلى قوله : ( جاع عبدى فلان ولو أطعمته لوجدتنى عنده ، ومرض عبدى فلان ولو عدته لوجدتنى عنده ) .

٩ ـ القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن .

١٠ ـ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله[2] .

١١ ـ ولتصنع على عينى[3] .

١٢ ـ فإنك بأعيننا[4] .

١٣ ـ يد الله فوق أيديهم[5] .

١٤ ـ لما خلقت بيدى[6] .

١٥ ـ والسماء بنيناها بأيد[7] .

١٦ ـ وجاء ربك والملك صفاً صفاً « هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر »[8] ..

وهذه مجرد أمثلة أخذتها من سيل الرسائل التى تلقيتها ولا أزال أتلقاها مكتوبة من الشباب ، ويسأل كيف يفهمها ، ويقول : أنتم تمنعوننا من

---

(١) رواه أحمد ومسلم والترمذى وغيرهم .
(٢) سورة الزمر ، الآية ٥٦
(٣) سورة طه ، الآية ٣٩
(٤) سورة الطور ، الآية ٤٨
(٥) سورة الفتح ، الآية ١٠
(٦) سورة ص ، الآية ٧٥
(٧) سورة الذاريات ، الآية ٤٧
(٨) سورة البقرة ، الآية ٢١٠

التأويل فلابد من بقاء النص على ما هو بمعناه، وإن كنا لا نمثل ولا نعطل ، يقولون أن هذه النصوص منها ما يفيد أنه تعالى فى السماء ، وأنه من وراء كل شيء ، وأنه عند السراب فى القيعة، وأنه أقرب من المحيطين بالميت له ولكن أبصارهم لا تراه ، وأن الخليل ذهب إليه ليهديه ووجه إليه وجهه ، والخليل لم يصعد إلى السماء ، وأن المصلى وجه وجهه له تعالى قبل الكعبة ، مع أن الكعبة تكون حيناً شرق المصلى وحيناً غربه وحيناً شماله وحيناً جنوبه حسب موقع بلده . وفيما صح من حديث : ( إن الله قبل وجه أحدكم إذا قام يصلى فلا تلتفتوا ولا تبصقوا ) . وأن ثلث الليل الذى ينزل فيه الله إلى سماء الدنيا يختلف باختلاف مواقيت البلاد ، فكل ساعة بالليل والنهار فيها ثلث ليل عند قوم ، وهو تعالى مع ذلك عند الجائع والمريض ، وأن القلوب بين إصبعه ، والآيات تنسب لله تعالى جنباً ومرة عيناً ومرة أعيناً ومرة يداً ومرة يدين ومرة أيدى ، وكيف يجيء يوم القيامة مع الملائكة صفوفاً وفى ظلل من الغمام ) ؟؟ .

تلك بعض أسئلتهم وشبههم ، يريدون رفع التناقض فيها حسب تصورهم .

وأنا أقول : إذا كنا نؤمن بالجن والملائكة ولا نعرف عن حقيقتهم شيئاً ، ونؤمن بالروح ولا نعرف شيئاً عن بدايتها ونهايتها ، ولا كيف نزلت إلى الجنين ، ولا كيف صعدت عند الموت . وإذا كنا للآن لا نعرف حقيقة الكهرباء ولا سر النوم ، ولم ندرك من عظمة الكون إلا كما تدرك النملة من سطح جبل شاهق مديد ، بل لم ندرك من خفايا نفوسنا وأعضائنا وطبائعنا ومشاعرنا وإبداع خلقنا بدناً ونفساً وعقلا وقلباً وروحاً – إذا كنا كذلك – فكيف نحيط برب الملك والملكوت ، وماذا نحن إلا صنع الله لا نعلم عن صانعنا إلا الكمال المطلق والجلال والعلو والأسماء الحسنى ، أما ذاته تعالى فمحجوبة عنا لا يعلمها إلا هو ، وصفاته تعالى



نؤمن بها ونصفه تعالى بها ولكن لا نعرف حقيقتها ، فلا ندرى كيف يغضب ولا كيف يرضى أو كيف يجيء – كل ما علمناه عن الله تعالى هو مشاهدتنا لبعض قليل جداً جداً من إبداعه فى الكون والنفس « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا »[1] . وقال لسيد الخلق : « وقل رب زدنى علماً »[2] . وقال : « وفوق كل ذى علم عليم »[3] . ثم سماعنا وتلاوتنا لكلامه تعالى فى القرآن وما أنزل من الكتاب والحكمة لهداية خلقه .

**والخلاصة :**

أننا نؤمن بالله إيماناً لا يعتريه شك ولا ارتياب ، وأنه تعالى الواحد الواجد الماجد الحى القيوم ، إلى آخر ما سمى به ووصف نفسه ، وسواء كانت النصوص فى الكتاب والسنة أسماء ذات له أو أسماء صفات أو أسماء أفعال ، فكلها مما يجب على المؤمن أن يوقن بها ، فالله أعلم بنفسه وبأسمائه ، ودستورنا فى ذلك دستور السلف ، ومنهم مالك رحمه الله حينما قال فى الاستواء :

( الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان واجب والسؤال بدعة ) . ثم قال للسائل : ما أراك إلا مبتدعاً . وأمر بإخراجه .

ونحن لا نفتح على الناس أبواب فتنة وزيغ ، فما فهمناه من شرع ربنا صحيحاً صريحاً أخذنا به ، وما غمض علينا وجهلناه مع بذل الجهد ، وكلنا علمه إلى العلى الأعلى القائم على كل نفس بما كسبت .

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب »[4] آمين .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ٨٥ (٢) سورة طه ، الآية ١١٤
(٣) سورة يوسف ، الآية ٧٦ (٤) سورة آل عمران ، الآية ٨

## حول اسم الجلالة الله تعالى

الحديث الآن عن الله عز وجل ، وهذا الموضوع مهم جداً ، حيث نتعرض دائماً لأسئلة من جانب الجمهور ، وخاصة الطلبة الذين زادت ثقافاتهم الدنيوية وطغت على الروحانيات التى حرموا منها ، فعجزوا عن إدراك مقومات الإسلام . وواجبنا أن نقابل هذا النوع بالصدر الواسع والوجه الطيب . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أتاه رجل وقال له : يا رسول الله ، إن الشيطان يحدثنى بأشياء لو خررت من السماء فتخطفنى الطير أو هوت بى الريح فى مكان سحيق لكان أهون علىّ من أن أذكرها . فقال صلى الله عليه وسلم : هون على نفسك .. أليس ذلك الشيطان يقول لك : من خلق الخلق ؟ فتقول أنت : الله ، فيقول لك : ومن خلق الله ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة . وفى رواية : لا تخف فهذا صريح الإيمان ، وإذا أحسست بشىء من ذلك فقل : آمنت بالله ، أو لا إله إلا الله ، أو قل « قل هو الله أحد » ينصرف عنك ) وما ذلك إلا سبب عبادة من قبلنا الأصنام ، لأنهم كانوا ماديين لا يؤمنون إلا بما تدركه حواسهم .

ومن المفيد أن نرد على هذا المستوى من التفكير ونضرب له المثل الملائم لعقله ، فنقول له مثلا : هل الهواء موجود ؟ فيقول لك : نعم ؟ فاسأله : ما لونه ؟ فيقول : لا لون له ، فما جرمه ؟ ليس له جرم ، فما طعمه ؟ لا طعم له ، فقل له : كيف تؤمن بوجود شىء لا لون ولا طعم ولا جرم له ؟ فسيقول : ذلك لأننى أحس به . وهنا نكون قد اقتربنا من إجابة السؤال وعلى لسانه هو ، فقل له : ونحن أيضاً نحس بالله فى فطرتنا وقلوبنا وفيما أمامنا من إبداع فى السموات والأرض ( فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها )[1] . وهذا ما يسمونه دليل الإبداع ،

(١) سورة الروم ، الآية ٥٠



أى أن الصنعة تدل على الصانع ، لأن العدم لا يمكن أن يولد الوجود ، لأن فاقد الشىء لا يعطيه . إذن من الذى أتى بالسماء وبالشمس والقمر والليل والنهار ، فقد يقول لك : الطبيعة ، فقل له : ما هى الطبيعة وماشكلها وأين هى ، وهل هى أنثى أم ذكر ، فإن قال لك : إن الطبيعة عدم ، فقل له : إننا اتفقنا أن العدم لا يأتى بالوجود ، وإن قال إنها شىء قادر مهيمن فقل له : إذن نحن متفقون ، ولكن الفرق بيننا أنك سميتها طبيعة وأنا سميتها الله وهى الحقيقة ، فإذا قال لك إنها لا تعلم ، فقل له : كيف تؤمن أنت أن من أتى بك لا يعلم . كيف تكون الطبيعة وهى الخالق فى نظرك لا تعلم ومخلوقاتها ونواميسها تعلم ، وهذا دليل الإبداع . وهناك ما يسمى دليل الاضطرار وهو أنك لو أتيت بملحد وأوجدته فى مصيبة أو موقف اضطرار تجده يلجأ إلى الله ، وذلك كموقف أكثر الطلبة مثلا قبل الامتحان . وهناك دليل الفطرة ، أى شعور القلب ، وهذه هى الفطرة ، وهناك من العلماء من يقول أن أهل الجاهلية قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم محاسبون على الأصول طالما أن لم عقلا ، والآية التى تقول : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »[1] اعتبروا أن العقل بالنسبة للأصول هو رسول ، وهذه هى الفطرة التى فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله ، والحديث يقول : ( كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه )[2] ، والذى يضيع هذه الفطرة إلى حد ما هو مجرد غشاوة أو أتربة ، بدليل أنك لو أتيت بملحد وبدأت معه بالبراهين والأدلة فلا بد أن يلين معك طالما أنه بعيد عمن يشجعونه على هذا الإلحاد أو يرهبونه ويكرهونه عليه ، ويقول الله فى سورة النمل : « وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين »[3] . وسأل

(١) سورة الإسراء ، الآية ١٥ (٢) رواه مسلم .
(٣) سورة النمل ، الآية ١٤

أحد الناس عالماً من العلماء : من خلق الله ؟ فقال له : لو أن هناك من خلق الله لكان قبل الله ولكان هو الله، ثم ضرب له المثل فقال: ما هوالرقم الذى قبل رقم ٣ ؟ قال : رقم ٢ ، قال : فما قبله ؟ قال : رقم ١ ، قال: فما قبله ؟ قال : لا شيء ، قال : كذلك الله ، فليس قبله شيء ، والآخر فليس بعده شيء .

والله تعالى يتعلق به ثلاث مباحث : ذاته وصفاته وأفعاله ، فأما ذات الله فهى لا تدرك من قبل أى من خلق الله جميعاً . وأجمع العلماء على أن العجز عن إدراك ذات الله هو عين الإدراك ، وقد ثبت أن النور لا يرى ولكن ترى به الأشياء ، ولما كان الله نوراً فهو لا يرى ولكنه هو يرى ، والله تعالى ليس كذلك النور الذى نراه فى أى مصباح أو إشعاع ، ولكن ليس لذات نوره صفة توصف به ، وليس هناك عقل يدرك ذات النور « الله نور السموات والأرض »[1]، فالهواء لا نراه وهو مخلوق، والجن لا نراهم وهم مخلوقون ، فما بالنا بالخالق ، كذلك التيار الكهربائى لا يرى وهو مخلوق . فكأن الله يقول : إذا عجزتم عن إدراك بعض مخلوقاتى فكيف تدركوننى أنا « لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»[2]، « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير »[3] .

أما من جهة الصفات وهو مثل : الرحمن الرحيم الملك .. إلخ الأسماء الحسنى ، فهذه ندركها كمعانى ، ولكن حقيقة الصفات لا ندركها ، بمعنى أننا لو أخذنا صفة من الصفات الفعلية مثل المنتقم ، وذلك كما ذكرنا ، فهو ليس كمثلنا فى غضبنا ، تعالى وتقدس ، كذلك بالنسبة للرحيم ، نحن نؤمن بأن الله رحمن رحيم ، إنما الرحمة بالنسبة لنا نحن رقة فى القلب وعاطفة

(١) سورة النور ، الآية ٣٥ (٢) سورة الأنعام ، الآية ١٠٣
(٣) سورة الشورى ، الآية ١١



ولكن الله عز وجل تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، ولا ندرى حقيقة رحمته ، وإن كنا نرى آثار صفاته تعالى ، ولذلك لم يقل الله فى القرآن : فانظر إلى رحمة الله ، ولكن قال : « فانظر إلى آثار رحمة الله »[1]، ذلك أن الرحمة الإلهية نفسها لا تدرك منا .

أما من جهة الأفعال وهى ما يختص بعظمته فى الخلق والإبداع والسماء والليل والنهار .. إلخ ، فهذا ما يمكن الإحاطة ببعض عجائبه من جهة مباحث الله الثلاثة هى أفعاله فى الكون والأنفس وما خلق الله من شيء ؛ وكان الصديق أبو بكر يقول : عرفت الله بنقض العزائم ، أى أننى أعزم على الشيء ثم تنقض عزيمتى ، فدل ذلك على وجود قوة أخرى محركة لهذا الكون .

وسأل بحار جعفر الصادق : كيف عرفت الله ؟ فقال له جعفر : أما أدركك يوم فى البحر هاجت فيه الرياح واضطربت الأمواج ؟ فقال البحار : نعم . قال : فكيف يكون حالك عندها ؟ قال : أخشى من الغرق . قال : فهل هذه الخشية من الغرق مصحوبة بشيء من الرجاء ، فقال البحار : نعم هى مصحوبة بشيء من الرجاء فى النجاة ، فقال جعفر الصادق : من ترجو ؟ قال : لا أعلم ، ولكن قلبى ساعة الخطر يتجه إلى قوة كامنة أحس بها ولا أدركها وأطمع أن تكون نجاتى على يديها . فقال جعفر : هذه القوة هى الله وحده ، أنكرته فى الرخاء واتجهت إليه فى الشدة .

وسئل الإمام مالك : بِمَ عرفت الله ؟ قال : باختلاف الأصوات والألوان ، وذلك حتى بالنسبة للأشقاء ، ومن العجيب فى حكم الله أن البهائم لا تمايز ، فتجد معظم الفراخ مثلا شكلها واحد ، ولكن الإنسان

(١) سورة الروم ، الآية ٥٠

يتمايز فى الصوت والشكل « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم »[1] وذلك حتى يتم معرفة المجرم من البرىء ، والظالم من المظلوم ، والعاصى من الطائع . ويتمايز الناس ليستطيعوا العيش .

وسئل الشافعى رضى الله عنه : بِمَ عرفت الله ؟ فقال : عرفته بورقة التوت ، قالوا : وكيف ؟ قال : لونها فى كل الدنيا وحرمها واحد وطعمها واحد ، ومع هذا فإن الغزالة إذا أكلتها خرج منها المسك ، والنعجة إذا أكلتها خرج منها اللبن ، والنحلة إذا أخذت رحيقها خرج منها العسل ، والدودة إذا أكلتها خرج منها الحرير ، فالطعام واحد والناتج مختلف ، دلّ ذلك على أن للكون رباً يشكل ويلون حسب إرادته .

وقيل للإمام أبى حنيفة : بِمَ عرفت الله ؟ قال : حين كنت قادماً رأيت فى نهر العراق أمراً غريباً ، فقد رأيت ألواحاً خشبية تجمعت فجأة من غير مجمع ، ثم صنعت من نفسها سفينة من غير صانع ، ثم وضع فيها الشراع من غير واضع ، ثم وثقت بالسلع والبضائع من غير شاحن ، ثم سارت تمخر عباب البحر تتفادى كل من قابلها من غير ربان ، فقال الملحدون : إنك مجنون ، كيف ذلك ؟ قال : بعينى رأيتها . قالوا : أصنعة بغير صانع ؟ قال : إذا حكمتم بجنونى لأنى ادعيت أن السفينة من غير صانع ، فكيف لا أحكم بأنكم مجانين وقد ادعيتم أن هذه السماء بشموسها وكواكبها ، وهذه الأرض بأقطارها وحيوانها ونباتها وجبالها ، وجدت من غير خالق .

وقيل لأحمد : بِمَ عرفت ربك ؟ قال : بقلعة حصينة متينة لا ثغر فيها ولا باب ، ظاهرها أبيض كالفضة المذابة ، وباطنها أصفر كالذهب الرنان ، انشقت فجأة فخرج منها حيوان سميع بصير ، قالوا : كيف ؟

(١) سورة الروم ، الآية ٢٢



قال : ذلكم البيضة ، ألستم تسلمون معى أنها قلعة متينة حصينة ظاهرها كالفضة البيضاء وباطنها أصفر كالذهب ؟ قالوا : نعم ، قال : وليس فيها ثغرة ولا شباك . قالوا : نعم ، قال : فإذا نضجت بعد ثلاث أسابيع تنشق فجأة ويخرج منها الكتكوت ، أين كان ؟ وكيف كان يعيش ؟ ومن الذى صان عليه حياته وأمنه من العطب حتى خرج سليماً ؟ ثم قال : كيف يخرج الكتكوت ؟ قالوا : أحياناً ينقر لنفسه وأحياناً تنقر له أمه فيخرج . قال : سواء هذا أم ذاك ، فمن الذى علمه أن رزقه خارج البيضة و لِمَ لم يظل فى البيضة ، ومن الذى ألهمه ، ومن الذى ألهم الأم فى الحالة الثانية أن البيضة قد نضجت وأنها إذا كسرتها فسيخرج لها ابن ، ولم يثبت أن فرخة كسرت بيضة وخرج منها كتكوت أعور أو مجروح نتيجة لنقر الأم ، فمن الذى ألهمها بالمكان والعمق ودقة النقرة التى تنقر بها البيضة ، ثم من الذى ألهم الكتكوت حين خروجه من البيضة أن رزقه فى الأرض يلتمسه بمنقاره ، وألهم ابن البقرة بعد ولادته أن رزقه فى ضرع أمه لا فى الأرض ؟ إنه الخالق البارئ المصور « صنع الله الذى أتقن كل شىء »[1] .

## نصائح عامة فى بعض أنواع السلوك والعقائد

١ ــ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التشاؤم ويحب الفأل ، ونصح المتشائمين أن يقولوا : ( اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك )[2] .

٢ ــ كان صلى الله عليه وسلم يحب تغيير الأسماء القبيحة إلى أسماء حسنة ، كما غير اسم حرب بن على إلى اسم حسن .

٣ ــ شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إتيان الكهان ( الذين يدعون معرفة الغيب أو إحضار المفقود ) وقال : ( من أتى كاهناً وسأله

(١) سورة النمل ، الآية ٨٨ (٢) أخرجه الإمام أحمد .

عن شيء لن تقبل له صلاة أربعين يوماً ، فإن سأله وصدقه فقد كفر بما أُنزل على محمد )[1] . ومن المحرم إتيان السحرة وعمل السحر ، حتى قرر بعض العلماء أن الساحر لا توبة له ، فكلما أراد أن يتوب منعته الشياطين ، قال تعالى : « ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر »[2] .

٤ – ومن الكبائر الحسد ( أى تمنى زوال نعمة الغير ) ، أما أن يتمنى الشخص مثلها فهى الغبطة المحمودة .

٥ – من الكفر التشبه بالكفرة فيما هو من خصائصهم ، وفى الحديث : ( من تشبه بقوم فهو منهم ) وذلك مثل : لبس الزنار ، وحمل بساط الرحمة وتعليق الصليب من المسلم .

٦ – يحرم على الضيف التسبب فى وقوع أصحاب البيت فى الإثم بغير ذنب بأن يأتيهم بدون استئذان ، أو بدون ميعاد ، أو يكلفهم مالا يطيقون أو يمكث عندهم حتى يملوا ، والحديث يقول : ( لا ينبغى للضيف أن يؤلم صاحب البيت ) .

٧ – وكان صلى الله عليه وسلم ( إذا اشتهى أكل ، وإذا كره الطعام أمسك وسكت ، ولم يعب طعاماً قط ، وشر الطعام طعام الوليمة ، يدعى إليها من لا يحتاج ويحرم منها الفقراء ) . وقال صلى الله عليه وسلم أيضاً : ( من دعى ولم يجب فقد عصى أبا القاسم )[3] وذلك بشروط ألا يكون فى الدعوة معصية ، كشرب خمر أو لهو أو اتفاق على شر .

٨ – ومن الخطإ الانفراد عند الأكل ، وفى الحديث : ( شركم من يأكل وحده ويجلد عبده ويمنع رفده ) أى عونه للناس . ولما شكا إليه

(١) الحديث بروايات متعددة ورد فى صحيح مسلم وأبى داود وغيرهما .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٠٢ (٣) متفق عليه .



ناس أنهم يأكلون ولا يشبعون ، قال : لعلكم تفترقون على طعامكم ، اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه[1] .

٩ – ومن المصائب عقوق الوالدين وقطع الأرحام والكبر عن إفشاء السلام والاختلاط والخلوة بغير ذى محرم .

١٠ – ومن المحرمات بيع وشراء أوراق اليانصيب ، لأنها من أنواع القمار ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن بيع الغرر .

١١ – ومن المحرمات كثرة الحلف بالله سيما فى البيع والشراء وخاصة إذا تعمد الكذب لكى يصدقه المشترى ، وهو يمين الغموس ، يغمس صاحبه فى النار .

١٢ – وأبغض الحلال إلى الله الطلاق ، ولم يبح الإسلام الحلف به وإنما شرعه لحل العصمة بين الزوجين عند تعذرها ، ولم يجعله فى فم الرجل كلما غضب حلف ، بل شرع عند تعذر الحياة الزوجية أو وجود النشوز ، كعليه وعظها ثم هجرها فى المضجع ثم ضربها ضرباً غير مبرح ، لا يكسر عظماً ولا يسيل دماً ، فإن لم ينفع كل هذا بعث حكماً من أهله وحكماً من أهلها للإصلاح ، فإن لم يتحقق مع هذا كله إصلاحها طلقها طلقة واحدة رجعية بشرط ألا تخرج من بيت الزوجية ، لأن الرجعية لا تزال زوجة بحيث لو ماتت أثناء العدة يرثها زوجها ، وإن مات هو ترثه ، ولو ترتب على وجودها فى السكن أو فى البيت أن اتصل بها فقد راجعها ورجعت إلى عصمته عملياً ، بشرط أن يكون ذلك قبل انقضاء العدة ثلاث حيضات وإن طلقها الثالثة فلا تساكنه ولا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره زواجاً شرعياً حسب الشروط الإسلامية .

ومن آداب الطلاق : أن يكون أمام شهود لينصحوا الزوج بالتأنى ،

(١) رواه أبو داود وابن حبان .

قال تعالى: « وأشهدوا ذوى عدل منكم »[1]، وأن يكون المطلق فى حالة هدوء وتدبر للعواقب . أما إذا وصل به الغضب حد الجنون ، لأنها استفزته مثلا أو بلغ به الغضب أن حميت عاطفته ولم يستطيع أن يتحكم فيها بعقله وطلقها عند ذلك ، فهو يمين لاغ . وفى الحديث : ( لا طلاق فى إغلاق ) ، ومعناه : لا يقع الطلاق إذا انغلق باب التروى وتغلبت العاطفة.

ومن آداب الطلاق : ألا يطلق الزوج زوجته وهى حائض ولا بعد الجماع ، بل إذا تحتم الطلاق فيجب أن يكون فى طهر لم يجامعها فيه ، وفى هذا يقول تعالى : « فطلقوهن لعدتهن »[2] الآية .. فربما لو كانت حائضاً لنفر طبعه منها لعدم عنايتها بنظافة نفسها ، ولو طلقها بعد الجماع ربما يتبين أنها حامل فيندم . فجلت حكمة الله سبحانه .

١٣ ــ أيمان الحرام من أيمان الجاهلية ، ويحرم الحلف بغير الله ، كالنبى والولى والأمانة ، وفى الحديث : ( من حلف بغير الله فقد أشرك )[3] ــ ( لاتحلفوا بالأمانة ومن حلف بالأمانة ليس منا )[4] ــ ( من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت )[5] .

١٤ ــ ومن المحرم تفضيل بعض الأولاد فى العطية ، وفى الحديث : ( اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم )[6] ، ويحدث أحياناً أن يكون بعض الأبناء مريضاً أو عاجزاً عن العمل أو التعليم أو يكون أنفق أموالا اعتبرها الوالدان ديوناً له ، ففى هذه الحالات يجب إحضار كل الورثة فى مجلس واحد ويذكر لهم الأب أو الأم الحقيقة لأخيهم العاجز أو الدائن ، ويقول لهم الأب : إنكم لو أخذتم مثل أخيكم هذا لظلمتموه فلابد أن تميزوه بشىء

(١) سورة الطلاق ، الآية ٢ (٢) سورة الطلاق ، الآية ١
(٣) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه والحاكم .
(٤) رواه أبو داود . (٥) متفق عليه ورواه غيرهما .
(٦) متفق عليه من حديث النعمان بن بشير .



حتى يمكنه التساوى معكم فيما امتزتم به أو حتى يتمكن العاجز من الحياة الكريمة .

١٥ ــ ومن المحرمات الكبرى التى تؤدى إلى الخروج من الدين ( سب الدين ) الذى يحدث من كثير من الرجال والنساء ، فإذا كان الذى يسب الدين يقصد الدين الإسلامى فقد خرج من الملة ، وهو كافر مرتد بالإجماع يفسخ زواجه وتبطل عبادته ويحل دمه ، والحديث يقول : ( من بدل دينه فاقتلوه )[1] . فإن كان يقصد سب الدين بمعنى المعاملة ، لأن الحديث يقول : ( الدين المعاملة ) ولم يخطر له الإسلام على بال بأن طالب مثلا مديناً له بالدين فسب دينه ، أى معاملته ، وسألناه عن نيته ، فقال أقصد معاملته ولا أسب ديناً ، ولو كان عنده دين لوفانى حتى ؛ ففى هذه الحالة يكون فاسقاً ، وواجبنا أن نعرض عليه التوبة الفورية من ظاهر لفظه السيىء البشع ، ولا بد أن نتيقن من النية فى هذه الحالة ، لأننا إن كفرنا مسلما من غير كفر منه كفرنا ، والمفروض حسن الظن حتى نتيقن الضد . وقد قرر العلماء قاطبة أنه لو نطق إنسان بكلمة تحتمل الكفر من ٩٩ وجهاً وتحتمل الإيمان من وجه واحد حملناها على الإسلام لوجوب حسن الظن بالمسلمين ، ويجب زجر الأطفال وغيرهم عن نطق هذا اللفظ الشنيع .

١٦ ــ ومن البدع الخرافية عمل الزار باسم حضور الجن وعفوهم عن المريض ، مع أن الله قال : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[2] أى زادوهم تعباً ومرضاً وأرهقوهم بالتكاليف وما الزار إلا شهوة ضلالية لدى الشواذ من الرجال والنساء التماساً للهو والمتعة المحرمة .

(١) رواه أحمد والبخارى عن ابن عباس .
(٢) سورة الجن ، الآية ٦

١٧ – ومن البدع التجرؤ فى الفتوى دون تثبت . وفى الأثر : ( أجرؤكم على الفتوى أجرؤكم على النار ) . والله يقول : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون »[1]. وقال: « ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم »[2]. وفى الأثر: ( استعينوا على كل صنعة بأهلها ) .

١٨ – ومن مصائب بعض المسلمين التنقيص من شأن السلف وامتهان كرامتهم ، وترى كثيراً منهم دائم البحث عن حقيقة إسلام والدى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهل ماتا مسلمين أو كافرين ، مع قول الله : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة »[3] . وقال : « والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم »[4] . كذلك التحدث دائماً عن قتال الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً ، كعلى وعائشة ومعاوية كما سبق ، وعن اختلاف الأئمة حتى يفقد الناس الثقة فيهم ، مع أنهم جميعاً مجتهدون ، والمجتهد إن أصاب فله أجران وأن أخطأ فله أجر .

١٩ – ومن المحرمات المجاهرة بالمعاصى . والحديث يقول : ( كل أمتى معافى إلا المجاهرين ) ، بل هناك من يتباهى بها أمام زملائه .

٢٠ – ومن الظواهر المتفشية الغش فى المعاملات . والحديث يقول : ( من غش أمتى فليس منى ) .

٢١ – ومن البدع التمائم والأحجبة والرقى غير الشرعية . وفى الحديث ( من علق تميمة فلا أتم الله له ، أو ودعة فلا ودع الله له ، والرقى والتولة شرك ) . ومن أراد أن يعرف الرقى الشرعية والأذكار الشرعية فعليه بكتاب الكلم الطيب لابن تيمية ، أو الأذكار للنووى ، أو الجزء الثالث من الدين الخالص .

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٧ (٢) سورة النساء ، الآية ٨٣
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٥٧ (٤) سورة التوبة ، الآية ٦١



٢٢ – ومن بدعهم اعتقاد الكبسة عند النفاس وعدم ترك مكان الولادة قبل أسبوع مخافة أن يتبدل الطفل .

٢٣ – ومن عاداتهم الخرافية التى لا أصل لها : زراعة الصبار عند القبور ، ورش الماء على قبر المرأة التى تزوج زوجها بعد موتها حتى يطفئوا نار الغيرة منها كما يزعمون ، وتحريم كنس المنزل عقب سفر أحد أهله خوفاً من ألا يرجع .

٢٤ – ومن المحرم الخطبة على الخطبة والبيع على البيع ، والحديث يقول : ( لايبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه )[1] .

ويكثر التساؤل هنا عن حكم الرضاع فى تحريم الزواج ، ونقول : كل ذكر لم يرضع من أم عروسه خمس رضعات فأكثر ، وعروسه لم ترضع أيضاً من أمه خمس رضعات فأكثر وهما لم يرضعا من ثدى أجنبي واحد مشترك خمس رضعات فأكثر ، ولم ترضع أم الذكر من أم الأنثى والعكس ، حل تزاوجهما قطعاً ، والعبرة فى التحريم بمن رضع وحده ، أما إخوته فلا يحرمون ، فمثلا : لو رضع علىّ من عائشة فكل بنات عائشة حرام على علىّ فقط ، أما إخوة علىّ فكل بنات عائشة حلال لهم . ولو رضعت فاطمة من زينب صار كل أبناء زينب محرمين على فاطمة وحدها ، أما أخوات فاطمة فحلال لكل أبناء زينب . وإذا ثبت الرضاع المحرم بين الزوجين وهو خمس رضعات فأكثر على المختار فى الفتوى وجب فسخ العقد فوراً ويلحق الأولاد بأبيهم ، فإن لم يكونا يعلمان بالرضاع المحرم ثم علماه فهو نكاح شبهة وعليهما التفارق فوراً ، وإن كانا يعلمانه أو علماه ثم استمرا متعاشرين فهما زانيان ووجبت عليهما اللعنة وإقامة الحد من الحاكم المسلم والتفريق بينهما .

(١) رواه أحمد ومسلم .

# (أولا) العبادات

## بـــدع الطهارة

إن الطهارة هى المدخل الكريم لعبادة الله ، وإهمال الطهارة أو الجهل بأحكامها يؤدى إلى بطلان الصلاة ، وفى الحديث : (لا يقبل الله صلاة بغير طهور)[1] ، فعلى العاقل أن يستوعب أحكامها من وضوء وغسل وتيمم وطهارة ونجاسة . قال تعالى: « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين»[2] . ويقول سبحانه بعد آية الوضوء فى سورة المائدة : « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون »[3] . وشأن الطهارة فى الإسلام مبنى على التخفيف والنظافة ورفع الحرج ، فمن لم يجد الماء أو كان يضره استعماله فعليه أن يتيمم بضربتين بكفيه : ضربة للوجه وضربة لليدين . وهكذا شأن كل شعائر الدين . ونسوق هنا بعض بدع الطهارة ، تذكيراً للفاهمين وتنبيهاً للناسين والمخطئين .

١ ــ فمن بدع الطهارة عدم الاستبراء من البول وعدم إتقان الاستنجاء حتى يطمئن قلبه بنقاء المحلين وانقطاع الإفرازات ، والمطلوب من المسلم ألا يشرع فى الوضوء إلا بعد انقطاع الرشح والخارج فى حال صحته ، وإلا فإن وضوءه باطل ، أما صاحب السلس والعذر فله حكم آخر للضرورة ، يؤخر الطهارة إلى دخول الوقت ، ويوالى بين الاستبراء والوضوء والصلاة ، ويتطهر لكل فريضة ، فقد كان رسول الله صلى الله

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والترمذى . (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٢٢
(٣) سورة المائدة ، الآية ٦



عليه وسلم كثيراً ما يحذر الصحابة من البول ويقول : (عامة عذاب القبر من البول) .

وفى رواية أخرى: (عامة عذاب أمتى فى قبورها من البول)[1] .

وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على قبرين لرجلين وقال : (إنهما يعذبان وما يعذبان فى كبير ، بلى إنه كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله ، وأما الثانى فكان يمشى بين الناس بالنميمة)[2] . وفى إسناد آخر : (كان يأكل لحوم الناس بالغيبة)[3] .

وليس معنى هذا أن نصاب بداء الوسواس فنظل نستبرئ من البول معظم حياتنا ونفرد له أزماناً طويلة فى الخلاء ، وذلك لأنك كلما استدررت البول بيدك در العضو ، ويقول العلماء عن ذلك أنه كلما استدر العضو در وإذا تركه استقر ، وإنما يقطع الماء ، فإذا استبرأت من بولك واستنجيت بالماء فقد كمل لك الواجب فى الطهارة .

وقد قال لقمان لابنه : يا بنى ، لا تطل القعود فى بيت الخلاء دون ضرورة ، فإن ذلك يولد داء الباسور ، ثم إنه مجلس الشياطين والدنس .

ويجب حين الاستجمار بالحجر أن ينتقى الحجر الطاهر الذى له خاصة الامتصاص وليس الأملس غير المزيل للنجاسة بل يزيدها انتشاراً ، والجمع بين الحجر والماء عند يسرهما أفضل ، فإن أراد الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل ، ويجوز الاقتصار على أحدهما .

٢ ــ تأخير رفع الحدث الأكبر لحين حضور وقت الصلاة ، بل وقد نجد من يذهبون إلى أعمالهم وهم على غير طهارة من الجنابة ، لظنهم أن بين الصبح وصلاة الظهر فسحة من الوقت ، فيؤخرون الطهارة لحين العودة

(١) أخرجه البزار والطبرى . (٢) متفق عليه .
(٣) رواه أحمد وغيره .

للمنزل ، فليت شعرى أين هذا المسلم من ربه إن وافته منيته وهو على هذه الحالة ، هذا بالإضافة إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن رب العزة أنه قال فى الحديث القدسى : ( ثلاث من حافظ عليهن كان ولي حقاً ومن ضيعهنّ كان عدوى حقاً : الصلاة والصوم والغسل من الجنابة ) . وفى رواية : أن الرسول صلى الله عليه وسلم رغب الجنب إذا أراد أن يأكل أو ينام أن يتوضأ . قال فى رواية : ( فإنى أخشى أن يموت فلا يحضره جبريل ) مع أن نزول الملائكة ضرورى عند الموت للتذكير بتوحيد الله وطرد الشياطين وأفكار السوء .

٤ – ومن البدع ترك التسمية عند بدء الغسل أو الوضوء ، وفيها يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( كل عمل لا يبدأ فيه باسم الله فهو أقطع ) أى ناقص . وفى رواية : ( لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه )[1] .

٥ – ومن البدع التوضؤ بإسقاط الماء على العضو أو استغلال ارتفاع الصنبور وترك اليد أو الوجه تحته ، وهذا لا يحقق كمال الوضوء ، لأنه ينبغى أن يعنى المتطهر بإمرار اليد على العضو مع الدلك ، وهذا يحقق الإسباغ ، أى تعمم العضو بجريان الماء عليه ، وقد اعتبره بعض الأئمة ركناً فى الطهارة .

٦ – ومن البدع الإهمال فى غسل الأعضاء التى ربما لا يصلها الماء لانخفاضها أو التئامها كالعقب وبطن القدم وما بين الأصابع وخاصة الرجلين ، وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ويل للأعقاب من النار )[2] أى الأجزاء التى لا يصلها الماء إلا بالعناية بها بخصوصها ، لأن ما لا يغمره الماء سيبطل طهارة ما غمره الماء . ولقد رأى صلى الله عليه

(١) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى بسند ضعيف .

(٢) متفق عليه .



وسلم لمعة فى ظهر قدم مصل ، أى جزء يسير لم يصله الماء ( فأمره أن يعيد الوضوء والصلاة ) ، وقال لأبى الهيثم : ( بطن القدم يا أبا الهيثم ) .

وفى رواية : ( من لم يخلل أصابعه خللها الله بالنار يوم القيامة ) .

٧ – ومن الاعتداء الإكثار فى الوضوء للعضو عن ثلاث مرات ، والإسراف كذلك فى ماء الغسل دون مبرر – قال أحمد : من فقه الرجل عدم ولوعه بالماء . وقال تعالى : « إنه لا يحب المعتدين »[1] . وفسرها صلى الله عليه وسلم بالاعتداء فى الطهور والدعاء ، الأول بالإسراف والثانى يطلب فيه المغالاة وعدم الاعتدال ، كأن يقول : اللهم إنى أسألك بحراً من لبن وجبلا من ذهب ، وقدرة الله لا شك فيها وهى قادرة على فعل أكثر من هذا ، ولكنه الإفراط فيما لم تجربه عادة الداعين – أو كما قال آخر : اللهم إنى أسألك أباريق الجنة وأكوابها وفضتها وذهبها وفاكهتها ولحمها وحريرها .. فقال صلى الله عليه وسلم : ( يا هذا ، اسأل الله الجنة وكفى ، فإنك إن دخلتها أخذت كل ما فيها ) .

٨ – ومن البدع التجاوز عن الحد المقرر فى كمية الماء عند الطهارة دون ضرورة ولو على شاطئ نهر أو بئر ، وكان عليه الصلاة والسلام يكتفى فى الوضوء بالمد ( ¼ قدح ) وفى الغسل بالصاع ( قدحان ) وقد قال سعيد بن المسيب : ( إنى استقى من كوز الجب وأتوضأ وأفضل لأهلى ) وليست الوسوسة احتياطاً فى الدين ولا ورعاً ولكنها إسراف وتجاوز فى حدود الله .

قيل لأبى الوفاء ابن عقيل عن رجل ينغمس فى الماء مراراً ولكنه يشك هل صح غسله أم لا ، فقال ابن عقيل : لقد سقطت عنه الصلاة لأنه مجنون رفع عنه القلم ، وهذا فضلا عن انشغال ذمة الموسوس بمال

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٥

الغير إذا كان الماء مملوكاً لغيره فيسأل عنه أمام الله . وفى حديث صحيح : ( من ابتلى بالوسوسة فليعتقد بالله ولينته ) . وفى رواية : ( فليقل آمنت بالله ورسوله ) . وعلاجه فى كثرة ذكر الله وخاصة ( لا إله إلا الله ) . قال صلى الله عليه وسلم لسعد : ( لا تسرف فى الماء ولو على شاطئ بئر ) . وقد ثبت علمياً أن التعود على الإسراف فى شيء يشجع على الإسراف فى غيره ، ولا تزال دائرة الإسراف تتسع حتى تشمل كل تصرفاته ، فعدوى الأخلاق تسرى ، وقد يتعود السرف فى الماء ثم يتعود السرف فى الكلام ، فالمال ، فالاختلاط بمن هب ودب ، وهكذا حتى يكون أمره فرطاً . نعوذ بالله من الخذلان .

٩ – ومن البدع المؤذية الوضوء مع اتساخ سائر الجسد ووجود الرائحة الكريهة منه ( كالعرق ) ، فترى كثيراً من المصلين إذا أرادوا الإقبال إلى الصلاة يتوضئون وهم فى حاجة إلى غسل لأبدانهم من آثار الدنس ، وهذا من الجهل بحكمة الشرع من الوضوء ، إذ ليس المطلوب من الوضوء المظهر فقط ، ولكن الجوهر أيضاً مطلوب . وإنى لأعجب ممن توضأ وقام للصلاة وبين أصابعه وأظافره مجموعات سوداء من الطين والأوحال أو يلبس جوراباً متنناً ، فإن هذه المكروهات فضلا عن إيذائها لصاحبها فإنها تؤذى المتعبدين ، بل قد تتسبب فى انقطاعهم عن المسجد ، قال تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً »[1] ، وفى الحديث : ( ملعون من ضار مؤمناً ) . وقال الشافعى رحمه الله : ( من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ) .

ولعل هذا هو السر فى تحريم دخول المسجد ثلاثاً : عن من أكل

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٨



بصلا أو ثوماً أو كراثاً أو فجلا ، فهل رائحة الثوب المنتن أو الأصابع أو البدن أو الجورب أقل ضرراً وإيذاء من هذه الأشياء ، وأشد من البصل وأخواته فى وجوب التنزه عنه الدخان ، الذى عم بلاؤه العالمين ، وضرره أصبح معترفاً به من كل الأوساط الطبية فى الداخل والخارج ، وصلته بسرطان الرئة وغيره من الأمراض لا شك فيها ، فضلا عن نتن ريحه الذى يؤذى غير الشاربين . وإذا كان النبى صلى الله عليه وسلم سمى البصل والثوم النيئ شجرة خبيثة ، وحذر من أكل منها دون طبخ من قربان المسجد ثلاثاً ( فالله يحرم الخبائث ) فإن الدخان أدهى وأمر .

١٠ – ومن بدع الاستنجاء عدم مراعاة الذكر عند الدخول والخروج بالمأثور : ( بسم الله ، أعوذ بك من الخبث والخبائث[1] – غفرانك غفرانك[2] الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ) ، وقد تجد بعض الشبان يقفون متجاورين يقضون حاجتهم وانكشف كل منهم على عورة الآخر دون حياء أو مبالاة . وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا وأخبر أن الله يمقت من يفعل ذلك ، كما نهى أن يتبول الرجل قائماً ، وأمر من يريد التبول أن يختار لبوله المكان الرخو الدمث حتى لا يرتد عليه رشاش البول ويتنجس – كما حذر صلى الله عليه وسلم من أن يمس المرء ذكره بيمينه – فكانت يمينه لكل ما هو تكريم كالمصافحة والأخذ والعطاء ، ويساره لما كان من أذى كالاستنجاء .

١١ – ومن بدع الوضوء تلك الأذكار والأدعية التى يرددها الكثير على أعضاء الوضوء دون سند من الكتاب والسنة ، كقولهم عند المضمضة : أذقنى طعم الجنة ، وعند غسل الوجه : بيض وجهى ، وعند اليد اليمنى : أعطنى كتابى بيمينى ، وعند اليسار : يسر ولا تعسر ، وعند الرجلين :

(١) رواه الجماعة .
(٢) رواه الخمسة إلا النسائى .

ثبت قدمى ، وعند الانتهاء : سورة الانشراح والقدر ، فكل ذلك لم يثبت من طريق صحيح عن أحد يعتد به ، والثابت أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى أول وضوئه باسم الله والحمد لله وفى أثنائه وبعده ( اللهم اغفر لى ذنبي ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزق )[1] وعند الفراغ منه يرفع كفيه وبصره إلى السماء مستقبلا القبلة ويقول : ( أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك )[2]. وأخبر أن من قال هذا فتحت له أبواب الجنة الثمانيـة يدخل من أيهـا شاء ، ولا يزيد قـولهم : ( واجعلنـا من عبادك الصالحين ) .

١٢ ـ والسنة الكاملة فى الوضوء أن يبدأ بغسل كفيه إلى الرسغين ، مخللا أصـابع كفيه ، محركاً خاتمـه ثلاثاً ، مسمياً الله كما سـبق ، ثم يتمضمض ويستنشق لكل ثلاثاً ، وله أن يفرد المضمضة عن الاستنشاق ، يتمضمض ويستنشق لكل ثلاثاً ، وله الجمع بينهما بثلاث غرف ، كل غرفة يقسمها بينهما نصفين ، ويعنى بالسواك جيداً ، عرضاً فى الأسنان ، وطولا فى اللسان ، ويبالغ فى الاستنشاق ، إلا أن يكون صائماً كما فى الحديث ، ثم يغسل وجهه ثلاثاً من منبت الشعر فى الرأس إلى أسفل الذقن طولا ما بين وتدى الأذنين عرضاً ، ويراعى اللحاظ فى آخر العين من الخارج والموق بجانب الأنف مما يعلق

(١) رواه النسائى وابن السنى .

(٢) رواه مسلم حتى قوله صلى الله عليه وسلم : ( وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ) ، وزاد : ( إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء ) .

قوله صلى الله عليه وسلم : (سبحانك اللهم وبحمدك ...) من رواية الطبرانى والنسائى .

دعاء : ( اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين ) من رواية الترمذى ، وقد قال فى الحديث : وفى إسناده اضطراب ولا يصح فيه شىء كبير .



بهما ، ثم يغسل اليدين إلى ما فوق المرفقين ، فالحلية تبلغ من المؤمن يوم القيامة مبلغ الوضوء وفى اليدين بياض التحجيل وفى الوجه الغرة إن شاء الله ، ثم يمسح رأسه بادئاً بمقدمتها الناصية ثم يدبر ثم يقبل ثم يدبراً ماراً بالصدغين والأذنين والقفا ، كل ذلك بالكفين معاً ، ثم يغسل رجليه ثلاثاً بادئاً دائماً فى كل ذلك باليمنى قبل اليسرى ، مخللا أصابعهما ، ويعنى بباطن القدم والأعقاب ويوصل الماء إلى ما فوق الكعبين احتياطاً ، ويقول فى أثناء الوضوء وبعده ما ذكرناه ، وكذلك بعد انتهائه ، فهذا هو الوضوء الذى يكفر الله به الخطايا والذنوب ، وليس هناك فى الشرع قراءة سورة القدر أو الانشراح ، فكل ذلك لم يرد من طريق صحيح .

١٣ ـ والسنة فى الغسل بعد أن يكون قد تنظف بنحو الصابون أن يبدأ بالاستنجاء ، ثم يتوضأ كوضوء الصلاة مؤخراً رجليه ، ثم يفيض الماء على جسمه كله ، مراعياً باطن الأذنين وداخل السرة وتحت الإبط وما بين المحلين . وفى الحديث : ( إن تحت كل شعرة جنابة فخللوا الشعر ونقوا البشرة)[1]. ولهذه المناسبة ليحذر كل الحذر من فعل الملعونين الذين يقصدون إلى المصايف والحمامات عرايا رجالا ونساء باسم الترويح عن النفس ، فإن هذا مما أثار الغرائز وأدخل الزنا فى كل بيت مما يرى الناس ويسمعون ويقرأون . وفى الحديث : ( إذا حل الربا والزنا فى قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله )[2]. وقال : ( من خلعت ثوبها فى غير بيت زوجها فقد هتكت الستر بينها وبين ربها ) .

١٤ ـ ومما لا ينبغى فى الوضوء التكلم فى أثنائه بغير الذكر الوارد ، فإن الوضوء شعيرة من شعائر الإسلام ، وهو مقدمة للصلاة وشرط فيها ،

(١) أخرجه أبو داود والترمذى . (٢) رواه أحمد .

فينبغي تنزيهها عن اللغو ، اللهم إلا لضرورة ملحة ، والله يقول : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »[1] .

١٥ – ومن المنكرات في باب الطهارة ذكر الله أو إلقاء السلام أو رده داخل محل قضاء الحاجة وخاصة حينما يكون المرء عارياً أو في مكان التغوط والنجاسة ، فإنه لا يرد السلام ولا ينطق بذكر الله في هذه الأماكن ، وله ذكره بقلبه دون تحريك لسانه ، وإذا عطس حمد الله بقلبه ، وإذا سمع الأذان أخر الإجابة ، وكان صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء نزع خاتمه الذي عليه اسم الله إلى ما بعد ذلك تعظيماً لاسم ربه تعالى ، بل كان مرة يقضي حاجته ، فمر عليه رجل وألقى عليه السلام ، فلم يرد عليه حتى انتهى من حاجته ، ثم جاء إلى حائط وحكها بعود فأثار منها تراباً تيمم منه ، ثم رد على الرجل سلامه وقال له : إني كرهت أن أرد عليك السلام وأنا على غير طهارة[2] .

١٦ – الإهمال في إغلاق صنابير المياه أو تركها فاسدة دون إصلاح – وهذه المعصية تعرض من علم بها ولم يقم بواجبه نحوها ، نحو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذه الحالة ، كل حسب مقدرته ، إلى ارتكاب أوزار ، وقد يكون هذا الماء ملكاً للغير فيشكوه المالك لله ، وقد نشاهد كثيراً في هذه الأيام مساجد عظيمة تقام فيها الصلاة وصوت مياه الصنابير المتساقطة ما بين مفتوح وفاسد يشوش على صوت الإمام ، وهذا نوع من الفساد كثيراً ما نشاهده في القطاع العام وفي دورات المياه العامة والحدائق – وهذا إسراف يحمل وزره كل مسئول عنه أو قادر على إزالته ولم يفعل ، وهكذا ، كما نرى مصابيح النور العامة في الشوارع مظلمة بالليل مضيئة بالنهار دون مبالاة أو إحساس بالتبعة والجريمة .

(١) سورة الحج ، الآية ٣٢

(٢) متفق عليه وعند أحمد وأبي داود والنسائي بالزيادة في آخره .



١٧ – ومن بدع الطهارة قضاء الحاجة على قارعة الطريق أو في موارد الماء أو الظل ومجتمعات الناس وأماكن جلوسهم أو تشاورهم أو على أبواب المساجد وحولها ، فإن هذا الإجرام ، فضلا عما فيه من أضرار صحية لا شك فيها ، فهو ينفر الناس من دخول المساجد ومن عبادة الله ، وهو عنوان لدى الأجانب والعقلاء المفكرين على سوء أحوال المسلمين ، وربما فهموا خطأ أن الإسلام هكذا ، مع أن أول أبواب العبادات في الفقه الإسلامي ( باب الطهارة ) وفي الأثر : ( إن الله نظيف يحب النظافة فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف وإن هذا الدين بني على النظافة ) ، وقد سمى نبي الإسلام التبول أو التبرز في مثل هذه الأماكن بالملاعن ، أي موجبات اللعنة ، كما نهى عن التبول في الماء الجاري والراكد .

## بدع المساجد

المساجد بيوت الله ، فيها يعبد وفيها يذكر اسمه ( إنما بنيت المساجد لذكر الله )[1] حديث صحيح ، ففيها تؤدى الصلاة ويعتكف لله ويتلى كتاب الله وتتعلم أحكام الدين ، وفيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، وهي حصن الأمة ، بها يدفع الله عنها الضر ، تنير في الأرض كما تنير النجوم في السماء ، ومن جملة السبعة المظلين في ظل العرش يوم القيامة رجل قلبه معلق بالمساجد . وفي الحديث : ( إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان )[2] . وفي رواية : يتعهد المساجد .

ومن ضمن كفارات الذنوب نقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم

(١) رواه مسلم . (٢) رواه أحمد وغيره .

الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده - كل هذا وارد فى الأحاديث الصحيحة .

وقال تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »[1] .

وقال : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »[2] .

وقال : « فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال * رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار »[3] .

وما دامت المساجد هكذا للعبادة كما ورد فلا بد فيها من أمرين :

( ا ) إبعادها عن شرور الدنيا الفانية .

(ب) أداء العبادة فيها حسب طلب المعبود .

وفى الحديث : (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وإقامة حدودكم وبيعكم وشرائكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم وخصوماتكم واجعلوا على أبوابها مطاهركم وجمروها فى الجمع )[4] أى بخروها .

١ - من بدع المساجد إغلاقها فى غير أول وقت الصلاة ، فربما أدى ذلك إلى تضييع ثواب الصلاة فى المسجد لمن لم يتيسر له أداؤها فى أول الوقت - وهم كثير - فينبغى فتحها بالليل والنهار ، وإذا خيف من امتهانها أو سرقتها عين لها حارس .

٢ - علو المنابر وارتفاعها نحو السقف وامتدادها للأمام فى المسجد حتى تقطع بعض الصفوف ، كذلك ما يضعونه على جوانبها وبابها من ستائر ، فكل هذا محدث ، ومنبر النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد

(١) سورة التوبة ، الآية ١٨ (٢) سورة الجن ، الآية ١٨
(٣) سورة النور ، الآيتان ٣٦ و٣٧ (٤) رواه ابن ماجه والطبرانى .



على درجتين والمستراح ، فلا يقطع الصفوف ولا يخفى الخطيب عن الحاضرين ..

والذى ابتدع بدعة علو المنابر وسترها وجعل أبواباً لها ، حكام من الظلمة الذين كانو يخافـون من الشعب ومما صب عليه من ظلمهم ، فيخافون أن يقتلوا فى أثناء الخطبة ، فاختفوا فى هذه المنابر واستروا عن أعين الناس بالباب والجوانب والستائر ، وشغلوا الحاضرين بالجهر بالقرآن بسورة الكهف أو غيرها حتى يشغلوا الناس عن الحديث فى السياسة الجائرة .

والمنابر الحاضرة التى نجدها فى بعض المساجد تبعد الخطيب عن الحاضرين ، كأنه يخطب لأهل السماء ، وتشغل حيزاً من المساجد زائداً عن قدر الضرورة حيث تجدها تقطع الصفوف ، والحديث يقول : (من وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله )[1] .

ولا شك أن هذه المنابر العريضة المرتفعة تقطع الصفوف .

٣ - وكما منعنا المنبر المرتفع العريض نجد فى حكمه الدكك العريضة التى توضع فى المساجد للمبلغين وقراء السور ، فتجدها أيضاً تشغل حيزاً يقطع الصفوف ، فضلا عن أن الهدف من وضعها وهو الجهر بالتلاوة والتبليغ خطأ كما سيأتى .

٤ - ومن البدع تزويق المساجد وزخرفة المحاريب وتجويفها . قال عمر رضى الله عنه للبناء الذى وكله ببناء المسجد : ( اكن الناس من المطر وإياك أن تحمر أو تصفر ) ، لأن كل ذلك يشغل المصلى عن الخشوع ، وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك على يد خالد بن عبد الله القسرى .

(١) رواه النسائى وابن خزيمة والحاكم .

٥ - ومن البدع أيضاً تجويف المحاريب التى هو من شأن الكنائس ، وهذا عمل محدث فى مساجد المسلمين فى آخر المائة الأولى الهجرية بالرغم من ورود حديث النهى عن ذلك وأنه من علامات الساعة ، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( اتقوا هذه المذابح ) رواه البيهقى .

كما كره ابن مسعود الصلاة بهذه المحاريب المجوفة وقال : ( هى كنائس ) رواه البزار .

وفى الحديث : ( لا تزال أمتى بخير ما لم يتخذوا فى مساجدهم مذابح كمذابح النصارى ) أخرجه السيوطى .

٦ - ومن ألعن بدع المساجد وجود الأضرحة بها والطواف حولها كالكعبة وتسميتها حرماً ، فإن ذلك سبب شركاً لكثير ممن يشدون الرحال إليها - فترى الطائفين حولها يقبلون الأخشاب ويسجدون عند الباب ويتمسحون بها ويطلبون المدد والعون من صاحب القبر ، داعين إياه من دون الله أو متخذينه واسطة بينهم وبين ربهم القائل : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان »[1] .

وفى بعض هذه المساجد يخصصون للضريح جماعة بإمام مستقل ، فيفرقون كلمة المسلمين فى المكان الواحد ، ويعتقدون امتياز الصلاة بداخل الضريح عن المسجد ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تصلوا إلى المقابر ) . وقال عليه الصلاة والسلام : ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تفعلوا ، وكررها ثلاثاً )[2] . وقال صلى الله عليه وسلم : ( لا تتخذوا قبرى عيداً - أى تتعودون المجىء إليه - وصلوا علىّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى ) .

وقد رأى الحسين بن الحسن ، سهيل بن أبى سهيل عند القبر الشريف ،

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٦ (٢) متفق عليه .



فسأله : لم جئت ؟ قال : جئت لأصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال له الحسين : ( ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء ، صل عليه حيثما كنت ) رواه سعيد بن منصور فى سننه .

ونحن معشر المسلمين لنا أعياد محدودة ، فمنها ما هو زمنى كالفطر والأضحى ، وأخرى مكانية وهى الكعبة ، أما القبور والأضرحة فورد النهى عنها ، وقد يحدث كثيراً أن تذهب العروس إلى الضريح مع جملة نسوة ورجال وشباب من أجل البركة ، وهناك تجد التعرى والسفور والفجور وإبداء الزينة وفتنة الشباب .

٧ - الكتابة على جدران المسجد وخاصة فى قبلته ، فهى مما يشغل المصلى ، بل وأحياناً تجد الإمام يقرأ الفاتحة مثلا والمأموم مشغول بقراءة آية « فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام »[1] أو أية آية أخرى مكتوبة ، وإشغال المصلى بذلك حرام .

٨ - يلحق بهذا دخول المساجد بالروائح الكريهة أو تقذيرها ولو بالطاهر ، وفى الحديث : ( من أكل بصلا أو ثوماً أو كراثاً أو فجلا فليعتزلنا وليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم )[2] . وقد شاهد النبى صلى الله عليه وسلم بصاقاً فى حائط القبلة ، فسأل عمن فعله ، فقالوا له : ( الإمام ) فقال : لا يصل بكم بعد هذا . فذهب إليه الإمام شاكياً . فقال صلى الله عليه وسلم : ( إنك آذيت الله ورسوله ، أتحب أن يبصق أحد فى وجهك ؟ قال : لا ، قال : ( فإن الله قبل وجه أحدكم إذا قام يصلى )[3] .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٤٤

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى .

(٣) رواه أبو داود وابن حبان .

٩ – ومن البدع السؤال فى المساجد (الشحاذة) وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سأل فى المسجد فلا تعطوه ..

١٠ – ومن البدع إنشاد الضالة فى المساجد وإنشاد الشعر والبيع والشراء . وفى الحديث : (إذا سمعتم من ينشد ضالة فقولوا : لا ردها الله عليك ، وإذا سمعتم من ينشد شعراً فقولوا : فض الله فاك ، وإذا رأيتم من يبيع أو يشترى فقولوا : لا أربح الله تجارتك)[1] ويمنع الاحتراف فى المساجد (أى اتخاذها مكاناً لأية حرفة أو مهنة) .

ويمنع إلقاء الحشرات أو دفنها حية ، بل يمكن قتلها وإخراجها خارج المسجد (صرصور – بعوض – بق .. إلخ) لأنها بعد موتها تصبح من القذى ، فيجب تنزيه المسجد منها ..

وهناك بعض المخالفات فى المساجد قد ألفها الناس مثل :

(ا) استدبار القبلة حال الجلوس ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (خير المجالس ما استقبل به القبلة) . اللهم إلا لخطيب فى أثناء خطبته أو درسه .

(ب) أخذ أشياء من المسجد ، وهذا حرام ، لأن كل ما بالمسجد وقف لله تعالى ، فلا يصح لأحد أن يأخذ منه شيئاً لنفسه أو يتلف جزءًا منه عابثاً أو عامداً .

(ح) تشبيك الأصابع وفرقعتها ما دمت تنتظر الصلاة فى المسجد أو تقصد المسجد للصلاة ، أما بعد انتهاء الفرض فيجوزان ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم عقب الظهر .

(ى) ترك الحصى المؤذى للساجدين مع القدرة على إخراجه من

(١) رواه الترمذى والنسائى وابن خزيمة والحاكم وابن ماجه فى صحيحه .



المسجد ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الحصاة تناشد من يخرجها من المسجد) .

(ك) تسامر الناس فى المساجد بحديث الدنيا وهو من جملة البدع ، وقد روى ابن حبان فى صحيحه : (سيكون فى آخر الزمان قوم يكون حديثهم فى مساجدهم ليس لله فيهم حاجة) .

والمراد بالحديث المنهى عنه بالمسجد هو اللغو الباطل والمزاح البذىء والتقوّل فى مسائل الدنيا الجالبة للتنافس والخصومات ، وهو ما يؤدى إلى عكس رسالة المساجد ..

أما حديث الدنيا الخفيف للاستفهام أو الاستفسار عن شىء أو الإخبار بشىء دون صخب أو تشويش ، فذلك سائغ لأنه ثبت فى رواية مسلم أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا بعد صلاتهم الفجر وراء النبى صلى الله عليه وسلم يمكثون فى المسجد يتحدثون بحديث الدنيا الخفيف وينشدون الأشعار الخفيفة فى ذكر الله والنبى يسمعهم ويبتسم .

(و) إعلان موت العلماء فى المساجد وفوق المآذن بما يسمى التبرير ، أى تلاوة آية : « إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً »[1] لا أصل له فى الدين .

(ز) ومن البدع الإعلان فيها عن السلع والاجتماعات أو الدعايات للمرشحين ، فكل هذا وأمثاله إخراج للمساجد عن رسالتها ، وقد قال أحد التابعين حين سمع لاغياً فى المسجد : (هنا سوق الآخرة ، فإن أردتم اللغو فاذهبوا إلى سوق الدنيا) .

وقد قال تعالى : (وإن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً)[2] . أى لا تصح أن تعظم فيها غير الله الذى بنيت لأجله .

(١) سورة الدهر ، الآية ٥ (٢) سورة الجن ، الآية ١٨

(ح) ومن البدع الصخب عند سماع القرآن والتشويش ، مع أن الله يقول : « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون »[1] . واللغو عند سماع القرآن من أعمال الكفرة ، حيث قال تعالى : « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون »[2] . وسيأتى منفصلا حكم الجهر بقراءة القرآن فى المسجد أو الجهر بالذكر .

(ط) دخول الأطفال العابثين ، وفى الحديث : ( جنبوا مساجدكم صبيانكم ) .. إلخ كما سبق ، فإن كان الطفل هادئاً مميزاً يؤمن لعبه وعدم تلويثه للمسجد جاز دخوله ليتعوّد على مشاهدة العابدين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل معه أحياناً أُمامة ( بنت بنت النبى صلى الله عليه وسلم ) يحملها على كتفه ، وكان الحسين أحياناً يركب على ظهره وهو يصلى بالناس جماعة ، ويبطئ النبى فى السجود حتى ينتهى الطفل من رغبته.

(ى) ومن بدع المساجد ومنكراتها التصفيق والهتافات عند دخول الحاكم أو مرشح فى الانتخابات أو تظاهرهم ، فإن هذا تهريج وإخراج للمساجد عن رسالتها ،والحديث يقول: ( إنما بنيت المساجد لذكر الله)[3] .

## بدع الأذان

١ ــ التلحين والتطريب والتغنى بكلمات الأذان والقرآن ، فإن ذلك يشبه عمل الفسقة الذين اتخذوا آيات الله وعبادته هزواً ، وقد سمع عمر رضى الله عنه رجلا يطرب فى أذانه فقال : ( يا هذا ، إن الأذان سهل سمح ، فإن كنت كذلك وإلا عزلناك ) .

معلوم أن الأذان عبادة ، ويجب أن تراعى فيه قواعد التجويد مثل القرآن ، فلا يمد من حروفه ما لا مد له ، وقد قرر العلماء أن الأذان إن لحن لا تسن إجابته .

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٤
(٢) سورة فصلت ، الآية ٢٦ (٣) رواه مسلم .



٢ ــ ومن البدع الجهر بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم عقب الأذان ، والأذان له كلمات محددة ، وله أول وهو الله أكبر ، وله آخر وهو لا إله إلا الله ، وهو عبادة وليس بعادة ، فيجب حفظه عن التغيير كسائر العبادات .

وأول من أحدث الجهر بالصلاة والسلام عقب الأذان ( صلاح الدين) المسمى بعبد الله بن عبد الله البرلسى ، وكان ذلك بعد سنة ٧٦٠ هجرية فى ليلة الجمعة فقط ، حتى جاءت سنة ٧٩١ هجرية ، فى عهد الأمير بنطاس العامل فى دولة حاج بن شعبان ، حيث جاءه بعض المتهورين ، وادعى أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأمره بالصلاة عليه عقب كل أذان ، فأمر ابن شعبان المحتسب محمد الطنبرى ( وكان جهولا وظالماً ومرتشياً ) بأن يفعل ذلك ، فصارت بدعة إلى يومنا هذا ، كما بين ذلك المؤرخ المقريزى فى خططه ، وابن حجر فى الفتاوى الكبرى ، والشيخ محمد عبده فى فتواه رقم ١٩٠٤ .

وللرد على هذه البدعة نقول :

أولا ــ أن الأحكام لا تثبت بالمنام ، ولا يصح بعد موت النبى إحداث شرع جديد بحجة الرؤيا ، فقد كمل الدين لقوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم »[1] . فمن ادعى إحداث حكم جديد بمنام أو يقظة فهو كاذب على رسول الله ومفتر فى دينه .

ثانياً ــ أنهم خلطوا بالأذان كلمات سابقة كما يحدث قبل الفجر والجمعة ولاحقة اعتبرها الناس بعد طول المدة من جملة الأذان ، وهذا تغيير فى شرع الله تعالى .

ثالثاً ــ الصلاة والسلام على الرسول مطلوبان من المستمع بنص

(١) سورة المائدة ، الآية ٣

الحديث: (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ)[1]، فهل يصح لنا أن نأمر المستمعين بعد الأذان بأن يجهروا جميعاً بالصلاة والسلام على الرسول باعتبار أن النص وارد فى حقهم – طبعاً لا يصح وإلا أصبح المسجد سوقاً تتضارب فيه الأصوات وتذوب فيه الخشية، فمنع الجهر من المؤذن أولى، وإنما طلب من المؤذن الصلاة والسلام على رسول الله سراً قياساً على المستمع، لأنه يسمع آذان نفسه، ولأنه ذكر اسم النبى فى الشهادة الثانية فى أثناء الأذان، فعليه الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفراغ منه – ومما يدل على أن الجهر بها مخترع أنهم لا يفعلونها فى كل الأوقات، فتراهم يتركونها بعد أذان الفجر والمغرب والجمعة، ولو كانت شرعاً لعمت كل أذان.

ولما ثبت للجهات المسئولة فى الأوقاف والإذاعة وغيرهما أن هذه الزيادة (الجهر بالصلاة والسلام) بعد الأذان بدعة منعوها من الأذان رسمياً، فمن يجهر بها فهو مبتدع وإثمه عليه وعلى من وافقه، لقد عطس رجل بجوار ابن عمر فقال: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنكر عليه ابن عمر وقال: يا أخى ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما علمنا إذا عطسنا أن نقول الحمد لله رب العالمين، ويؤخذ من هذا وجوب الوقوف عند النص مهما كان.

٣ – ومن البدع الترضى عن الأولياء بعد الأذان، وهو يلحق بسابقه فى الحكم بالمنع، إذ أن الأذان من العبادات، وليست هناك رخصة لأحد بالإضافة طالما أن الدين اكتمل من يوم البعثة.

٤ – اختراع أذان وإقامة للعيدين، فقد كان صلى الله عليه وسلم يصليهما دون أذان ودون إقامة، وأول من أحدث الأذان والإقامة لهما

(١) رواه مسلم.



هشام بن عبد الملك، وزاد على ذلك بدعة ثالثة هى تقديم خطبة العيد على صلاته مثل الجمعة، وهذا ابتداع فظيع، قال مالك رحمه الله: من أحدث فى هذه الأمة شيئاً لم يكن فى سلفها فقد زعم أن محمداً قد خان الرسالة، لأن الله تعالى قال: «اليوم أكملت لكم دينكم»[1]. فما لم يكن ديناً يومها لا يكون ديناً اليوم، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك مع وجود المقتضى وعدم المانع.

٥ – التصبيح والتحضير، وهما بدعة وضلالة مستحدثة، والأول يكون قبل أذان الفجر، يقول فيها المؤذن المبتدع: (سبحان فالق الإصباح، سبحان الواحد الأحد، ونحوها)، والثانية هى أن يقول المؤذن بعد الأذان: (احضروا الصلاة رحمكم الله).

والكيفية الشرعية للأذان هى أن يكبر فى أوله تكبيرتين فى نفس، يقف على رأس كل تكبيرة بالسكون للراء، أو يكبر أربع مرات، كل تكبيرتين أيضاً فى نفس مسكناً الراء من أكبر، فكل ذلك وارد وثابت، وله الترجيع وهو أن ينطق بالشهادتين بخفض الصوت، كل منهما مرتين، ثم يجهر بهما كذلك، وله ترك الترجيع، ثم يحيعل، أى يقول حى على الصلاة مرتين، فاصلا بين كل مرة بسكتة لاوياً عنقه جهة اليمين، ثم حى على الفلاح كذلك لاوياً عنقه على اليسار، ثم يقول الله أكبر مرتين، فاصلا بينهما بسكتة خفيفة مسكناً للراء، ثم يختم بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله. فإذا كان آذان الفجر زاد بعد الحيعلتين قوله مرتين: الصلاة خير من النوم، فإذا انتهى من الأذان قال سراً: «رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا، ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بأية صيغة وأفضلها الإبراهيمية أو صيغة المكيال

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

الأوفى ، ويقول : ( اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته ) ، والمستمع يزيد على هذا قوله : ( أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده رسوله ) . ويسن الدعاء قبل إقامة الصلاة ، فالدعاء مستجاب بين الأذان والإقامة وأفضله : ( اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ) كما علمنا ذلك الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام . والإقامة إما أن تكون ألفاظها مفردة ما عدا التكبير فى أولها وآخرها قبل التوحيد مع زيادة : قد قامت الصلاة بعد الحيعلتين مرتين — ويصح أن تقال مرة واحدة عند إفراد الإقامة ، ويصح جعل التكبير أربعاً فى أولها ثم بقية ألفاظها مثنى مثنى متصلين ، و ( قد قامت الصلاة ) مرتين متصلتين ، ولا إله إلا الله مرة واحدة ، وبأية صيغة من هذه الصيغ فى الأذان والإقامة يصح ، فالكل ثابت ، والسنة فى الأذان الترسل والتأنى وفى الإقامة السرعة ، وفى رواية يقول بعدها : ( اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد وآته سؤله يوم القيامة ) .

٦ — الصلاة بالثوب غير الطاهر أو المتسخ أو الغير ساتر للعورة :

وهذا كثيراً ما نجده بدعوى البعد عن حب المظهر والزهد فى الدنيا ، وما هو فى الحقيقة إلا الجهل وتلبيس الشيطان على هؤلاء المتعبدين الذين يظنون القذارة زهداً ، مع أن الله قال : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد »[1] ، بل إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجعلون للصلاة خير ثيابهم — هذا بالإضافة أن الوسخ فى الثياب مذموم بين البشر ، فكيف مع الخالق سبحانه وهو الذى يعلم بما أنعمه من نعم على عبده ، فحرم العبد على نفسه أشياء وأحل أخرى اجتهاداً منه ، ولكن الله إذا أنعم على عبده بنعمة أحب أن يرى أثرها عليه .

(١) سورة الأعراف ، الآية ٣١



ومن المنكرات الصلاة على المكان المتسخ ، فإنك أذا أمعنت النظر تجد كثرة الاتساخ عند مكان رأس الساجد بالرغم من وفرة الماء والصابون ، وهذا علامة على أن الوضوء كان بالنسبة له شكلا ولم يكن موضوعاً ، فلو كانت جبهته نظيفة لما تخلفت هذه الأقذار من رأسه على سجادة مصلاه .

## بدع الجمعة

من بدع الجمعة التى أحدثها الناس وأدخلوها على هذه الشعيرة ما يلى :

١ — ترك صلاة الجمعة من غير عذر ، فتجد أقواماً يتخلفون عنها بحجة الاشتغال بالتجارة أو غيرها ، وربما تركوها تكاسلا ، متغافلين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر فهو منافق ) رواه مسلم . وقال : ( لقد هممت أن أمر رجلا يصلى بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم ) رواه مسلم . قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون »[1] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ليتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين ) رواه مسلم .

٢ — ومن بدعها اعتقاد وجود ساعة نحس فى يومها ، مع أن هذا مخالف لما علمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعلها إحدى رواسب التخريف الفكرى أرساها فى عقول الجهلاء ، فتراهم يتشدقون بها ، معتقدين حقيقة وقوع الشر فى إحدى ساعات هذا اليوم المبارك ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن الجمعة : ( فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ) متفق

(١) سورة الجمعة ، الآية ٩

قال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية »[1] . أى فى الخفاء .

وقال تعالى : « واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة »[2] .

وقال : « وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى »[3] .

وقد طرد ابن مسعود المجاهرين بالمسجد قائلا لهم : أنتم على بدعة ضلالة .

٤ ـ ومن البدع التفكير مرتين قبل أذان الجمعة فى بعض المساجد ، ويكفى أذان الجمعة المشروع ، وعلى كل مسلم أن يبكر لصلاة الجمعة كما يبكر لمصالحه الدنيوية ، وقد انتهر عمر بن الخطاب رضى الله عنه من آذنه بالصلاة وقال له : أليس فى أذانك ما يكفينا .

٥ ـ تخطى الرقاب يوم الجمعة ، فترى كثيراً من الناس يحضرون للصلاة متأخرين ، ولكن يدفعهم الحرص على الظهور بمظهر السابقين إلى تخطى الرقاب للوصول إلى مكان متقدم فى المسجد ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ( من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم ) أخرجه الترمذى وابن ماجه . وقال : ( إن الذى يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ويفرق بين الاثنين بعد خروج الإمام كجار قصبه فى النار ) أى أمعاءه .

وكان ينبغى على كل من يحضر إلى المسجد أن يدخل وعليه الوقار والسكينة ، فيجلس فى أول مكان فى المسجد بعد أداء تحية المسجد وليحرص على الصفوف الأولى دون تخطى الرقاب ، وذلك لن يحصل عليه إلا إذا بكر للحضور إلى الجمعة ، فإن الذى يساعد على منع هذه البدعة أن تتم الصفوف الأول فالأول والفراغ يكون فى المؤخرة ، وفى

(١) سورة الأعراف ، الآية ٥٥ (٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥
(٣) سورة طه ، الآية ٧



الحديث : ( أتموا الصفوف الأول فالأول وما كان من نقص فليكن فى الصف الأخير ) ، ولو أهمل من فى الصفوف الأول وتركوا فراغاً بجانبهم لمن حق أى داخل أن يتخطى الصفوف لملء الفراغ ، والإثم على من تركوا هذا الفراغ من السابقين ، وفى الحديث : ( ما من خطوة أحب إلى الله من خطوة مسلم ليصل فيها صفاً ، ومن وصل صفاً وصله الله ) ..

٦ ـ الذهاب إلى الجمعة بعد صعود الخطيب المنبر ، وعلى المسلم أن يعلم أن الملائكة يوم الجمعة تقف على أبواب المساجد ترصد الداخلين والمبكرين إلى الجمعة ، تكتبهم فى صحائف على قدر تبكيرهم ، حتى إذا خرج الإمام طويت الصحائف وجلست الملائكة يستمعون ذكر الله .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ( مثل غسل الجنابة ) ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرّب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرّب بقرة ، ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرّب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرّب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرّب بيضة ، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر ) متفق عليه .

٧ ـ تعدد أذان الجمعة حيث تجد بعض المساجد تؤذن أذاناً حين دخول الوقت يصلى بعده السنة القبلية المزعومة ثم يؤذن بين يدى الخطيب قبل الشروع فى الخطبة ، وهذا مخالف لما كان عليه عهد النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، فإنهم كانوا يمهلون الناس حتى يدخل وقت الجمعة ثم يؤذن المؤذن على باب المسجد أو سطحه ، ثم يقوم الخطيب ، فليس للجمعة إلا أذان واحد قبل الخطبة مباشرة وليس لها سنة قبلية ولكن لها سنة بعدية تؤدى فى المسجد أو فى المنزل وهو الأفضل ، ركعتان أو أربع .

ويرد على من يدعى بأن للجمعة أذانين وسنة قبلية كتاب الأم للإمام الشافعى رحمه الله وهو إمام الشافعية ، يقول فى الجزء الأول صفحة ١٧٢ عن السائب بن يزيد : أن الأذان يوم الجمعة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر رحمهم الله ، يدخل أول الوقت ، ويرقى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ويأخذ المؤذن فى الأذان ، فإذا انتهى المؤذن قام النبى صلى الله عليه وسلم فخطب لا يزيد عليه . ثم قال الشافعى : وقد كان عطاء ينكر أن يكون عثمان بن عفان زاد الأذان الثانى ، وقال : إنما الذى زاده معاوية .

قال الشافعى : وأيهما كان سواء الذى زاده معاوية أو عثمان فالأمر الذى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلىّ ، وما دام الأذان واحداً تعقبه الخطبة ، وإذا صعد الإمام فلا صلاة ولا كلام ، فأين مكان السنة القبلية .

وأما ما ثبت عن تنفلهم قبل دخول الوقت فهذا نفل مطلق بعيد عن شعائر الجمعة ، ومن الممكن أن يكون سنة الضحى أو مجرد تطوع لله تعالى ، وفى هذا الحجة البالغة فى موضوع الأذان الثانى وموضوع السنة القبلية ، لأنه قال : فإذا انتهى المؤذن قام النبى فخطب لا يزيد عليه ، وهذا هو قول الشافعى نفسه ، أضف إلى هذا أن الأذان الثانى الذى نسبوه إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه قد كان بعيداً عن المسجد بنحو ألف ذراع على مكان يسمى الزوراء يتقابل الناس فيه بالبيع والشراء ، حينما كثر الناس وامتد العمران فأراد عثمان أن ينبه الموجودين فى السوق إلى دخول وقت الجمعة فيذهبون إلى المسجد .

أما عن سنة الجمعة فهى بعدية ، وذلك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا صلّ أحدكم الجمعة فليصلّ بعدها أربعاً) رواه مسلم . وعن



ابن عمر رضى الله عنه : (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى بعد الجمعة حتى ينصرف إلى بيته فيصلى ركعتين) رواه مسلم .

٨ - ومن البدع الترقية بين يدى الخطيب ، وهى تلاوة المؤذن حديث : (إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت ، ومن لغا فلا جمعة له) . ثم يقول المؤذن : (أنصتوا رحمكم الله) ، فهذا كله شىء محدث وضلالة لعدم وجودها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٩ - ومن البدع أن يحمل الخطيب أثناء الخطبة سيفاً من خشب ، فهذا من سوء الظن بالإسلام ، وهو خرافة مؤسسة على عقيدة باطلة ، وهى فهم بعض الجهلة أن الإسلام انتصر بالسيف ، فهم يحملونه للتذكير بهذا . وكذبوا ، فالإسلام مكث ثلاثة عشر عاماً فى مكة لا يرفع سيفاً ولا عصاً فى وجه المعاندين المكذبين ، وكل من دخل فيه دخل على اقتناع لا عن إكراه ، بل كانوا يعذبون بأبشع أنواع العذاب ، ولم يأمرهم الله بالرد على معذبيهم قولا ولا عملا ، أما الغزوات التى شرعت فى المدينة فكانت للدفاع عن المسلمين ومنع فتنتهم ، والدليل على ذلك قوله تعالى : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا »[1] . أى لا تبدءوا أحداً بعدوان . وقال : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »[2] . وقال : « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون »[3] . وقال : « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين »[4] . وقال : « وما أنت عليهم بجبار »[5] . وقال : « ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء »[6] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٠ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦
(٣) سورة هود ، الآية ٢٨ (٤) سورة يونس ، الآية ٩٩
(٥) سورة ق ، الآية ٤٥ (٦) سورة البقرة ، الآية ٢٧٢

وقد أذن الله لنا أن ندافع عن أنفسنا وأعراضنا وعقيدتنا وأهلنا وأموالنا ضد من يعتدى على شيء منها ، فقال تعالى : « أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير »[1] . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن صنع له المنبر لم يعتمد على عصا أو قوس فى أثناء الخطبة ، وكل هذه النصوص تؤيد ما ذكرناه أن الإسلام قام على اقتناع الفكر وسلامة الفكرة دون إكراه أو ضغط خارجى ، فحمل السيف بهذه العلة السابقة افتراء على الإسلام وأهله ، ولو كانوا دخلوه مكرهين لخرجوا منه بعد انتهاء الإكراه المزعوم . والثابت أن المسلمين الآن قد يكونون أضعف الأمم اقتصاداً وسلاحاً ، ولكنهم مع هذا الضعف يزيدون ويدخل الناس كل يوم فى الدين أفواجاً دون إكراه .

١٠ – ومن البدع التأمين من المؤذنين بصوت مرتفع عند دعاء الخطيب للسلطان وغيره والترضى على الصحابة . وقد قرر بعض الأئمة كراهية الدعاء للسلطان بخصوصه فوق المنبر « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »[2] ، بل ينبغى أن يدعوا لجميع المسلمين ، راعيهم ورعيتهم على العموم ، بالصلاح والإصلاح ، وقد يؤدى تخصيص الأسماء بالذكر والدعاء إلى نوع من التملق والرياء والكذب ، وخاصة إذا كان الحاكم يحكم أو يعمل بغير مرضاة الله .

١١ – مداومة الخطباء فى آخر الخطبة الأولى على قولهم : ( التائب من الذنب كمن لا ذنب له ) . ثم يقول : ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة . فلم يثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا صحابته أنهم كانوا يقولون هذا القول فى آخر الخطبة الأولى ، وهو تشويش على الناس وضجيجهم بالدعاء يوم الجمعة بين الخطبتين باعتبار أنها ساعة الإجابة لا دليل عليه .

(١) سورة الحج ، الآية ٣٩ (٢) سورة الجن ، الآية ١٨



١٢ – حديث الناس مع بعضهم والخطيب فوق المنبر ، مع أن الإسلام نهى عن أى حديث وقت الخطبة ، حتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وفى الحديث كما سبق : ( إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت ، ومن لغا فلا جمعة له )[1] ، فترك الحديث الدنيوى أوجب .

وعلى الداخل إلى المسجد من الخارج أن يؤدى تحية المسجد ثم يجلس ، سواء كان ذلك قبل الخطبة أو فى أثنائها ، أما إذا دخل وقد انتهت الخطبة فلينتظر دخوله مع الإمام فى الصلاة ، ولا يصح لمن كان جالساً فى المسجد أن يقوم إلى تنفل بعد صعود الخطيب فوق المنبر ، لأن القاعدة الفقهية تقول : ( إذا صعد الإمام فلا صلاة ولا كلام ) .

١٣ – التمسح بالخطيب بعد الخطبة عند نزوله من فوق المنبر ، فهى خرافة لا أصل لها ولا فائدة ، بل هى تملق رخيص .

١٤ – ومن البدع صلاة من صلوا الجمعة الظهر بعد صلاة الجمعة ، وهى عبث وزيادة فى شرع الله ، لأن الله شرع فى اليوم والليلة خمس صلوات ، ومصلى الظهر بعد الجمعة يجعلها ست صلوات . ونسبة ذلك إلى الأئمة كذب محض ، فإن كانت الجمعة قبل ظهرهم باطلة فلم يصلونها ، وإن كانت سليمة فالظهر بعدها باطل ، فلا يجمع بين البدل والمبدل منه .

١٥ – ومن البدع تخصيص ليلة الجمعة بذكر أو قيام أو صيام ، وذلك لحديث : ( لا تخصوا ليلة الجمعة بصلاة ولا يومها بصيام )[2] .

١٦ – ومن البدع اعتقاد التشاؤم إذا اجتمعت الجمعة مع العيد فى يوم واحد ، مع أن العكس هو الصحيح ، وذلك لحديث : ( إن الله جمع لكم فى هذا اليوم بين عيدين كريمين : العيد والجمعة )[3] .

(١) رواه الجماعة إلا ابن ماجه . (٢) متفق عليه واللفظ لمسلم .
(٣) رواه أبو داود .

١٧ – ومن البدع الانشغال بزيارة الموتى فى هذا اليوم ، لأنه تخصيص بلا مخصص ، أما زيارة القبور فهى سنة يمكن أداؤها فى أى وقت بعيداً عن الأعياد والجمع ، وبعيداً عن بدع النساء الزوارات الملعونات .

١٨ – ومن البدع عدم مراعاة تراص الصفوف الأول فالأول ، وعدم استقامتها ، وقول بعضهم بعد انتهاء الجمعة : الفاتحة لفلان .

ملحوظة : قد يكتفى بعض الناس بجهاز إذاعة ( راديو ) أو تليفزيون يسمعون منه الخطبتين ويصلون وراءه جماعة ، وقد ينقطع التيار الكهربائى فى التليفزيون فيحدث الارتباك ، وقد يكون الوقت فى بلد الإمام متقدماً على وقت المأموم ، وقد يكون الإمام فى مكان خلف المأموم ، وعلى كل حال فإن صلاة الجماعة أو الجمعة وراء أحد الجهازين باطلة بإجماع المذاهب الأربعة للرجال والنساء ، وإذا كانت السيدات فى البيوت يحرصن على الانتفاع بسماع الخطبة فلا بأس ، أما عند الصلاة فليغلقن الجهاز ويصلين منفصلات عنه ، إما فرادى أو جماعة محلية .

* * *

وأخيراً كانت هذه نماذج من بدع يوم الجمعة التى اعتاد عليها الكثير ، وظنوا أنها من الدين والدين منها براء – وكما أشرنا إلى بدع الجمعة نسوق هنا بعض السنن الهامة ليوم الجمعة والتى ينبغى على المسلم المحافظة عليها :

١ – صلاة الصبح فى جماعة والسنة أن يقرأ الإمام فى الركعة الأولى بسورة حم السجدة ، وفى الثانية بسورة الدهر .

٢ – تلاوة سورة الكهف بدون تشويش على أحد كما سبق أن ذكرنا وليس المطلوب سماعها .

٣ – الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لحديث : ( أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة وليلتها ) .



٤ – الغسل لها وغسل الجمعة يبدأ من بعد الفجر ، وعند الأحناف من عصر الخميس ، والتطيب ولبس الأبيض والسواك ، وفى الحديث : ( من بكر وابتكر وغسل واغتسل ودنا وأنصت غفر له ما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام ) .

٥ – ومن السنة الحلق والقلم وتجمير المسجد ، وقد سبق الحديث بخصوص تجمير المساجد يوم الجمعة .

## بدع الجماعة وسننها

١ – الإهمال فى حضور صلاة الجماعة ، فترى الكثير فى بيوتهم يصلون ومساجدهم خاوية ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أنطلق ورجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم ) رواه الشيخان .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : ( من سره أن يلقى الله غداً مسلماً ( يعنى يوم القيامة ) فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهنّ ، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهم من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام فى الصف ) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا كلما غدا أو راح ) متفق عليه .

وعن أبي هريرة أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( هل أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يارسول الله ، قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الرباط ) رواه مسلم .

وقال صلى الله عليه وسلم : ( صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ ( المنفرد ) بسبع وعشرين درجة ) متفق عليه .

وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال : يا رسول الله ، ليس لى قائد يقودنى إلى المسجد ، وسأله أن يرخص له فيصلى فى بيته ، فرخص له ، فلما ولى دعاه النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثانية وقال له : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم . قال : فأجب ) رواه مسلم . وفى رواية ( ولو حبواً ) أى زحفاً على الركب . وهو وعيد ما بعده وعيد .

والأحاديث كثيرة فى النهى عن التخلف عن الجماعة وبيان فضل صلاة الجماعة ، ونحن نجد فيما ذكرنا الكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

٢ – ومن البدع قراءة العشر جهراً فى المساجد بين الأذان والإقامة ، وهو تشويش على المتعبدين بأداء السنة القبلية للفرض أو صلاة تحية المسجد كما سبق أن أشرنا إلى أن التشويش على المتعبد حرام ، خاصة وأن هذه البدعة ( الجهر بقراءة العشر ) لم تكن موجودة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا السلف الصالح .

٣ – ومن السنة تخير الإمام ، وذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تخيروا أئمتكم فإنهم وفدكم بينكم وبين ربكم ) . أما التفضيل بين الناس للتقدم للإمامة فيكون أولا أقرؤهم لكتاب الله مع حفظ الحدود والأحكام والعمل بأحكام الدين ، ثم أعلم الناس بالسنة . وقد قال رسول الله



صلى الله عليه وسلم : ( يؤم الناس أقرؤهم لكتاب الله فأعلمهم بالسنة )[1] .

ويجدر بنا فى هذا المقام أن نذكر حديث : ( أيما رجل أم قوماً وهم له كارهون لم تجاوز صلاته أذنيه ) . وفى رواية : وفيهم من هو خير منه . وهذا كثيراً ما يحدث هذه الأيام ، محبة فى الظهور أو ضعفاً من المأمومين أو عدم حسن الاختيار ممن عينوه إماماً ، وفى الحديث : ( من ولّى على أمتى رجلا وفيهم من هو خير منه إلا خان الله ورسوله وخان جماعة المسلمين )[2] . وهذا لا يخلى المأمومين من المسئولية ، لأن الإمام لا يجبر أحداً على الصلاة خلفه ، لذا ذكرنا فى صدر هذا الكلام ضرورة تخير الإمام ، سواء كان معيناً من الحكومة أو مختاراً من الجمهور .

٤ – يصح أن يكون للنساء إمامة إذا كن فى مكان بمفردهن ، ويمكن أن يكون لهن مؤذن فقط يؤذن ثم ينصرف كى يصلى مع الرجال ، على أن تقف الإمامة وسط الصف الأول . ولقد كان للسيدة عائشة رضوان الله عليها مؤذن ، ولا تجهر المرأة فى وجود الأجانب .

٥ – يراعى فى صلاة الجماعة تراص الصفوف ، فيبدأ الصف الأول من خلف الإمام ثم عن يمينه ثم يساره ، والصف الثانى يبدأ من خلف الإمام أيضاً ثم يمين الإمام ثم يساره ، وهكذا كل الصفوف .

ولا يصح ترك فرجة فى أى من الصفوف على أن يكتمل الصف الأول ثم الثانى وهكذا ، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لا تتركوا فرجات للشيطان ) .

كما يلاحظ عدم اعوجاج الصفوف ، وليحاذ المسلم جاره بمنكبه وقدمه ، ويجب على الإمام أن يتأكد استواء وتراص الصف الأول ثم

---

(١) رواه أحمد ومسلم .

(٢) رواه الحاكم فى صحيحه .

الثانى وهكذا ، ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعـــده يشددون فى ذلك ، حتى أن عمر رضى الله عنه كان يهدد المعوجين بالدرة.

والذى يلى الإمام هم أولوا النهى ، وذلك لحديث : ( ليلنى منكم أولوا النهى ) أى الفقه فى الدين ، حتى يكونوا على دراية حين الفتح على الإمام أو عند حدوث عارض ، كما حدث فى مقتل عمر بن الخطاب حين تقدم من خلفه فأتم صلاة الصبح ، وذلك بعد أن طعنه أبو لؤلؤة المجوسى لعنه الله .

ويجب مراعاة تباعد صفوف الرجال عن صفوف النساء ، ويفصل بينهما بصفوف الصبيان ، ولا يصح أن يوضع الصغار وسط صفوف الرجال كما نرى فى هذه الأيام ، لأن مكان الصبى يعتبر فرجة ، ويجدر أن يكون للنساء ستر يحجبهم من الرجال كالسندرة مثلا ، وما نراه الآن مخالف لما ورد بالنسبة لترتيب الصفوف وتسويتها ، فهو خروج عن السنة وبدعة يجب الكف عنها .

٦ – ومن البدع وجود المبلغ مع بلوغ صوت الإمام لكل المأمومين ، وهو بدعة مستحدثة ، وحجة فاعليها أن أبا بكر رضى الله عنه بلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنهم غفلوا أن ذلك كان حين مرض الرسول ، وكان صوته لا يسمعه كل المصلين ، فأمر أبا بكر بالتبليغ ولم يحدث بعدها أن بلغ أحد ، لأنه يصير عبثاً فى عبادة الله أو لا ضرورة له ، بل هناك رأى ببطلان صلاته حينئذ . وما جرى عليه العرف الآن فى المساجد أن يصلى الإمام فى مكبرات الصوت ثم نجد المبلغ يقوم بالتبليغ مرة أخرى ، فهذا تضييع للخشوع وبدعة وضلالة يجب الأخذ على يد من يفعلها .

٧ – ومن البدع مسابقة الإمام ، والسنة أن يتأخر المأموم قليلا عن الإمام ، والحديث يقول : ( أما يخشى الذى يسبق الإمام أن يحول الله



رأسه رأس كلب أو حمار)[1]. وينبغى ألا يصحبه فى الأركان كذلك ، بل يتأخر عنه قليلا ليكون مأموماً تابعاً . وكما أن المسابقة والمصاحبة من البدع ، كذلك التأخر الطويل عن الإمام من البدع ، وقد نرى الإمام هبط إلى السجود وبعض المأمومين لا يزال قائماً فى القراءة ، وقد يحمله سبق الإمام له على أن يسرع ليدركه فينقد ركناً من أركان الصلاة وهو الطمأنينة حتى يستطيع أن يلحق الإمام ، مما يعرضه لبطلان صلاته ، وينطبق عليه حديث المسىء صلاته الذى كان ينقر فى صلاته وشاهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ( لو مات هذا على حاله لمات على غير ملتى)[2]. وقال لمسىء آخر : ( ارجع فصل فإنك لم تصل )[3] .

أما بالنسبة للمسبوق إذا أراد أن يدخل فى الصلاة فعليه أن يكبر تكبيرة الإحرام ، وهى ركن لابد من الإتيان به ، ثم يكبر تكبيرة أخرى للانتقال ، وهذه التكبيرة الأخيرة سنة ، فإن أدرك الإمام راكعاً وركع معه واطمأن فى ركوعه قدر تسبيحة حسبت له الركعة وإلا كان مسبوقاً بها ، وذلك لحديث أبى بكرة حينما ركع دون الصف ورأى النبى ثم دب إليه ، وقال له النبى بعد الصلاة : ( زادك الله حرصاً ولا تعد ) . وبعض العلماء لا يحتسب الركعة إلا لمن قرأ الفاتحة . وللمسلم أن يحتاط بالإتيان بركعة لكل مثل هذه الحالة لحديث : ( لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب )[4] .

٨ – وترى من البدع فى هذه الأيام من يأتى إلى الصلاة ويكون مسبوقاً فيدخل إلى المسجد وهو يقول : ( إن الله مع الصابرين ) ، أو يحدث صوتاً عامداً أن ينبه الإمام إلى حضوره حتى ينتظره الإمام ، وهذا التصرف من المنكرات ، لأنه يشغل كثيراً من المصلين عن صلاتهم بأن

---

(١) رواه الجماعة .
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه أحمد والشيخان .
(٤) رواه الجماعة .

ينتبهوا إلى وجوده ، وربما ذهلوا عن معانى كلمات الصلاة نظراً لما أحدثه القادم من ضوضاء ، فيحمل هذا المشوش وزرهم وإثم انشغالهم عن الخشوع لله ، وفى الحديث : ( إذا أتيتم الصلاة فأتوها وأنتم تمشون وعليكم بالسكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا )[1] . والسكينة هى الهدوء والوقار والسنة بالنسبة للإمام إذا أحس بأن هناك من يدخل المسجد أن ينتظره قليلا حتى يلحق معه الركعتان إن أمكن ذلك ، وأن يكون انتظاره لله وللتعاون على البر لا مجاملة ولا رياء .

٩ – ومن البدع ختام الصلاة جهراً بالطريقة التى نشاهدها الآن فى بعض المساجد ، وحجتهم فى هذا ما رواه البخارى فى صحيحه عن عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما قال : ( ما كنت أعرف انقضاء الصلاة إلا بجهرهم بلا إله إلا الله ) . قال الشافعى رحمه الله فى هذا الحديث : ( أرى أن ذلك كان منهم للتعليم ، فلما تعلموا أسروا ) أى أن الإمام كان يعلم المصلين ختام الصلاة فلما تعلموا أسروا .

واعلم أخى المسلم أن الجهر بختام الصلاة كالجهر بتلاوة القرآن الذى ذكرناه فى بدع الجمعة ، وهناك قاعدة اتفق عليها الأئمة الأربعة وهى : ( يحرم رفع الصوت فى المسجد بأى قرآن أو ذكر إلا للمتفقهة ) أى الفقيه الذى يدرس للناس دروس العلم ، وهذا قرار لم يشذ فيه أحد .

أما بالنسبة لموضوع التعليم فيقوم به الإمام أو الخطيب أو الواعظ ، لأنه المسئول عن التعليم والأمر والنهى فى المسجد ، ولا يقوم به المؤذن كما نرى فى بعض المساجد ، حيث نجد أن الذى يتزعم الجهر بختام الصلاة هو المؤذن ، فيكون هذا اعتداء على حق الإمام ، فضلا عما يحدثه من تشويش على المتعبدين من المسبوقين ومن يختمون الصلاة فى سرهم ، وعند ضرورة

(١) رواه الشيخان .



التعليم لعل الإمام أن يفرد درساً خاصاً لموضوع ختام الصلاة كل فترة من الزمن حسب من يصلى خلفه .

أضف إلى هذا أنه إذا سبح المؤذن بسبحان الله ثلاثاً وثلاثين وانتهى بما تجده يدخل فى ذكر الحمد لله ثلاثاً وثلاثين ، وقد يكون بعض المصلين أو كثير منهم لم يكمل سبحان الله ، وهنا يكون ختام الصلاة فيه دعوة إلى التسرع فى ذكر الله ودعوة إلى عدم الإجادة المطلوبة ودعوة إلى عدم التدبر لمعانى ذكر الله فى ختام الصلاة ، مع أن الله يقول : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »[1] . وقال : « إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا »[2] .

أما الذكر الشرعى الذى فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : ( صلوا كما رأيتمونى أصلى ) فهو الآتى :

( ١ ) بعد التسليمة الثانية يستغفر المصلى ربه بأن يقول فى سره : استغفر الله . وقد سئل الأوزاعى : كيف الاستغفار فقال :

يقول ( أستغفر الله ) ويكررها ثلاثاً ، ولعل تعليق العدد بثلاث ، حتى يستوعب الاستغفار كل ذنوب العبد قلبية ولسانية وبدنية .

ثم يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

ثم يقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير – اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ( أى ولا تغنى عن صاحب العظمة عظمته إن أراد الله عذابه ) .

(١) سورة الحج ، الآية ٣٢ (٢) سورة الكهف ، الآية ٣٠

ثم يقول : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . ثلاث مرات .

وقد استوعب هذا الدعاء كل عناصر البدن من جوارح ولسان وقلب .

ثم يقول : رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك . وفى رواية ( تجمع ) .

ثم يقرأ آية الكرسى مرة واحدة ، ثم سورة الإخلاص عشر مرات لمن أراد الكمال ، ثم يقرأ المعوذتين مرة واحدة .

ثم يسبح ويحمد ويكبر الله على إحدى هذه الروايات :

١ – من كل ٣٣ ثلاثاً وثلاثين مرة ويختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . وهذه أفضل الطرق أكثرها ثواباً .

٢ – من التسبيح والتحميد ثلاثاً وثلاثين ، ومن التكبير أربعاً وثلاثين لتمام المائة .

٣ – من كلٍّ عشراً .

٤ – من كلٍّ إحدى عشرة مرة .

٥ – سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وتكرر خمساً وعشرين مرة .

وكل رواية من هذه الروايات صحيحة ، وفعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما ذكرناها ليختار منها المصلى الأنسب لظروفه واستعداده ، وإن كنا نفضل الأولى لوفرة ثوابها .

وهذا الختام سنة مؤكدة ، وفعله عقب الفرض أفضل . وقد شاهد عمر رضى الله عنه رجلا أسرع بعد الفريضة ليؤدى صلاة السنة فقال له : ( إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا لا يفصلون بين فرضهم ونفلهم ) .



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أصبت يا ابن الخطاب ، أصاب الله بك ) .

والمطلوب بالنسبة للإمام ألا يمكث فى مكانه بعد انتهاء الصلاة إلا بقدر أن يقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت ذا الجلال والإكرام . ثم يتجه بوجهه للمصلين ، أو يكون يمينه فى اتجاههم ويساره القبلة أو العكس ، وكلها واردة وثابتة .

أما بالنسبة لصلاة المغرب فيسن أن يقول المصلى بعد التسليمتين : ( لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات ، وهو فى هيئة جلسة التشهد قبل أن يكلم أحداً أو يتحرك . ثم يقول : اللهم إنى أسألك الجنة . اللهم أجرنى من النار ، سبع مرات .

كذلك فى صلاة الصبح ، إلا أنه يكتفى فى الدعاء باللهم أجرنى من النار ، سبع مرات . وهذا ما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث . ( من قال بعد المغرب قبل أن يثنى رجليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات ، كتب الله له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفعه عشر درجات ولم ينبغ لذنب أن يدركه تلك الليلة ، ومن قال بعد الفجر فمثل ذلك ) . وفى رواية للمنذرى : ومن قال بعد العصر فمثل ذلك .

ولعل السر فى ذلك أن الفجر أول النهار والمغرب أول الليل والعصر هو الصلاة الوسطى على الراجح ، فربما أراد الله أن يحصن المرء نفسه بالتوحيد الكامل فى بداية الليل وبداية النهار حتى لا يصله زيغ الشيطان .

أما بالنسبة للدعاء : اللهم إنى أسألك الجنة ، اللهم أجرنى من النار ، ففى رواية أنه إذا قال العبد ذلك قالت الجنة : اللهم قربه منى . وقالت النار : اللهم باعده عنى .

١٠ - ومن السنة الفتح على الإمام إن توقف أو أخطأ فى أثناء التلاوة أو فى أحد أركان الصلاة ، والحديث يقول : ( إذا استطعمكم الإمام فأطعموه ) أى إذا طلب منكم إرشاده للصواب فأرشدوه .

ويختلف هنا الحكم للرجال عن النساء ، فيكون الفتح على الإمام لتنبيه بالتسبيح للرجال وبالتصفيق للنساء . والحديث يقول : ( من نابه شىء فى الصلاة فليسبح فإنما التسبيح للرجال والتصفيق للنساء )[1] .

١١ - وينبغى للإمام أن يصلى إلى سترة ، وذلك حتى لا يقطع عليه أحد صلاته ، وسيأتى بيانها فى فصل الصلاة للمنفرد ، ولكن لزم التنويه للإعلام بأن الإمام يعتبر سترة للصف الأول ، والصف الأول يعتبر سترة للصف الثانى ، وهكذا .

١٢ - وهناك خطأ يقع فيه بعض المصلين الموسوسين حيث يكرر تكبيرة الإحرام أو آيات الفاتحة والسورة حتى يسبقه الإمام بأركان ، وقد يستفتح بدعاء الاستفتاح ثم يستعيذ ويكرر ذلك ، فيركع الإمام ولا يزال هذا حال الموسوس فى سننه .

وما يقال فى هذا على سبيل الإرشاد هو أن ما شرع فيه هذا المصلى من الدعاء والاستفتاح مسنون والذى تركه من قراءة الفاتحة وهو مفروض للمأموم عند جماعة من العلماء ، فلا ينبغى أن يقدم عليه سنة ، مع أن الوسوسة خبل فى العقل ونقص فى الدين .

١٣ - ومن الناس من يتخلف عن الصف الأول ويقول إنما المراد قرب القلوب ، وهذا أمر يدل على قلة العلم ، ففى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( لو يعلم الناس ما لهم فى النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ) أى عملوا قرعة لنيل ثوابه .

(١) متفق عليه .



وقال : ( خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وشر صفوف النساء أولها وخيرها آخرها ) .

١٤ - ومن البدع تعدد الجماعة فى المسجد الواحد ، وأول ظهور هذه البدعة فى القرن السادس الهجرى ، وهى من البدع المجمع على تحريمها وذلك لمنافاة هذه البدعة مع غرض الشارع من تأليف قلب المسلمين على إمام واحد . كما أن وجود هذه البدعة يؤدى إلى اختلاط أصوات الأئمة ، وقد يصعب على المقتدين متابعة إمامهم عن إمام الجماعة الأخرى ، مما يذهب بخشوع الصلاة . وقد أجمع الأئمة على أن هذه الصلاة غير جائزة .

١٥ - ومن البدع ما يقال بين ركعات صلاة التراويح من الصلاة على أول خلق الله وآخره والترضى عن الصحابة ، فهذا شىء أحدثه المشوشون رياء الناس وانسياقاً مع العواطف المحدثة ومجاراة للعادات .

كما نرى من بدع هذه الأيام ما يسمى بخطف صلاة التراويح ، بل تلك المصيبة نراها فى كل الصلوات فرضها ونفلها . وفى الحديث : ( لا ينظر الله إلى صلاة رجل لا يقيم صلبه فيما فى الركوع والسجود )[1] .

وربما مررت على كثير من المساجد التى تؤدى التراويح عشرين ركعة سوى الوتر فتجد المسجد قد فرغ منهم بعد نحو نصف ساعة ، فكيف توفر لهم الخشوع والاطمئنان والتدبر مع هذه السرعة ، والسبب أن كثيراً من الأئمة لا يتقون الله فى الجماهير حتى يعلموهم السليم من أحكام الله ، بل يجارونهم على حسب عاداتهم ملقاً أو خوفاً ، مع أن العالم كالطبيب ، عليه أن يصارح ، وإلا كان ضرره أكثر من نفعه ، وكان فتنة للناس ووقع وزرهم عليه ، لأنهم رعية وهو راعيهم والمسئول الأول ، ولأن يصليها ثمانى ركعات كما كان يصليها صلى الله عليه وسلم باطمئنان وتدبر

(١) رواه الخمسة وغيرهم .

وخشوع خير من أداء عشرات ومئات بهذه العجلة التى تجعل الملائكة تلفها فى ثوب خلق ثم تضرب بها وجوه أصحابها . نعوذ بالله من الخذلان ، ورضى الله تبارك وتعالى عن سلفنا الصالح الذى ما كان ينصرف من تراويحه إلا قبل الفجر يستعجل الخدم بالسحور لقرب خطوات الليل ، هكذا كانوا يأخذون زاد نهارهم من ليلهم ويحيون شهر رمضان إحياء كله مدارسة وتفقه وعمل وتدبر وإقبال على الخالق سبحانه ، حتى سموه بشهر (الانقطاع عن الخلق والإقبال على الخالق) وكانوا يختمون القرآن فى رمضان جملة ختمات ، والنساء فى ذلك كالرجال إقبالا ونشاطاً وطهراً وتقوى ، رضى الله عنهم ورضوا عنه .

## صلاة المنفرد

وهذا الفصل سيتم تقسيمه إلى قسمين : الأول صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . والثانى صلاة العباد وما طرأ عليها من البدع والمنكرات وكشف الزيف عن الحقائق .

### صلاة الرسول :

كان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة واستقبل القبلة ووقف فى مصلاه رفع يديه إلى أذنيه مستقبلا بأصابعه القبلة ، ناشراً لها ، ويقول (الله أكبر) .

ثم يضع كفه اليمنى على اليسرى فوق المفصل ويضعهما على صدره أو تحته إلى سرته .

ثم يستفتح صلاته بقوله سراً يقول : (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك)[1] .

(١) رواه مسلم والدارقطنى .



أو يقول : (اللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب ، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد)[1] . ثم يقول سراً كذلك: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم يقرأ الفاتحة ، ويجعل قراءته آية آية ، ويقف على رأس كل آية ، وإن تعلقت بما بعدها ، ويتمهل فى قراءته حتى لو شاء أحد أن يعد كلماته لعدها ، ويقول فى آخرها آمين ، يجهر بها ويمد بها صوته ، والمأمومون خلفه يجهرون بها حتى يرتج المسجد .

فإن كان فى صلاة الظهر أو العصر أسر بتلاوته وإلا جهر بها فى الركعتين الأوليين من المغرب والعشاء وركعتى الصبح والجمعة والعيدين حتى يسمع من خلفه ، والثابت عنه فى السكتات ثلاثة ، إحداها لافتتاح الصلاة كما سبق بين تكبيرة الإحرام والتعوذ ، والثانية بعد انتهاء قراءته التى تأتى بعد الفاتحة وقبل الركوع ليرجع إليه فيها نفسه ، وكان يسكت هنيهة بعد الفاتحة وقبل التأمين حتى يتمكن من خلفه من التأمين معه ، وكان كثيراً ما يخص الصبح فى القراءة بطوال المفصل ، والظهر بقريب منها ، والمغرب بقصاره ، والعصر والعشاء بأوساطه ، وربما خالف هذا فقرأ فى المغرب بالأعراف ، وفى الصبح بالقصار أحياناً فى السفر ، وسور المفصل تبدأ من الحجرات إلى آخر القرآن ، ولم يكن من عبادته فى الفرض أن يقرأ من وسط السورة أو آخرها ، وإنما كان يقرأ من أولها ، فتارة يكملها وهو معظم حالاته ، وتارة يقسمها بين الركعتين وربما أعاد فى الثانية ما قرأه من سورة فى الأولى ، وتارة يقرأ سورتين أو أكثر فى ركعة فى النفل ، وربما أدركته كحة فقطع قراءته وركع ، وقد يخففها إذا سمع بكاء صبى رحمة بأمه .

(١) رواه البخارى ومسلم وأصحاب السنن إلا الترمذى .

أما فى صبح يوم الجمعة فكان يقرأ فى الركعة الأولى بالسجدة « ألم تنزيل » وفى الثانية بالدهر كما سبق ، ولم يكتف بإحداهما ولا ببعض كل منهما كما يفعل فى كثير من المساجد الآن .

وفى الجمعة والعيدين كان يقرأ بالأعلى والغاشية ، وقد يقرأ فى الجمعة بالجمعة والمنافقين ، وفى العيدين بسورتى « ق » و « القمر » أو « عم » و « الشمس » ، وكان يطيل الركعة الأولى على الثانية حتى يدرك الناس الصلاة ، فإذا فرغ صلى الله عليه وسلم من القراءة رفع يديه كحالته فى الدخول للصلاة ثم يكبر ويركع واضعاً كفيه على ركبتيه ، مفرجاً بين أصابعه ، مجافياً مرفقيه عن جنبيه ، شاداً ساقيه ، مسوياً بين رأسه وظهره حتى لو وضع عليه ماء لم يستقط ، ثم يقول : سبحان ربى العظيم نحو عشرة مرات أو فوق ذلك أو دونه ، وقال : ( إذا ركع أحدكم فليقل فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاث مرات وذلك أدناه ) أى أقل الكمال ، وربما زاد على ذلك فى ركوعه وسجوده قوله : ( سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ) وأذكار أخرى .

وكان يجعل ركوعه وسجوده مناسبين لقيامه فى التطويل والتخفيف ، فإذا رفع من ركوعه قال : سمع الله لمن حمده ورفع يديه كما رفعهما فى أول الصلاة وعند الركوع ، فإذا استوى قائماً قال : ربنا ولك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد ، وهناك أذكار أخرى ، وربما أطال اعتداله هذا حتى يتوهم من يصلى خلفه أنه نسى ، ثم يكبر وينزل إلى الأرض ساجداً بلا رفع يديه ، واضعاً ركبتيه قبل يديه ، موسطاً رأسه بين كفيه ، مستقبلا بأصابعه القبلة ، ضاماً لها ، مجافياً فخذيه عن بطنه ومرفقيه عن جنبيه ، غير باسط ذراعيه على الأرض ، ناصباً أصابع قدميه مستقبلا بها القبلة ،



ممكناً جبهته وأنفه قائلا : ( سبحان ربى الأعلى ) كما وصفنا من ركوعه ، وكان يضم لها الأذكار الأخرى نحو : ( سبحان ذى العزة والجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ) ، ويكثر من الدعاء ، فأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، وهو جدير أن يستجيب له .

ثم يرفع رأسه مكبراً ، جالساً بين السجودين ، فتبقى رجله اليمنى منصوبة كما هى ويثنى اليسرى على ظهرها ويجلس عليها حتى يرجع كل عضو إلى موضعه قائلا : ( رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وعافنى واعف عنى ) وما شاء من المأثور ، ويفعل فى السجدة الثانية مثل الأولى .

فإذا انتهى منها وأراد القيام لركعة تالية رفع رأسه مكبراً فيديه فركبتيه إن لم يشق عليه ولا يرفع يديه ، فإذا استوى قائماً شرع فى القراءة ولم يسكت ، وهكذا فى الركعات كلها ، فإذا جلس للتشهد الأول جلس بعد التكبير مفترشاً كما يجلس بين السجدتين ويضع يديه على ركبتيه مادا أصابع اليسرى ، ناشراً لها ، قابضاً اليمنى ، ويجعل الإبهام على المفصل الأوسط من الوسطى تحت السبابة وأشار بأصبعه السبابة يحركها ويحنيها قليلا ، يوحد بها ربه عز وجل ، ويجعل بصره إلى موضع إشارته ، ولفظ التشهد على إحدى الروايات الصحيحة : ( التحيات لله ، والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده رسوله )[1] وهناك روايات أخرى صحيحه ويمكن التشهد بها .

فإذا نهض للركعة الثالثة من التشهد الأول قام مكبراً رافعاً يديه للمرة الرابعة كما سبق عند الإحرام والركوع والرفع منه ، وينهض على صدور

(١) رواه الجماعة عن ابن مسعود .

قدميه كما سبق ما لم يشق عليه ، وليس بعد الفاتحة فى الركعتين الثالثة والرابعة سورة .

فإذا جلس للتشهد الأخير جلس متوركاً ، أى نصب اليمنى مستقبلا بأصابعها القبلة وأدخل اليسرى تحتها وجلس بمقعديه على الأرض ، فإذا انتهى من التشهد السابق إلى قوله : ( وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ) صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بأية صيغة من المأثور ، ومنه : ( اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد )[1] . ثم يدعو بالمأثور نحو : ( ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )[2] و ( اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم )[3] و ( اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال )[4] وغيرها من الدعاء الوارد ، فإذا انتهى من التشهد الأخير كما وصفنا سلم عن يمينه وعن شماله بقوله : ( السلام عليكم ورحمة الله ) . وفى رواية زيادة ( وبركاته ) فى التسليمتين يميناً وشمالا وفى رواية ثالثة زيادتها على اليمين دون اليسار ، والكل واسع والحمد لله ، وينوى بالسلام من على يمينه ويساره وأمامه من أنس وجن وملائكة وإمام ويلتفت بالسلام حتى يرى صفحة خده .

وفرض على الصحيح الصلاة من قيام ، فإن عجز صلى على حسب استطاعته من قعود أو اضطجاع أو استلقاء أو مومياً برأسه « لا يكلف الله نفساً إلا وسعها »[5] ، ويراعى فى كل صلاته الخشوع وهو حضور القلب

(١) رواه مسلم وأحمد . (٢) دعاء قرآنى وهو من غالب دعائه صلى الله عليه وسلم .
(٣) من الحديث المتفق عليه عن عائشة رضى الله عنها .
(٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه . أخرجه مسلم .
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٨٦



مع الرب سبحانه ، وسكون الجوارح وتدبر المعانى وتعظيم الله ، ويراعى الاطمئنان وإعطاء الأركان حظها فى التأنى ، فلا صلاة لناقر متعجل ، وإن سها فى صلاته فلم يدر كم صلى بنى على الأقل وسجد للسهو فى آخر صلاته سجدتين قبل السلام أو بعده ، ومثله من قام لركعة زائدة سهواً أو ترك التشهد الأول أو سلم قبل نهاية الصلاة سهواً ، فعليه العودة إلى الصواب بعد التذكر ، ثم يسجد للسهو كما سبق ، حتى يجبر الخلل الذى صدر منه ، وليحاول تذكر الموت واستشعار هيبة الله حتى تقبل صلاته ، وعليه مداومة الصلاة والحذر من ترك فريضة منها فى وقتها ، فلا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له ، ولو كان لتركها عذر لعذر الله المجاهدين ، ولكنه حتم عليهم الصلاة كيفما تمكنوا ، كما لم يعذر المسافرين ، ولكنه رخص لهم فى القصر فقط أو مع الجمع كما يراه بعض الأئمة رحمهم الله ، فيجمعون الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء فقط تقديماً أو تأخيراً ، وفى هذا قال تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »[1] أى فرضاً محدوداً بأوقات ، وقال أبو بكر : ( إن لله صلاة بالنهار لا يقبلها بالليل ، وصلاة بالليل لا يقبلها بالنهار ) .

وعليه أن يبرهن على قبول صلاته بالبعد عن المحظورات ، فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ، وعليه أن يوصى بها أهل بيته ، لأنه راع مسئول ، قال تعالى : « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها »[2] ، « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً »[3] .

وكم هناك من مسلمين من كل طبقات الأمة لا يعنون برعاية أسرهم دينياً وخلقياً كما يعنون بهم ثقافياً ومادياً ، فلا يأمرونهم بالصلاة ولا ببقية

(١) سورة النساء ، الآية ١٠٣ (٢) سورة طه ، الآية ٣٢
(٣) سورة التحريم ، الآية ٦

أوامر الله ، فيكون أثر ذلك التحلل والانفلات من زمام القيم الرفيعة ، وأول من يضار بتحلل الشاب والداه وأخوته وأهله ، فيعاملهم بكل صلف واستعلاء وجشع باسم الحرية ، وصدق من قال : ( من فقد الإيمان فقد الأمن والأمان والآمال والأمانة ) . قال تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »[1] .

## الصلاة وما طرأ عليها من البدع

١ – من بدعها المنكرة تركها كلية أو إهمالها بعدم المواظبة على أدائها فى أوقاتها مهما كانت الأعذار ، اللهم إلا لمسافر أو مريض أو عند نزول المطر أو عند الخوف ، فلهم الجمع بين النهاريتين أو الليليتين ( الظهر مع العصر ، والمغرب مع العشاء ، تقديما أو تأخيراً حسب ظرف كل منهم ) . وقد قال تعالى : « إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً »[2] أى كانت ولا تزال فرضاً محددة أوقاته ، فلا يصح تجميعها وصلاتها دفعة واحدة كما يفعل الكسالى الذين قال الله فى أمثالهم : « وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا »[3] .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما بين الرجل والكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة )[4] . وهذا الحديث من أخطر الأحاديث فى بيان حكم تارك الصلاة ، حيث يبين أن الفرق بين المسلم والكافر ترك الصلاة ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا سهم فى الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا صلاة لمن لا وضوء له ) . وفى حديث

(١) سورة الأنعام ، الآية ٨٢ (٢) سورة النساء ، الآية ١٠٣
(٣) سورة النساء ، الآية ١٤٢
(٤) رواه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه .



آخر طويل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله ) .

وحكم تارك الصلاة تكاسلا مع اعتقاده بفرضيتها عند معظم الأئمة هو أن يوعظ ثلاثة أيام ، فإن لم يتب يقتل حداً ، وقيل يقتل كفراً ، فلا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ولا يورث ويصير ماله لبيت المال . أما الإمام أبو حنيفة فيقول : إنه يحبس ويضرب إلى أن يتوب أو يموت . ومع هذا نجد أن كثيراً أنعم الله عليهم فى جوانب شتى ومع هذا يعصونه ولا يصلون ويقولون نخاف الله ، وكذبوا على الله ، فلو خافوا الله لأدوا فرائضه .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

كما أنهم لا يكتفون بهذه المعصية الكبرى ، بل تراهم يخرجون للدنيا أجيالا من أولادهم لا يعرفون قيم الدين ولا أهمية الصلاة وقدسيتها ، والله يقول : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم »[1] ، فلا يعصم الكافر دمه من سيف المسلمين إلا بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة ، فهما حق من حقوق الإسلام وتركهما ينفيه ، وقد قال تعالى : « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً »[2] .

قال ابن مسعود : ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب : هو أن لا يصلى الظهر حتى يأتى العصر ، ولا يصلى العصر إلى المغرب ، ولا يصلى المغرب إلى العشاء ، ولا يصلى العشاء إلى الفجر ، ولا يصلى الفجر إلى طلوع الشمس ، فمن

(١) سورة التوبة ، الآية ٥ (٢) سورة مريم ، الآية ٥٩

مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب أوعده الله بالغى المذكور فى الآية ، وهو واد فى جهنم ، بعيد قعره ، شديد عقابه .

وقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون »[1] . وقيل : إن ذكر الله هنا المراد به الصلاة أو سائر الطاعات المفروضة . وقال صلى الله عليه وسلم فى آية : « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون »[2] قال : هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

وقال صلى الله عليه وسلم : ( من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبَيّ بن خلف )[3] .

وقد قال بعض العلماء فى هذا الحديث : إن الحشر مع هؤلاء على ضروب مختلفة ، فمن اشتغل عن الصلاة بماله فقد تشبه بقارون فيحشر معه ، أو انشغل بملكه أشبه بفرعون فيحشر معه ، أو بمهنته بهامان فيحشر معه ، أو بتجارته أشبه بأبَيّ بن خلف تاجر كفار مكة فيحشر معه .

وإنى لأعجب من رجل يؤخر الصلاة حتى يخرج وقتها ، مدعياً التشاغل ، فكيف له أن يشتغل بشيء فاته فى دنيا فانية عن عبادة الباقى سبحانه وتعالى ، وهى زاده فى الآخرة .

٢ – ومن البدع رفع الصوت بالنية بحجة أن اللسان يساعد القلب ، بل تجدهم يكررون ويؤكدون مراراً النطق بالنية كأنما يخاطبون من لا يعلم ويريدون إعلامه – تعالى الله .

(١) سورة المنافقون ، الآية ٩ (٢) سورة الماعون ، الآية ٥
(٣) رواه أحمد والطبرانى وابن حبان .



فترى أحدهم يتحرى أن يقول أنه سيصلى الظهر مثلا ، وأنه أربع ركعات فرضاً ، وأنه فى جماعة ، وأنه مقتدياً بهذا الإمام ، وأن هذه الصلاة حاضرة وليست قضاء ، وأنه مستقبل القبلة ، وغير ذلك من الأباطيل التى ليس لها أصل فى الدين ، وتدل على الخبل والوسوسة .

وهذا سببه عدم العلم ، لأن النية محلها القلب فى أى عمل من الأعمال ، وإلا أين الجهر بالنية فى دفع الزكاة أو الصدقة أو الأذان . وكل من اتجهت إرادته وعزيمته إلى أداء شيء وقصده فقد نواه ، لأن النية قصد الشيء مقترناً بفعله ، بل هناك من الأئمة من يجيز سبق النية فى الصلاة لأدائها بزمن يسير ما دام مستمراً على نيته ولم ينقضها .

وإذا كان هذا هو الإسلام ، فلماذا نزيد عن الوارد ، ونبتدع فى الدين ما ليس منه .

٣ – ومن الأخطار التى يقع فيها البعض أداء الصلاة لغير سترة ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا صلى أحدكم فليصل إلى سترة وليدن من سترته حتى لا يقربه الشيطان )[1] . والسترة : هى شيء مرتفع أمام المصلى كالحائط أو العمود أو مثلهما أو شيء يحجز المارة أمامه ويكون مرور الناس بعده .

والسنة ألا يبعد المصلى عن سترته أكثر من ثلاثة أذرع ، فإذا حاول أحد أن يمر بين يديه دفعه بكل حرص ، فإذا أصر على المرور قاتله ، فإنما هو شيطان ، كما فى الحديث وصلاته صحيحة .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لو يعلم المار بين يدى المصلى ما عليه من الإثم لوقف أربعين )[2] ، ونرى فى هذا من الزجر الكفاية .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وليس فيه ذكر الشيطان . (٢) رواه الجماعة .

أما من لا يضع أمامه سترة مع وجودها ، وأهمل فى هذا ، فليس هناك حرج على المار أن يمر من أمامه تاركاً بينه وبين المصلى مسافة بقدر سجوده ، ومعلوم أنه فى الجماعة يكون الإمام سترة لمن خلفه ويكون كل صف سترة لمن وراءه .

٤ – ومن البدع رفع الصوت بالصلاة من المنفرد والمأموم ، فيشوش على المتعبدين بجواره وفى المسجد ، وهذا إنما يباح فى صلاة النفل فى البيت وخاصة فى قيام الليل بشرط ألا يشوش على نائم أو متعبد .

وفى هذا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ناصحاً ومؤدباً : ( يا علىّ ، لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلى الناس ، فإن ذلك يفسد عليهم صلاتهم ) كما ذكره صاحب المدخل ابن الحاج .

والسنة أن يسمع الإنسان نفسه فى صلاته ، وينبغى الإسرار حيث يطلب الإسرار ، والجهر حيث يطلب الجهر ، ففى الظهر والعصر إسرار ، وفى المغرب والعشاء والصبح والجمعة والعيدين جهر ، قال الله عز وجل : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين »[1] .

٥ – ومن البدع عدم ترتيل القرآن وأحكامه وعدم إعطاء الحروف حظها من التجويد ، وأجمع العلماء على أنه من لم يجود القرآن آثم ، لأنه به الإله أنزلا وهكذا منه إلينا وصلا ، قال تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا »[2] ، وقد قالت عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم لا يسرد كسردكم ولكنه كان يقرأ قراءة مفسرة مرتلة ، لو شاء العاد أن يعد كلماتها لعدها ) . وكان يقرأ « الرحمن » يمدها ويقف عليها « الرحيم » يمدها ويقف

(١) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥ (٢) سورة المزمل ، الآية ٢



عليها ، فيقف على رأس كل آية وإن تعلقت بما بعدها ، إذا مر بآية رحمة وقف وسأل الله من فضله ، وإذا مر بآية عذاب وقف وتعوذ من غضبه وعذابه .

وهذا التجويد لازم فى القرآن داخل الصلاة وخارجها ، لأنه حق كتاب الله الذى قال الله فى شأنه : « كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب »[1] ، ولا يمكن للتالى أن يتدبر ما لم يعط الحروف حظها من التأنى والتجويد والغن والمد والإدغام والإظهار وغيرها من الأحكام مع خشوع القلب وسير الخاطر مع الآيات يتفهمها وخاصة صلاة الفجر « إن قرآن الفجر كان مشهوداً »[2] . وقيام الليل حيث تستجم الأبدان وتهدأ الأصوات ويسكن الصخب ويفرغ الجو للمناجاة « إن ناشئة الليل هى أشد وطئاً وأقوم قيلا »[3] ، أى أن التلاوة والصلاة المنشأة فى الليل يتواطأ فيها اللسان مع القلب فهماً وتدبراً .

وإنما كان قرآن الفجر مشهوداً – لشهود الملائكة – ملائكة الليل العارجين وملائكة النهار الهابطين ، فيساعدون المؤمن على شهود قلبه لنطق لسانه لصفاء الجو حوله بالأرواح المباركة ، والقرآن روح ونور ، يحيى الله به موات القلوب وينير به السبيل الأقوم « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا »[4] . فحق لكتاب هذا شأنه أن نعطيه حقه من الإجادة والتجويد والإحسان ، والله مع المحسنين .

٦ – ومن الحرمان ترك سجدة التلاوة فى الصلاة أو خارجها إذا كان المسلم متطهراً ، وهى عبارة عن سجدة واحدة يسجدها المسلم عند مروره

(١) سورة ص ، الآية ٢٩ (٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٨

(٣) سورة المزمل ، الآية ٦

بآية سجدة من آياتها المحددة فى القرآن والمشار إليها فى هوامش المصاحف ، يسبح كتسبيح السجود المعتاد ، ويزيد : ( اللهم اكتب لى بها عندك أجراً وضع بها عنى وزراً واجعلها لى عندك ذخراً وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود ) ومثلها سجدة الشكر خارج الصلاة عند حدوث نعمة ذات شأن ، ويكبر قبلها تكبيرة الإحرام ثم تكبيرة الانتقال ، ثم يسجد للشكر ثم يكبر للرفع ثم يسلم .

٧ – ومن الإهمال والحرمان ترك صلاة الضحى ، وهى من ركعتين إلى ثمان ركعات . وعن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى ) رواه مسلم .

٨ – ومن الحرمان أيضاً ترك الصلاة الخسوف للقمر والكسوف للشمس عند حدوثها ، وترك صلاة الاستسقاء . ومن البدع أيضاً ترك قصر الصلاة فى السفر ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ) . ولم يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أتم صلاة رباعية فى سفر ، ولذلك عد بعض الأئمة القصر فى السفر عزيمة .

٩ – ومن أشد أنواع الإهمال والتعرض للمسئولية ترك تعليم الأهل من الوالدين والزوجة والأولاد وسائر أفراد الرعية والخدم . والحديث يقول : ( كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته )[1] .

وقد كانت بنت سعيد بن المسيب متفقهة فى دينها حتى أنها قالت لزوجها : ( اجلس أعلمك علم سعيد ) . وكانت بنت مالك تدق الباب

(١) متفق عليه .



على أبيها إذا لحن تلميذه وهو يقرأ عليه الموطأ فى حرف بزيادة أو نقص .

وحتى الخدم كانوم على فقه ساداتهم ، فقد أرسلت بنت مالك جاريتها ذات مرة لتشترى خضرة بخبز ، ولم يكن عند البائع خضرة جاهزة ، وكان اسمه أشهب ، فقال لها : اتركى الخبز هنا ، فإذا جاءتنا الخضرة أرسلناها لكم . فقالت الجارية : ( هذا لا يحل لأنه بيع طعام بطعام ولا بد أن يكون يداً بيد ) . وهذا من فهمها لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( البر بالبر والشعير بالشعير والملح بالملح والذهب بالذهب والفضة بالفضة ، يداً بيد ، وزناً بوزن ، مثلا بمثل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى )[1] .

١٠ – ومن البدع التهاون فى السنن الرواتب مع أنها مساندة للفرض ومكملة له يوم القيامة ، كما ورد فى الحديث : ( أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله ، وإن نقصت قال الله تعالى : هل لعبدى من تطوع ، فإن كان له فأكملوا فرضه من تطوعه )[2] . ولاشك أن المواظبة على النفل مما يقطع أمل الشيطان فى زحزحة المسلم من فرضه . فما دام يحرص على الأدنى فهو أشد حرصاً على الأعلى . وكل أركان الإسلام تتضمن الفرائض والسنن ، حتى كلمة التوحيد لا يكفى أن ينطق بها المسلم مرة واحدة ليكون مسلماً ، ولكنه مطالب بتكرارها فى مواطن كثيرة لتجديد الإيمان ، كما ورد فى الحديث : ( جددوا إيمانكم ، قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول الله ؟ قال : أكثروا من ذكر لا إله إلا الله ) أخرجه المنذرى . ومع رمضان الركن صيام نوافل كثيرة : الاثنين والخميس ، وعرفة ، وعاشوراء ، والثلاثة أيام البيض ، ومن الأشهر الحرم الإكثار فى الصيام .

(١) رواه أحمد والبخارى .

(٢) رواه أبو داود .

ومع الزكاة أيضاً مطلوب صدقات ، وفى الحج من استطاع أن يؤديه والعمرة كذلك ، سوى ما فرض الله منهما فى غير ضراء فله أجره عند ربه ، وهكذا ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، وهو القائل : « ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم »[١] ، وقال « فمن تطوع خيراً فهو خير له »[٢].

١١ – ومن البدع نقر الصلاة ( الإسراع فى الصلاة ) ، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ( نقر الغراب ) .

وقد شاهد صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ارجع فصل فإنك لم تصل . فرجع فصلى ، ثم أتى ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجع فصل فإنك لم تصل ، فرجع فصلى ، ثم أتى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارجع فصل فإنك لم تصل . فقال : والذى بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمنى يا رسول الله ، فقال له : ( إذا قمت للصلاة فكبر ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ثم ارفع حتى تعتدل قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها )[٣] . وفى رواية : حتى تسترخى مفاصلك .

فالطمأنينة ركن من أركان الصلاة كالفاتحة تماماً ، وعدم الطمأنينة يفقد المصلى صحة الصلاة حتى كأنه لم يصل ، كما أن عدم الطمأنينة يفقد المصلى الخشوع فى صلاته ولا يمكنه من تدبر كلمات الصلاة ، مع أن الخشوع روح الصلاة ، ويجب أن يعلم المسلم أنه ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ، أى ما وعى وتدبر منها ، فليست الصلاة حركات تؤدى ولكنها صلة بين العبد وربه ، فعليه أن يحسن طهورها وآدابها حتى يخرج

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٨ (٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٤

(٣) سبق تخريجه وهو يذكر فى الكتب بحديث المسىء فى صلاته .



المرء من صلاته وقد أضفت عليه حلة من النور . وإذا تأملنا صلاة الناقر وجدناه قد أساء القراءة بعدم الترتيل والركوع والسجود بعدم الاطمئنان ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إذا ركع أحدكم فليقل فى ركوعه سبحان ربى العظيم ثلاثاً ، وذلك أدناه ، وإذا سجد فليقل فى سجوده سبحان ربى الأعلى ثلاث مرات ، وذلك أدناه ) .

هذا مع العلم أنه أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فكيف يزهد العبد فى هذا اللقاء الروحى الجليل .

١٢ – ومن البدع مداومة صلاة النوافل بالمساجد وحرمان البيوت منها .

وهذه أيضاً مخالفة لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : ( خير صلاة الرجل صلاته فى بيته إلا المكتوبة )[١] . وقال : ( اجعلوا لبيوتكم نصيباً من صلاتكم ولا تجعلوها كالمقابر )[٢]. وقال : ( إن الله سبحانه وتعالى جاعل للمرء من صلاته فى بيته خيراً )[٣]. ولاسيما فى اقتداء أهل منزله به خاصة الأطفال والنساء .

١٣ – ومن البدع وضع اليدين حال القيام فى هيئة الإرسال على الجنبين .

وهذا ليس من السنة فى شىء ، والإمام مالك رضى الله عنه وإن كان قد أرسل يديه فى أواخر حياته ، فذلك لأنه قد أوذى بخلع ذراعه فى فتنة خلق القرآن حين عذبوه ، فكان لا يستطيع رفعهما ووضعهما بالهيئة المعروفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى باطن الكف الأيمن فوق المفصل الأيسر على الصدر أو تحته ، وقد علم أن مالكاً كان له عذره ولم

(١) رواه أبو داود . (٢) رواه أحمد وأبو داود .

(٣) رواه أحمد ومسلم .

يكن قبل بلائه على هذا الحال ، وهو إمام دار الهجرة ومن أئمة أهل السنة ، وقد مكث رضى الله عنه يقبض ولا يرسل ثمانياً وعشرين سنة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أمرنا نحن معشر الأنبياء أن نؤخر سجودنا وأن نعجل إفطارنا وأن نضع أيماننا على شمائلنا فى الصلاة )[1] .

١٤ – ومن البدع قلب اليد اليمنى عند التسليمة الأولى واليسرى عند التسليمة الثانية . وهذا أيضاً من البدع التى لا أصل لها فى الدين . وفى الحديث : ( صلوا كما رأيتمونى أصلى ) . ولم يرو عنه صلى الله عليه وسلم أنه قلب يديه عند السلام .

١٥ – ومن البدع إطالة السجدة الأخيرة فى الركعة الأخيرة وحدها . وهذا لم يكن من هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث كانت صلاته كلها سواء ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، وسجوده على نحو ركوعه ، وكان يطيل فى الركعة الأولى عن الثانية ليدرك المتأخرون الصلاة فى أولها . أما إطالة السجود فى السجدة الأخيرة بغرض الدعاء فليس من الدين ، فقد وزع الإسلام الذكر والدعاء على أركان الصلاة وركعاتها .

١٦ – ومن المنكرات رفع البصر إلى السماء حال الصلاة .

وفى هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء فى الصلاة أو لتخطفن أبصارهم )[2] . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر حال قيامه إلى موضع سجوده ، فإن ذلك أدنى لتركيز الفكر .

١٧ – ومن الإهمال أيضاً عدم الاعتناء بالمظهر فى الصلاة ، مع القدرة على ذلك .

(١) يروى فى كتب الفقه عن سهل بن سعد بدون تخريج ويعزوه الكثير مع غيره من أحاديث وضع اليمنى على اليسرى إلى الإمام أحمد .

(٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى .



ولابد للعاقل أن يدرك أنه ما دام يعنى بمظهره عند لقاء الناس فمن باب أولى أن يعنى بهذا المظهر حين يقابل ربه وهو ملك الملوك ، والله يقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد »[1] ، أى عند كل صلاة ، وقد كان الحسن رضى الله عنه حلة تقدر بالآلاف أعدها لصلاته ويقول : ( أحب أن أتزين لربى ) .

١٨ – ومن المنكرات الالتفات فى الصلاة .

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات فى الصلاة ، فقال : ( هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ) .

١٩ – ويجب على المرأة أن تعلم أن هناك اختلافاً فى بعض هيئات صلاتها عن الرجل . فالرجل مأمور أن يبعد مرفقيه عن جنبيه ويرفعها عن الأرض حال السجود ، وهذا بخلاف المرأة التى يجب أن تلصق مرفقيها بالأرض وبجانبيها ، فذلك أستر لها ، كما لا يصح أن تجهر المرأة بتكبيرة الإحرام أو القراءة والتسبيح والتسليم أو تكبيرات الانتقال بحضرة الأجانب فهذا أبعد عن الفتنة ، ولهذا منعها الإسلام من الأذان والفتح على الإمام بالتسبيح .

٢٠ – ومن الخطأ اعتقاد أن صلاة الفجر غير صلاة الصبح مع أنها شىء واحد عبارة عن ركعتين سنة هما خير من الدنيا وما فيها ، كما فى الحديث ، ثم ركعتان فرضاً ، سواء كان ذلك أداء أو قضاء كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ( ووقتها الصحيح من ساعة ما يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر حتى مطلع الشمس ) . وقد صلاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طلوع الشمس لعذر النوم فى السفر

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٧١

بدون قصد ، فأمر صلى الله عليه وسلم بالأذان ثم التنفل بالسنة ثم الإقامة ثم صلى بهم جماعة كما كان يفعل بهم فى الأداء تماماً .

وعلى المسلم أن يستغل أداء الصبح فى أول وقته « إن قرآن الفجر كان مشهوداً »[1] ، حتى تشهد له ملائكة الليل والنهار ، والذين يقومون من نومهم فى السابعة أو الثامنة صباحاً دون عذر من غلبة نوم بسبب سهر اضطرارى قد ارتكبوا باباً من أبواب الكبائر ، لأنهم أخروا الصلاة عن ميعادها متعمدين دون عذر .

وكل إنسان مطالب بما وهبه الله من نعيم فى هذا العصر الحديث أن يستيقظ لصلاة الصبح فى وقت الفجر ويصليها فى أول وقتها ، وطالما بزغت الشمس عليه متعمداً تركها فى وقتها ، فليعلم أنه بدأ يومه بمعصية لله عز وجل ، فقد أنعم الله على الكثيرين ممن يؤخرونها عن وقتها بوسائل عصرية تمكنهم من الاستيقاظ مثل ( الساعات ذات الأجراس ) وغيرها ، ولكنهم يفضلون السهر طوال الليل أمام آلات اللهو ثم لا يبقى من الوقت ما يسمح لجسدهم بالراحة فينامون عن صلاة الصبح ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أثقل صلاة على المنافقين صلاة الصبح والعشاء ) .

أما وقد أشرفنا على نهاية الكلام على أحكام هذه الشعيرة المهمة ( الصلاة ) التى هى أول ما فرض وآخر ما يبقى من هذا الدين وأول ما يحاسب عليه العبد . فأنى أذكر هنا ما أعجبنى من جواب بعض الصالحين على سؤال وجهه إليه شيخه قائلا :

صحبتنى كذا وكذا سنة وحضرت علىّ دروس العلم فهل تعرف الآن كيف تصلى ؟ فقال هذا التلميذ الصادق المخلص : نعم يا شيخى أعرف كيف أصلى . قال : كيف ؟ قال : أهيئ نفسى للصلاة هكذا :

١ ــ مستنجياً بالاستبراء .

(١) سورة الإسراء ، الآية ٧٨



٢ ــ ثم متوضئاً بالإسباغ .

٣ ــ قائماً بالاستقبال .

٤ ــ ثم ناوياً صلاتى بالاستحضار .

٥ ــ ثم مكبراً ربى بالتعظيم .

٦ ــ ثم مستفتحاً صلاتى بالأدب .

٧ ــ ثم متعوذاً بالتحصين .

٨ ــ ثم قارئاً الفاتحة والسورة بالتدبر .

٩ ــ ثم راكعاً بالخضوع .

١٠ ــ ثم معتدلا بالتوبة .

١١ ــ ثم ساجداً بالخشوع .

١٢ ــ ثم جالساً بين السجودين بالترقب .

١٣ ــ ثم راجعاً للسجود الثانى بالأمل فى رحمة الله .

١٤ ــ ثم قائماً لبقية صلاتى بالنشاط .

١٥ ــ ثم متشهداً بالثناء على الله والصلاة والسلام على رسوله وآله .

١٦ ــ ثم داعياً ربى بما يصلح أحوالى فى دنياى وأخراى .

١٧ ــ ثم مسلماً على اليمين واليسار بين الرجاء والخوف ، هل قبلت صلاتى أم ردت ؟ .

١٨ ــ ثم خاتماً صلاتى بالاستغفار والأذكار المأثورة .

١٩ ــ ثم محافظاً على صلاتى من أن يصلها البطالان بالذنوب والعصيان ، أو بضياع الخشوع والاطمئنان ، أو بالظلم والطغيان .

٢٠ ــ ثم أؤكد قبولها بالتواضع والرحمة للناس والسعى فى برهم .

فقال شيخه : وفقك الله وتقبل منك صالح عملك ، هذه هى الصلاة التى يتقبلها الله من المتقين ، والآن أيها التلميذ الرشيد علمت أنك عرفت كيف تصلى .

# الصـوم

يقول تعالى : « وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون »[1] . ويقول تعالى فى الحديث القدسى : ( كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به )[2]. والصوم شعيرة من شعائر الإسلام التى تتسم بمجاهدة النفس وتقويمها بالصبر على الشهوات المادية والنفسية وكبح جماحها . وهو لمن أداه كما أراده الله عز وجل نجاة يوم القيامة . وإن فى الجنة باباً اسمه الريان لا يدخل منه إلا الصائمون ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد سواهم ، ولكن أعداء الدين من الإنس والجن لم يريدوا لابن آدم أداء ما فرض عليه فأدخلوا فى عقله ظلمات من بدعهم التى سنورد بعضها فيما يلى :

١ – ترك صوم رمضان تكاسلا أو تشاغلا أو عادة مع القدرة ، والله يقول : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم »[3] . وترك صوم رمضان هو ترك ركن من أركان الإسلام . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( عرا الإسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الإسلام ، من ترك واحدة منهن فهو بها كافر حلال الدم : شهادة ألا إله إلا الله ، والصلاة المكتوبة ، وصوم رمضان ) . وفى رواية : ( من ترك منهن واحدة فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله )[4]. وهذا جزاء الاستهانة بدين الله وشرائعه ، أضف إلى هذا عذاب الآخرة : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسى ما قدمت يداه ، إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً ،

(١) سورة البقرة ، الآية ١٨٤ (٢) رواه أحمد ومسلم والنسائى .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٣ (٤) رواه أبو يعلى والديلمى .



وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا ، وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا »[1].

وليلة الإسراء شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم قوماً معلقين من عراقيبهم ، مشققة أشداقهم تسيل دماً وقيحاً ، فسأل : من هم ؟ فقيل له : ( الذين يفطرون قبل تحلة صومهم ) .

٢ – ترك صوم يوم من أيام رمضان دون عذر :

وهذا أخذه بعض المسلمين ببساطة ، مع أنه من الكبائر : « وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم »[2]. والحديث يقول : (من أفطر يوماً من رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر كله وإن صامه ) . ورغم هذا التهديد الشديد والوعيد الأكيد فالذى عليه أكثر العلماء أن يجزى عن اليوم يوم ولو أقصر منه لظاهر قوله تعالى : « فعدة من أيام أخر »[3] .

وهذا من حيث قضاء اليوم ، أما من حيث الذنب فلا إلا بتوبة نصوح وندم شديد .

٣ – الصوم مع ترك الصلاة :

وهذه المصيبة موجودة عند غالبية من المسلمين ، بل وتراهم يثابرون فى الصوم ويلبس عليهم إبليس بأن الصوم أشق من الصلاة والله غفور رحيم . وهذا من قلة العلم ، بل من الجرأة على الله ، وبعضهم يصلى من أجل قبول صومه فحسب ، حتى إذا انتهى رمضان لا صدق ولا صلى .

(١) سورة الكهف ، الآيتان ٥٧ و ٥٨ .
(٢) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى .
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٤

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أربع فرضهن الله فى الإسلام ، من أتى بثلاثة لم يغنين عنه شيئاً حتى يأتى بهن جميعاً : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت ) . والحديث محمول على القدرة على أداء الزكاة والصوم والحج ؛ ونقول لمن يتهاون فى الصلاة : « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً »[1].

٤ – ومن بدع الصوم الخوض فى أعراض الناس وأكل الحرام واللغو والظلم والنظر إلى النساء بعين الشهوة المحرمة .. إلخ . وهذا ما عليه حال معظم المسلمين الآن ، حتى أنك ترى المسلم الصائم يسب هذا ويجهل على هذا ويظلم هذا ، ولو علم هؤلاء ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش )[2] . وقوله : ( إذا سابك أحد أو جهل عليك فقل إنى صائم ، إنى صائم )[3] ، إذ أنه لا معنى للصوم عن الطعام والشراب دون بقية الشهوات المحرمة بأنواعها . فالصيام كما سبق أن أشرنا تقويم للجوارح كلها وتعويد لها على التحمل والامتناع عن الشهوات المادية والنفسية المحرمة وعصمة اللسان من الزلل ، وهذا ما يجب على المسلم العلم والعمل به ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه )[4] .

٥ – ومن المنكرات إهمال السحور أو تقديمه بحيث يكون بعد الإفطار بقليل :

وهذا أيضاً مخالف لما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للأمة

(١) سورة فاطر ، الآية ٦ (٢) رواه النسائى وابن ماجه والحاكم .
(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم . (٤) رواه الجماعة إلا مسلم .



الإسلامية . وفى الحديث : ( لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور )[1] .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( تسحروا فإن فى السحور بركة )[2] . والسحور يعطى الصائم القدرة على مواصلة الصوم بالنهار . وقد أرشدنا الإسلام إلى ما يعين الإنسان فى صيامه وهو ( تأخير السحور وتعجيل الفطر ونوم القيلولة ) . ومن فوائد تأخير السحور إدراك صلاة الفجر فى أول وقتها مع التمكن من الاستغفار فى الأسحار . وتنفيذ ذلك من السنة ، ويثاب المرء على فعله ، أما تركه فهو من الحرمان المذموم .

٦ – ومن البدع صوم يوم الشك وهو اليوم الثلاثون من شعبان إذا لم تثبت رؤيا هلال رمضان ، وأشاع بعض الناس ثبوته دون تيقن . والآن بحمد الله وسائل الإعلام المسموعة والمرئية فى كل مكان كفيلة بأن تقطع الشك وتجعل المسلم على بينة من أمره .

٧ – ومن البدع مواصلة صوم التطوع طوال العمر . وفى الحديث : ( لا صام من صام الدهر كله ) .

وقد يظن البعض أنه زيادة قربى لله ، وقد ترى أحدهم وقد هزل ولم يستطع القيام بواجبه نحو أسرته ودينه وواجبات الناس .

والمسلم من لم يترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه ، بل يجمع بينهما . ولقد أمر الإسلام بتخفيف العبادة عند تعرض البدن لواجبات لا تحتمل . والسنة أن يصوم المسلم ويفطر على ألا يؤثر صيامه على فرائض العبادات أو فرائض المعاملات .

والوصال ( بمعنى ترك الإفطار والسحور ) من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : ( إنى لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى

(١) الفتح الربانى عن أبى ذر ومجمع الزوائد . (٢) رواه البخارى ومسلم .

يطعمنى ويسقينى)[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: (أفضل الصيام صيام أخى داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً)[2].

ومن السنة أن يصوم الإنسان يومى الاثنين والخميس، ففيهما قال عليه الصلاة والسلام: (ترفع الأعمال إلى الله تعالى، وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم)[3].

ومن السنة أيضاً صوم الأيام القمرية البيض الثلاثة (يوم ١٣ و ١٤ و ١٥) فى كل شهر عربى، فهو كصيام الدهر كله، لأن (من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر كله). فالحسنة بعشر أمثالها واليوم بعشرة أيام.

ومنها صيام يوم عرفة، فإنه يكفر ذنوب سنتين ماضية ومقبلة، وصيام العاشر من المحرم (عاشوراء) يكفر ذنوب سنة ماضية، ويسن صوم تاسوعا قبله أو يوماً بعده.

ومنها صيام ستة أيام من شوال، ففيه يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر)[4].

وهناك أيام ثلاثة لم يصح فيها ندب الصوم: أولها نصف شعبان وحديثه موضوع أو شديد الضعف، ويوم السابع والعشرين من رجب وحديثه مكذوب كذلك، وثالثها يوم الثانى عشر من ربيع، اللهم إلا إذا صادفت هذه الأيام يوماً اعتاد المسلم أن يصومه كيوم الاثنين أو الخميس أو الثلاثة أيام البيض فلا بأس.

٨ - ومن البدع لدى كثير من الناس عدم الاعتراف بعيد الفطر إلا بعد صيام ستة أيام من شوال تابعة لشهر رمضان، ويسمونه بعد ذلك

(١) رواه أحمد وغيره. (٢) رواه البخارى ومسلم.
(٣) رواه أحمد. (٤) رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى.



عيد الأبرار، وهو عندهم فى اليوم السابع من شوال، مع أن عيد الفطر أحد عيدين كريمين شرعهما الله للمسلمين بدل أعياد الجاهلية. وصيام الستة من شوال مطلوب، ولكن البلاء فى تغيير خلق الله باختراع عيد لهم لم يشرعه الإسلام. ومن هنا رأى بعض الأئمة عدم وصل ستة شوال بالعيد حتى لا يعتقد العوام فرضيتها كرمضان، وعدم المواظبة الدائمة على سورتى السجدة والدهر فى ركعتى صبح الجمعة خشية اعتقاد فرضيتها عند السذج والعوام - وإن كنا مع هذا نعتقد أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم هى الأول بالاتباع مع وجوب تنبيه العلماء على سنية ما هو سنة وفرضية ما هو فرض.

٩ - ومن المنكرات صوم المرأة نفلاً بدون إذن زوجها، وصوم الرجل ينزل ضيفاً على قوم إلا بإذنهم، وذلك لحديث: (إذا نزلت على قوم فلا تصومن إلا بإذنهم). ويقول صلى الله عليه وسلم: (لا تصم المرأة وزوجها شاهد يوماً واحداً فى غير رمضان إلا بإذنه)[1]. ومن السنة إذا نزل ضيف بقوم صائمين نفلاً أن يفطروا من أجله إلا إذا كان صائماً هو الآخر. أما إذا كان الضيف صائماً ونزل بقوم مفطرين فالسنة له أن يتم صومه وأن يعلمهم به حتى لا يتكلفوا له، اللهم إلا إذا شاء هو الفطر فليفطر. وفى الحديث: (الصائم المتطوع أمير نفسه، إن شاء أفطر وإن شاء أتم)[2].

١٠ - ومن بدع الصوم الفخر بتعود التنقل فى الصيام، وذلك من الرياء، فترى الرجل الذى أشيع عنه أنه يصوم الاثنين والخميس وثلاثاً من كل شهر مثلا إن أفطر يخفى أفطاره لكى لا ينكسر جاهه عند الناس، وهذا من الرياء الشنيع، وتراه إذا قدم إليه أحد طعاماً أو شراباً وهو صائم يقول: اليوم الخميس، ذلك ليفهم منه أن هذه عادة عنده فى صوم

(١) رواه أحمد والبخارى ومسلم. (٢) هذه رواية الحاكم.

الخميس ، وقد يجعله إبليس اللعين يفكر فى أن يقول ذلك لكى يقتدى به ، ولكن ما هى إلا إرادة الشهرة الدفينة فى النفس تظهر من وراء ستائر أخرى زائفة ، والله أعلم بمقاصد عباده .

وقد تجد هذا الصائم لا يتورع عن نظرة ولا عن فضول كلمة ، ويظن أن صيامه يدفع إثمه ، لأن الحسنات يذهبن السيئات ، ونحن نقول له : نعم إن الحسنات يذهبن السيئات ، ولكن هذا مع اكتمال هيئة الحسنات ، أى إذا صح صيام اليوم دون شهوة محرمة ودون إصرار على الصغائر تكون هذه الحسنة ( صيام اليوم ) سبباً فى ذهاب بعض السيئات ، فذلك الذى يحدث من قلة العلم .

ومن الحرمان عدم استقبال الهلال أول الشهر كما كان صلى الله عليه وسلم يستقبله بقوله وهو ينظر إليه : اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال خير ورشد ، آمنت بالذى خلقك ، الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر كذا .

ومن البدع الإسراف فى تناول الشهوات فى الإفطار والسحور مما يذهب بحكمة الصوم ، كما فى الحديث : ( صوموا تصحوا ) وما يولد كثيراً من العلل . وإنك لتجد عيادات الأطباء عقب رمضان عامرة بالمرضى الذين لم يفهموا حكمة الصوم إلا أنه عب من المتع وتبذير للمال وإضاعة للوقت والعافية ، قال تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين »[1] . وفى الحديث : ( البطنة رأس كل داء ، والحمية رأس كل دواء ، وما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا بد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ) .

ورحم الله الشافعى فى قوله : البطنة تذهب بالفطنة . وصدق من قال :

(١) سورة الأعراف ، الآية ٣١



من كان همه فى بطنه فقيمته ما يخرج منها . والمفروض أن الصوم شرع ليتحكم المرء فى نفسه حتى يسيرها حسب مرضاة الله فلا تتحكم هى فيه ، فالصوم تسام بالعقل وإعلاء لسيادة المؤمن على شهواته ، ويا ويل من تحكمه شهواته .

ومن السنة فى الصوم الدعاء بالمأثور عند الفطر ، فيسمى الله فى أوله ويحمد فى آخره قائلا : باسم الله ، اللهم لك صمت وبك آمنت وعلى رزقك أفطرت ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله ، يا واسع الفضل اغفر لى ، الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت ، اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى ذنوبى . أو يقول ما تيسر له من ذلك . وبعد إفطار خفيف يقوم لصلاة المغرب فى أول وقتها حتى يجمع بين الحسنتين : التعجيل بالأفطار وأداء المغرب مبكراً . وهناك من يستمرون فى الطعام والشراب إلى قرب العشاء ، ومنهم من يعجّل بالصلاة قبل الإفطار ، وكل هذا من البدع .

ومن السنن المؤكدة المواظبة فى رمضان على صلاة الجماعة وأداء التراويح ثمانى ركعات بطمأنينة ، فذاك خير من مائة ركعة مع العجلة ، وليحرص المسلم على تلاوة القرآن وختمه فى رمضان مرة على الأقل ، فهو شهر القرآن ، فيه نزل فى ليلة هى خير من ألف شهر ، من أحياها وقامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولأجل نيل الخير الأعظم يلتمس ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان ، فلعله يصادفها فيسعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً .

ومن الواجب على الصائم ألا يضجر من صيامه ، وألا يشكو متاعبه منه للناس . وفى الحديث : ( من صام رمضان وقامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه )[1] إيماناً : أى تصديقاً بفرضيته وآثاره ، واحتساباً : يعنى لا يستطيل الأيام ولا يستثقل الصيام . والله المستعان .

(١) حديث الصيام رواه أحمد وأصحاب السنن ، وحديث القيام رواه الجماعة .

## حول الزكاة

الزكاة هى أحد أركان الإسلام الخمسة ، وهى ذات سمة إنسانية رحيمة يدرب فيها الرب سبحانه وتعالى عباده على التراحم بينهم . قال تعالى : « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[1].

١ ــ قد يرى بعض الناس أن يدفع زكاة فطره إلى المساجد للمساهمة فى عمارة بيوت الله ، وهذا ليس بصحيح ، لأن زكاة الفطر تدفع للفقراء لكى يأكلوا منها أو يحسنوا معيشتهم ويسدوا حاجتهم ، كما فى حديث : (اغنوهم عن ذل السؤال فى يوم العيد)[2]. أما بناء المساجد فهو من الصدقات وأعمال البر ، ويمكن بناء المساجد من أنواع الزكاة الأخرى على أحد الآراء المعتبرة .

٢ ــ ومن البدع دفع زكاة الفطر فى غير ميعادها ، أى بعد صلاة عيد الفطر ، وهذا غير جائز ويكون المسلم فى هذه الحالة قد وقع فى معصية الله ، ودفعها بعد الصلاة يعد قضاء لا أداء .

٣ ــ ومن الجرائم الكبرى عدم دفعها . والحديث يقول : (أربع فرضهن الله عز وجل فى الإسلام ، من أتى بثلاثة لم يغنين عنه شيئاً حتى يأتى بهن جميعاً : الصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت ) . ويقول : (من أقام الصلاة ولم يؤت الزكاة فلا صلاة له ) .

٤ ــ ومن بدع الزكاة إعطاؤها للأجراء فى مقابل أعمالهم كأجر لهم ، أى أنك تجد الرجل يستأجر الرجل ، وبدلا من أن يعطيه أجره نقوداً

(١) سورة الذاريات ، الآية ١٩ (٢) رواه البيهقى والدارقطنى .



يعطيه قيمة الأجر ويحسبها من الزكاة المفروضة عليه ، وهذا يعتبر معتدياً على شرائع الله وماكراً على الله ، والله خير الماكرين « ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله »[1] .

٥ ــ وهناك من يأتى قبل أن يحول الحول على ما يملكه ، فيهبه إلى زوجته مثلا لتسقط عنه الزكاة ، فإذا ما انقضى وقت دفع الزكاة قال لمن وهبه ملكه : هبنى المال مرة أخرى . وهكذا حتى يتهرب من دفع الزكاة وهذا جهل بعلم الله وقدرته ، وأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، بل هذا من التحايل اليهودى على تعدى حدود الله وهتك حرماته وحق عباده كما استحل اليهود سمك السبت المحرم عليهم بالحيلة وأكلهم الربا ، وقد نهوا عنه ، قال تعالى : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين »[2] . ولكل من تحايل على أحكام الله أمثالها .

٦ ــ وهناك من يعتقد أن الضرائب التى تحصلها الحكومة تغنى عن دفع الزكاة ، وهذا جهل بالشرع ، لأن للحاكم المسلم النزيه الحق فى فرض أية ضريبة على المسلمين بما يتفق ومصالحهم المرسلة ، وهذا لا يغنى أبداً عن دفع الزكاة التى حدد الله مصارفها فى آية الصدقات من سورة التوبة فى قوله تعالى : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حايم » .[3]

٧ ــ ومن البدع إخراجها من الردىء من الطعام أو البضائع ، أو دفع الزكاة من حصيلة أكل الربا وأمثاله من الحرام ، وهذا عمل غير مقبول عند الله ، لأن الله يقول : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون »[4] . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً )[5] .

(١) سورة فاطر ، الآية ٤٣ (٢) سورة البقرة ، الآية ٦٥
(٣) سورة التوبة، الآية ٦٠ (٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٧ (٥) رواه مسلم .

٨ - وعلى المسلم أن يتفقه فى دينه ويعرف أنواع الزكاة من زكاة المال وزكاة الثمار وزكاة الأنعام وزكاة التجارة وزكاة الركاز وزكاة الفطر ، وأن يعرف مقدار النصاب فى كلٍّ ، ومقدار ما فرض الله إخراجه منه ، ومن سيصرف لهم الزكاة من المستحقين ، إلى غير ذلك من الأحكام التى تعرضت لها كتب الفقه حتى يقع العمل صواباً مقبولا . وشرط القبول أن يتعلم المرء الحكم قبل مباشرته بتفاصيله ثم يباشره عملا ، ويخلص لله فى أدائه ، ويؤديه حسب دين الله الوارد ، فإذا اكتملت هذه الشروط من العلم والعمل والصواب والإخلاص كان القبول بفضل الله .

* * *

# الحج

الحج هو شعيرة من شعائر الإسلام الكبرى ، وهو من مكفرات الذنوب وموجبات الجنة لمن برَّ حجه . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة )[1] .

ويقول الله سبحانه وتعالى : « ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين »[2] . وقد دخل فى الحج بدع كثيرة نرى تنقية الحج عنها بالتنويه بذكرها حتى يخرج الحاج إلى حجه لا يلبس عليه شىء من أمر دينه .

١ - من بدع الحج تركه مع القدرة ، ومعلوم أن القدرة تأتى بتوفر الزاد والراحلة والأمن على النفس والأهل فى أثناء السفر من غائلة عدو أو نحوه ، ولابد فى حج المرأة أن يصحبها زوج أو محرم ، أو على الأقل نسوة ثقات ، لتطمئن على عرضها وتبتعد عن الفتن الماحقة .

وفى الآية السابقة ما يدعونا إلى العلم بأن ترك الحج مع القدرة وعدم اعتقاد فرضيته كفر ، والله غنى عن العالمين عامة والكافرين خاصة ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من استطاع منكم الحج ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً )[3] .

وقد يسوف المسلم الحج عاماً بعد عام كسلا أو أملا فى تحسين ظروف

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٧
(٣) رواه الترمذى عن على .

ثانوية ، وهذا من فعل إبليس عليه اللعنة ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( احذروا التسويف فإن الموت يأتى بغتة ) . وفى رواية : ( حجوا قبل ألا تحجوا ) . وعن سعيد بن جبير قال : مات جار لى ميسور لم يحج فلم أصلّ عليه .

٢ ــ ومن بدعه الإحرام له بالمظهر دون الجوهر ، فترى كثيراً من الناس لا يفهمون من حكمة الحج إلا لبس ثياب الإحرام وكفى ، ويعتقدون فى الإحرام أنه مجرد لباس ، والحقيقة أن الإحرام هو رمز تحريم جميع ما حرم الله من قول وفعل وفكر ، أى أن يخلص الحاج عمله لله تعالى ، وفكره لله ، وعينه لله ، وسمعه لله ، فلا يستخدم جارحة من جوارحه إلا فى طاعة الله ، فهذا هو الإحرام ، قال تعالى : « الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج »[1] . ولابد من أن تكون نفقة الحج من مال حلال ، فإن المال الحرام يرد ثواب الحج ، ويقول الله له : ( لا لبيك ولا سعديك ، حجك مردود عليك ) .

٣ ــ ومن بدع الحج الملموسة الآن : التزاحم فى الطواف ، والتقاتل عند الحجر الأسود ، وهذا من الإلحاد فى الحرم ، والله يقول : « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم »[2] .

وقد وصى النبى صلى الله عليه وسلم عمر ألا يزاحم على الحجر حتى لا يؤذى الناس ، فإن وجد سعة استلم وإلا أشار إليه ومضى ، والحج عبادة ، ويجب فى العبادة الخشوع ، ويجب على القوى أن يرحم الضعيف .

٤ ــ ومن بدعه التشاغل بمضاربات الأسعار فى شراء الكماليات والهدايا ، والحرمان من أداء الجماعات فى المسجد الحرام والركعة فيه بمائة ألف . ومن البديهى أن مضاربات الأسعار بين البائع والمشترى فى شراء

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٧ (٢) سورة الحج ، الآية ٢٥



الهدايا من الجدال فى الحج الذى نهى الله عنه كما سبق ، هذا بالإضافة إلى تركه الصلاة أو الاعتكاف فى الحرم وارتياده الأسواق .

٥ ــ ومن بدعه ما يسمى بالتحجيز ( اجتماع بعض الشباب حول شخص ليفسحوا له مكاناً للصلاة عند مقام إبراهيم أو للطواف ) والصلاة عند مقام إبراهيم من السنة لا يصح أن تؤدى إلى أذى المسلمين ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب السنة يقول : ( لاضرر ولاضرار )[1] أى لا يصح مباشرة شىء يؤدى إلى الإضرار بالنفس أو الغير .

٦ ــ ومن بدعه اعتقاد الكثيرين أن معنى مقام إبراهيم أن الخليل مدفون فيه ، أنه مدفون بالشام ، ويأخذون فى التبرك بالتمسح به ، وحقيقة مقام إبراهيم أنه الحجر الذى قام عليه الخليل وابنه وهما يبنيان الكعبة ، قال تعالى : « فيه آيات بينات مقام إبراهيم »[2] ، أضف إلى هذا أن التمسح باعتقاد أنه قبر ينفع أو يضر ، فيه شرك بالله وإلحاد فى الحرم .

٧ ــ ومن بدعه اعتقاد كثير من الحجاج أن عرفات محصور فى الصخرات السود عند جبل الرحمة موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيزدحمون عليه ويؤذى بعضهم بعضاً ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( وقفت هنا وعرفة كلها موقف ) .

٨ ــ ومن بدعه ترك المبيت بمزدلفة ورمى الجمار ليلا على أساس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص فى ذلك لبعض المعذورين ، والحقيقة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رخص لأمثال النساء والسقاة فى عدم المبيت بمزدلفة ، على أن يرمى النساء جمرة العقبة بليل ، ولكنك ترى الآن غالبية الحجيج ترك هذه السنة ( المبيت بمزدلفة ) مع القدرة والقوة .

(١) رواه ابن ماجه والدارقطنى وغيرهما . (٢) سورة آل عمران ، الآية ٩٧

٩ - التقاط ٧٠ جمرة من المزدلفة لرمى الجمار ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من المزدلفة غير سبع حصيات وباقى الحصيات كان يأخذها من مكان مبيته بمنى ثم يذهب بها لرمى الجمرات . والسنة فى الجمار أن تكون فى حجم حبة الفول ، وهذا بعكس ما نشاهد الآن ممن يحملون أحجاراً يظنون أنهم سيقتلون بها إبليس . كما يجب أن تكون هذه الحصيات من أصل الأرض لا من مخلفات المبانى الموجودة الآن بكثرة .

ملاحظة : كثير من المسلمين يؤدى العمرة مراراً كل عام وهو لم يحج حجة الإسلام ، وهذا محل العجب ، إذ كيف يكرر ما لم يطالب منه تكراره ويترك ما فرض الله أداءه .. إنه الرياء واللغو والجهالة والضلالة ، بل بعضهم يذهب للحجاز ليعتمر ثم يقيم هناك مدة يكرر فيها العمرة كل أسبوع ، وهذا ما لم نعلمه فى دين الله قط ، فما هو إلا الهوس .

١٠ - وكثير من الحجاج يرمون جمرة العقبة على لوحة مكتوب عليها جمرة العقبة وتحتها سهم مرسوم يبين الاتجاه إليها ، أى أن الغرض من اللوحة بيان اتجاه مكان الرمى ، ولكن من شدة الزحام لا يسمع نصحك أحد ، فعلى الحاج أن يتحرى لدينه وأن يتفقه فى الحج خاصة قبل الذهاب إليه ، لأن الحج لا يتيسر إلا مرة فى العمر لمعظم المسلمين .

١١ - ومن الحجاج من يطوف ملتصقة ثيابه بالشاذروان وهو من داخل الكعبة ، ومنهم من يطوف من داخل حجر إسماعيل ، وهذا كله طواف لا يجزئ عن فاعله ، فيكون كمن لم يطف ، لأن الطواف شرع من خارج البيت الحرام لا من داخله ، وحجر إسماعيل من الكعبة وليس بخارج عنها ، ولكن البناء للكعبة الذى أقامته قريش ، ولا يزال على نظامه للآن لم يبن على قواعد البيت كما وضعه الخليل بأمر الله ، وذلك لقصور المال الحلال فى أيديهم .



١٢ - ومن البدع أنك تشاهد فى كل عام عند الجمرات من يتعمدون ضرب الجمرات بالشباشب وقذفه بالصنائح ، وهذا من البدع ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( خذوا عنى مناسككم ) ، وقد رجم بالحصيات ولم يرمها بغير هذا .

١٣ - ومن البدع الاستحمام بماء زمزم تبركاً أو الاستنجاء ، أو غسل الملابس والأكفان بمائه ، مع أنه طعام الطعم وشفاء السقم ، وماء زمزم يلحق فى الحكم أى ماء فى ضرورة الاقتصاد فى استعماله ، والسنة أن يشرب الإنسان منه قدر طاقته على ثلاث دفعات ، ويتمنى حال الشرب ما يريده من الله سبحانه وتعالى ، حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ماء زمزم لما شرب له ) . وكان بعض السلف يشربه لعطش يوم القيامة ، وبعضهم كان يسأل الله علماً نافعاً ورزقاً واسعاً وشفاء من كل داء ، ولا بأس بنقله إلى غير مكة كما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم وعائشة ، وكان يصبه على المرضى ويسقيهم .

١٤ - ومن البدع التشاغل يوم عرفة بالمأكل والمشرب والجلوس والتحدث فى أحوال الدنيا والمعايش ، والمفروض أن يمضى الحاج يومه فى ذكر الله والتلبية والدعاء ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( أفضل الدعاء دعاء عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله ) . وقال : خير الحج العج والثج ، أى رفع الصوت بالتلبية ، وذكر الله ، وذبح الهدى لإطعام الفقراء . وقال تعالى فى آيات الحج : « ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات »[1] . وقال : « واذكروا الله فى أيام معدودات »[2] . وقال : « فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم »[3] . وقال : « فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم

(١) سورة الحج ، الآية ٢٨ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠٣
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩١

أو أشد ذكراً »[1]. وكل هذا وأمثاله يدل على أن الغفلة فى الحج عن الذكر جريمة .

١٥ – ومن البدع ذبح الهدى ورميه دون الاستفادة منه ، والسنة أن يأكل الإنسان من لحم أضحيته وهديه ، ولكنك ترى كميات من الذبائح مطروحة دون سلخ ملقاة فى المذبح أو الطرقات دون أن يستفيد منها أحد ، وهذا إسراف ينهى عنه الشرع ، وإنما شرع الهدى لشكر الله على بهيمة الأنعام وإطعام الفقراء كما فى الأضاحى .

١٦ – ومن البدع عودة الحاج إلى بلده عائداً إلى معاصيه وعاداته ، وهذا استهزاء بما عمله فى الحج وعاهد عليه الله ، بل يعد عدم مبالاة بالله ودينه وعبادته ، نعوذ بالله من ذلك . وفى الحديث : ( الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ) . والمبرور : هو الذى يكون حال صاحبه بعده خيراً منه قبله .

ملاحظة : إذا حج الصبى الذى لم يبلغ صح منه الحج ، ولمن مكنه من الحج أجر ، ولكن حجه هذا لا يغنى عن فرض الإسلام ، فمتى بلغ وهو موسر أو أيسر فيما بعد وجب عليه أن يؤدى الفريضة ، وكثير ممن أخذوا لقب الحاج فلان أخذه من صغره حين ذهب مع أبيه أو أمه ، فاستغنى به عن ركن الإسلام فى ذمته ، وهذه بدعة منكرة يجب علينا أن ننكرها بشدة .

١٧ – ومن البدع ظن بعض الناس أن الحج هو زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهناك من يقول ويردد ما أسموه بحديث : ( من حج ولم يزرنى فقد جفانى ) ، وهو ليس بحديث نبوى ، وهو مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بالنسبة لمن يظن أن الحج زيارة

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠٠



قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتير له الطريق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( الحج عرفة )[1]. وقول الله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله »[2] ، « فاذكروا الله عند المشعر الحرام »[3] .

وكل مناسك الحج والعمرة بمكة وقريباً منها ، ليس منها شىء فى المدينة ، فمن حضر عرفة فقد حج وعليه إتمام بقية أركان الحج وواجباته وسننه ، ومن حج ولم يذهب إلى المدينة المنورة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلا شىء عليه وحجه صحيح ، ونحن لا ننهى عن زيارة قبر رسول الله ، ففى زيارته فوائد جمة ، منها تذكر جهاده وسيرته وعبادته وهجرته صلى الله عليه وسلم ، وزيارة أرض أعز الله الإسلام بها ورؤية أماكن الغزوات ، وتذكر عمق وأصالة إيمان صحابة رسول الله والصلاة فى الروضة الشريفة التى هى بين المنبر والقبر الشريف ، فهى روضة من رياض الجنة ، والصلاة فى مسجد رسول الله بألف ركعة فيما سواه تعدل الركعة الواحدة ، أضف إلى هذا تذكر أمجاد الصديق أبى بكر وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وغير ذلك من الفوائد الروحية ، كزيارة شهداء أحد ومسجد قباء ومسجد ذى القبلتين ومسجد عمر وسلمان وبئر أريس وغيرها من المزارات الأثرية . ومعلوم أن المسجد النبوى أحد المساجد الثلاثة التى تشد لها الرحال فزيارته هى الأصل ثم يتبعه القبر الشريف وسائر القبور المكرمة والبقيع وسائر المشاهد .

١٨ – ومن بدع الطواف بأدعية لا أصل لها أو الدعاء بما ورد فى كتب توزع على الناس أو يشترونها ، ويعتقدون أن الخروج عن النص الموجود بها يضيع الحج أو يؤدى إلى عدم قبوله ، وهذا من قلة العلم ، فلم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء معين فى الطواف أو السعى

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٥٨
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٩٨

اللهم إلا : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »[1] .
ويقال أيضاً : ( رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فأنت الأعز الأكرم ) .
وكان ابن عباس يقول فى الطواف وينسبه للرسول صلى الله عليه وسلم :
( رب قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف علىّ كل غائبة بخير ) .

وهناك من تطوف وهى حائض ولا تدرى أنها ترتكب كبيرة ، وأنه يتعين عليها عمل جميع مناسك الحج عدا الطواف بالبيت حتى تطهر ثم تطوف ، لأن الطواف كالصلاة ، فإن اضطرت لذلك لضرورة سفر لابد منه جاز لها الطواف مع التحفظ عن تلويث المسجد وذبح هدى بعير يوزع على الفقراء . وابن تيمية يرى أنها معذورة ولا تكلف إلا وسعها فتطوف ولا شىء عليها .

١٩ – وهناك نسوة يتبرجن فى الأراضى المقدسة أكثر من تبرجهن فى بلادهن ويفتن الحجاج ، فعليهن لعائن الله إن لم يتبن وترى الخلوة بين الرجل والمرأة التى تحل له زوجاً فى المبيت وغيره ، وقد لا يعرف أحد معنى الخلوة ، وقد حددها الأئمة بأنها انفراد الذكر بالأنثى وهما بالغان فى مكان يستطيع أن ينال منها بالمس أو القبلة أو نحوها دون رقيب ، فهذه تعتبر خلوة ، لأن الشيطان ثالثهما .

٢٠ – وقد ترى من الحجاج من يكثرون السباب واللعائن ، وهذا كله خروج عن روح الدين المطلوب للحج ، حيث يقول الله تعالى : « فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج »[2] .

٢١ – ومن البدع التمسح بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أوبغيره من القبور . وفى الحديث : ( لاتتخذوا قبرى عيداً وصلوا على حيثما كنتم

(١) دعاء قرآنى .
(٢) سورة البقرة ، الآية ١٩٧



فإن صلاتكم تبلغنى ) . وهذا سيأتى حكمه فى باب بدع القبور إن شاء الله تعالى .

٢ – ومن بدع الحج التى يغفل عنها الكثير رغبة بعض الجهلة فى تتابع الحج والإكثار منه بعد أداء الفريضة ويخلون بمواساة الجار والفقير . قال ابن مسعود : ( فى آخر الزمان يكثر الحجاج بالبيت يهون عليهم السفر ويبسط لهم الرزق ويرجع أحدهم محروماً مسلوباً لا يواسى جاراً ) . وقال رجل لبشر بن الحارث : إنى سأحج ، فقال له : كم ستنفق هناك ؟ قال : ألفى درهم ، فقال بشر : لوجه الله أم نزهة ؟ قال : لوجه الله ، فقال بشر : أعط الألفى درهم لفقير ومدين ومربى يتيم ولهفان ومحتاج وضعيف ، فإن إدخالك السرور على المسلم أفضل من مائة حجة ما دمت أديت الفريضة فقال الرجل : أنا حريص على الحج ، فقال بشر : صحيح ما قيل ، المال الحرام يأبى الله إلا أن ينفق فى الرياء والشهرة والتصنع ، والله لا يقبل إلا عمل المتقين . ويالها من عبرة .

* * *

# حول الأعياد

وقد يظن ظان أن الدين قد سلم من البدع فيما يختص بصلاة العيد أو يوم العيد ، ولكن للأسف لم يترك الشيطان باباً إلا طرقه ، حيث وجد فى الجهل بالشرع مرتعاً خصباً لإبعاد الناس عن السنة وإغراقهم فى البدعة . ونسوق هنا بعض ما تيسر لنا جمعه من بدعهم :

١ ــ من البدع صلاة العيدين ومثلها الجنازة وصلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء فى داخل المسجد ، ولم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى العيدين فى المسجد طوال حياته بالمدينة من يوم أن شرعا إلا مرة واحدة لعذر المطر والجنازة كذلك ، ولعل حكمته فى أداء صلاة العيدين خارج المسجد فى الصحراء أن يتلاقى كل طوائف المسلمين من كل أحيائهم فى القرية أو المدينة ليتم التعارف والتآلف وليهنئ بعضهم بعضاً بنعمة الله ، حتى كان رسول الله يشدد فى إخراج أكبر عدد ممكن لهذا الغرض حتى العواتق والحيض ( يعتزلن الصلاة ويشهدن دعوة الخير ) وقالت إحدى النساء : يا رسول الله ، إحدانا ليس عندها جلباب ، فقال : ( تلبسها أختها ) .

وهذا المعنى لا يتحقق فى الصلوات الخمس اليومية ولا فى الجمعة إلا على المستوى المحلى المحدود بالحى الذى به المسجد .

٢ ــ ومن البدع الانصراف عقب صلاة العيدين وعدم سماع خطبة العيد التى تلقى بعد الصلاة ، فهذا جفاء ينهى عنه الشرع ، فالخطيب مكلف أن يبين للناس الأحكام المطلوبة منهم فى عيد الفطر وعيد النحر من حيث التكبير والزكاة والأضحية وصلة الرحم وإصلاح المتخاصمين وإكرام المساكين واليتامى وعيادة المرضى إلى آخر هذه الفضائل الإسلامية .



٣ ــ ومن بدعها الجهر بالتكبير للعيدين فى المساجد فترى الناس يفترقون فريقين والسنة الإسرار فى المسجد والجهر خارجه ، وذلك للحكم السابق ذكره فى بدع المساجد ، فجمعوا بين بدعتين : بدعة أدائه بالمسجد لا الصحراء ، وبدعة التشويش بالذكر فى بيت الله .

٤ ــ قول الناس بعد الصيغة الشرعية : ( الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً .. إلخ ) ، فهذا لم يكن من التكبير للعيد فى شىء ، ولكن كانت هذه الصيغة حين فتح الله مكة للمسلمين ، والسنة هى أن يقول المكبر : الله أكبر ( ثلاث مرات ) ثم يقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، ثم يقول : الله أكبر ولله الحمد ، وهذه هى الصيغة الأولى ، أما الصيغة الثانية فهى : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والتكبير بهاتين الصيغتين مسنون ليلتى العيدين ويومه عقب الصلوات وفى المنازل والشوارع والأسواق إلى الدخول فى صلاته فى عيد الفطر ، ومن صبح يوم عرفة إلى عصر اليوم الرابع فى عيد النحر . وهذا التكبير مطلوب عقب الصلوات المكتوبة ، حتى يملأ تكبير الله وحمده والثناء عليه الآفاق كلها . وفى هذا يقول الله : « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم »[1] . وقال : « واذكروا الله فى أيام معدودات »[2] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( زينوا أعيادكم بالتكبير ) .

٥ ــ افتتاح خطبتى العيدين بالتكبير ، والسنة أن تبدأ الخطبة بالحمد كخطبة الجمعة ، إلا أن الخطيب يطلب منه الإكثار من التكبير أثناء الخطبة ( كما قال صاحب زاد المعاد ) .

٦ ــ ومن بدعها ذبح أو نحر الأضحية قبل الصلاة ، فهذا لحم قدمه لأهله ، أى ليس من النسك فى شىء ، إذ أن المفروض أن يكون الذبح

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٨ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٠٣

بعد صلاة العيد ، والحديث يقول : (أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم ننحر ، من فعل هذا فقد أصاب سنتنا ، ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لأهله وليس من النسك فى شىء) . وقال تعالى : « فصل لربك وانحر »[1] وبعضهم يتعجل الذبح من يوم عرفة ، وهذا أشنع وأبعد عن معنى الأضحية .

٧ – ومن البدع ترك صلاة العيدين تكاسلا ، لأنها من شعائر الإسلام ، وهى مؤتمر عام سنوى يجمع الله فيه المسلمين فرحة الدين والدنيا .

٨ – ومن البدع تأخير لبس الجديد إلى ما بعد أداء الصلاة مع أن الله يقول : « خذوا زينتكم عند كل مسجد » . والسنة أن يلبس المسلم الجديد ويصلى فيه .

٩ – ترك غسل العيد ، وذلك لأن صلاة العيد تكون فى بكور الصباح بعد زوال وقت الكراهة ، أى بعد طلوع الشمس بنحو نصف ساعة . والسنة أن يتطيب المسلم ويتسوك ، وأن يذهب إلى مصلى العيد من طريق مكبراً ويرجع من طريق آخر ، وأن يأكل قبل الخروج لصلاة عيد الفطر مسارعة لطاعة الله فى الفطر يومها . أما فى عيد الأضحى فيؤخر الأكل حتى يعود فيأكل من أضحيته . كل هذا من السنن التى يثاب المؤمن على أدائها .

١٠ – أكل لحوم الأضاحى كلها وعدم منح الفقراء منها شيئاً ، وهذه شائعة الآن عند كثيرين ، إذ يعتقدون أنه بمجرد الذبح يكون قد حقق المطلوب ، ولكن السنة أن يكون الثلث للفقراء والثلث هدية والثلث لأصحاب البيت ، وذلك ما كان عليه السلف الصالح وما تشير إليه آية الهدى (والأضحية مثله) . قال تعالى : « فكلوا منها وأطعموا القانع

(١) سورة الكوثر ، الآية ٢



والمعتر »[1] . وقال : « فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »[2] . والقانع : قد يكون معناه العف الذى لا يسأل وهو محتاج أو غير محتاج ، ويكون هو قسم الهدية . والمعتر : هو الذى يتعرض للناس يسألهم لفقره وحاجته ، وهو قسم الصدقة .

١١ – ومن البدع بيع جلود الأضاحى ، وهذا من أشد المنكرات ، أو إعطاء الجلد للجزار فى نظير ذبحه لها ، أو إعطائه لحماً منها بدل أجرته ، أو بيع شىء من لحمها ، فكل هذا من البدع الشنيعة . والسنة التصدق بجلدها وما كان عليها وما كانت تربط به . وفى الحديث : (ولا تبيعوا لحوم الهدى والأضاحى فكلوا وتصدقوا واستمتعوا بجلودها) . وإذا كانت أضحية قد تطوع بها ولم ينذرها فيجوز له أن يطعم منها الذمى (غير المسلم ، أى الكتابى) كالصدقة تماماً . أما الأضحية المنذورة فهى كالزكاة ، وكفارة اليمين لا يصح دفعها إلا لمسلم .

١٢ – ويلحق بسنة الأضحية فى عيد النحر سنة العقيقة للمولود . للجارية – أى الأنثى – شاة ، وللغلام شاتان . وفى الحديث الصحيح : (الغلام مرتهن بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى)[3] ، وهى سنة مؤكدة وهى إطعام للفقراء واتباع لسنة النبى صلى الله عليه وسلم وجده الخليل الذى فدى الله ابنه إسماعيل بذبح عظيم ، وقد عقّ النبى صلى الله عليه وسلم عن نفسه وعن الحسن والحسين وأمر بأن يحنك المولود عند ولادته بتمر ويؤذن فى أذنه اليمنى ويقام فى أذنه اليسرى بصوت هادئ طبعاً ليكون أول ما ينزل فى جوفه الحلو وأول ما يقرع سمعه ذكر الله ، لعل الله يذيقه حلاوة الإيمان ويبعد عنه الشيطان ، وإذا أمكن فليحلق رأسه فى اليوم السابع وليتصدق بوزنه فضة أو ذهباً . ونستنبط من مشروعيـــة

(١) سورة الحج ، الآية ٢٨ (٢) سورة الحج ، الآية ٣٦
(٣) رواه أصحاب السنن .

زكاة الفطر والأضحية والعقيقة وأنواع الزكاة والكفارات ونحوها أن الإسلام ميال دائماً إلى حب الكرم والعطف على الفقراء وتدريب المسلمين على السخاء والبذل والتعاون ليعيشوا آمنين .

١٣ – ومن البدع زيارة المقابر فى الأعياد وتجديد الأحزان والمبيت فى القبور قبل العيد وليلته ، والانصراف عن عمل الخير للأحياء ، وعن تعمير المساجد بالعبادة ، وذلك بتحضير أنواع وفنون الشهوات للقابر ، وصدق من قال :

أحياؤهم لا يرزقون بدرهم  وبألف ألف ترزق الأموات

١٤ – ومن البدع ترك الذبح فى عيد الأضحى مع القدرة واكتفاء كثير من الأغنياء بشراء اللحم من القصاب ، من أن بعض الأئمة يرى وجوبها على المستطيع . والحديث يقول : ( من وجد سعة لأن يضحى ولم يضح فلا يقربن مصلانا ) مع أنها طعمة للفقراء وفداء من الشر ، كفداء إسماعيل بذبح عظيم .

١٥ – ومن البدع عدم ذبح أضحيته بنفسه مع القدرة وعدم حضور الذبح ، مع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( يا فاطمة قومى اشهدى أضحيتك فإنه يغفر لك عند أول قطرة تسقط منها ) .

١٦ – ومن البدع التشاغل عن إحياء ليلتى العيدين بالعبادة ، مع أنه سنة ، كما ورد فى الحديث : ( من أحيا ليلتى العيد أحيا الله قلبه يوم تموت القلوب ) ورواته ثقات .

١٧ – ومن السنة البعد عن حلق الشعر وقلم الظفر لمن أراد أن يضحى من أول ليلة فى شهر ذى الحجة إلى تمام ذبح الأضحية . وفى الحديث : ( إذا أهل هلال ذى الحجة وأراد أحدكم أن يضحى فلا يمس من شعره وبشره شيئاً ) أخرجه مسلم وأحمد . وهذه سنة مؤكدة بل واجبة عند بعض الأئمة والعلماء ، قل من ينتبه لها أو يعمل بها . وكأن مريد الأضحية أصبح



مشبهاً بالمحرم للحج فى بعض صوره ، فمنع من الحلق والقلم لنعم المغفرة كل شعره وظفره عند إراقته دم أضحيته ، كما يحدث للحاج عند إراقة دم هديه فى منى فى نفس الوقت واليوم ، يوم عيد النحر .

١٨ – ومن البدع سوء اختيار الذبيحة فى الأضحية « ويجعلون لله ما يكرهون »[١] ، مع أن الله تعالى يقول : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون »[٢] . ويقول فى وصف الأبرار : « ويطعمون الطعام على حبه »[٣] . ويقول فى وصف البار : « آتى المال على حبه »[٤] . ونهى عن بذل المعيب أو الردىء أو الحرام . قال تعالى : « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه »[٥] . ويقول صلى الله عليه وسلم : ( إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ) .

١٩ – ومن البدع غفلة الذابح عن التسمية عند الذبح ، قال تعالى : « فاذكروا اسم الله عليها صواف » أى قائمات على ثلاث ، وهذا فى نحر الإبل ، فيقول : باسم الله والله أكبر ، إنى وجهت وجهى ... الآية . اللهم منك وإليك ، اللهم عنى وعن أهل بيتى ، فتقبل منى .

٢٠ – ومن السنة شحذ السكين وإراحة الذبيحة لحديث : ( وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته )[٦] . ويضجعها على يسارها ومذبحها إلى القبلة ليكون هو أيضاً مستقبلاً بها .

٢١ – ويلاحظ إعراض كثير من القادرين عن ذبحها بحجج واهية ، وهناك فقراء معسرون لم يكلفهم الله بها ، وهم يتكلفون ذبحها ولو بالدَّين ، فإذا سألتهم عن السبب فى تكلفهم قالوا : من العار أن يذبح جارنا ولا نذبح ، فصارت الأضحية تنافساً ورياءً وتصنعاً للغنى الكاذب ، نعوذ بالله من الخذلان .

---

(١) سورة النحل ، الآية ٦٢
(٢) سورة الأعراف ، الآية ٩٢
(٣) سورة الإنسان ، الآية ٨
(٤) سورة الإنسان ، الآية ٨
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٦٧
(٦) رواه مسلم .

# بدع المقابر

يسن الزيارة للمقابر لأخذ العبرة والعظة وحتى يرى الإنسان مصيره الذى لامفر منه ، لذا وجب أن يكون مكان العبرة هذا متسماً بالهدوء ومحلياً بالتجرد من أعمال الدنيا الفانية ..

ولكن هيهات أن يترك أهل البدع مكاناً لايدخلون فيه ببدعهم وظلمات أفكارهم حتى يهدروا الشريعة وحتى لا يبقى فى الدين إلا اسمه .

ونسوق هنا بعض البدع التى نراها عند القبور على أنها ليست من دين الله ، تطبيقاً لحديث : ( كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار )[1] . وحديث : ( أصحاب البدع كلاب أهل النار ) :

١ – من بدعها اتخاذها موسماً وعيداً ومبيتاً وملعباً للأطفال وسوقاً للبيع والشراء فى عطلات الأسبوع ( الجمعة ) وفى المواسم ، كطلعة رجب والأعياد ، بل تجد عند أضرحة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ( إذا صح وجودهم بها ) تجد الناس وقد أسموها حرماً ، وقد جعلوا لكل ولىّ ليلة فيها تقام حضرته ، أضف إلى ذلك تبرج النسوة والصخب والشرك بسؤال الموتى مالا يقدر عليه إلا الله ، والاختلاط والخلوة المحرمة فى مواطن العبرة والخشية والرعدة من رهبة الموت . وقد قال بعض الصالحين : ( إذا رأيتم أحداً يأكل عند المقابر أو يضحك فاعلموا أنه مطموس القلب بعيد عن رحمة الله ، لأنه عبث فى موطن الخوف ) .

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان .



وقد روى غير واحد حديث : ( إن الله يكره لكم ثلاثة : العبث فى الصلاة ، والرفث فى الصيام ، والضحك عند المقابر ) .

٢ – ومن البدع الجلوس على المقابر أو وطؤها ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وحذر حيث قال : ( لأن يجلس أحدكم على جمرة فتخلص إلى ثيابه ثم تخلص إلى بدنه فتحرقه أهون من أن يجلس على قبر ) رواه مسلم والنسائى وابن ماجه وغيرهم .

وكما أن الجلوس على القبر منهى عنه ، كذلك الاتكاء والاستناد ، حيث قال عمر بن حزم : ( رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئاً على قبر فقال : لا تؤذ صاحب القبر ) .

٣ – ومن أشد بدع المقابر : التبول والتغوط عليها والتقذير لها ، فإن لها حرمة ، وقد روى أحمد ومسلم حديث : ( زوروا المقابر فإنها تذكر الموت والآخرة . وزاد أحمد : فإن فيها عبرة ) .

فكيف يكون موطن العبرة مقذراً أو مكاناً للنجاسات . وهل يرضى أحد ممن يفعلون ذلك أن يضع أحد على قبره ما تأنف الإنس والملائكة منه ولا ترضاه إلا كفرة الجن .

٤ – ومن البدع المنكرة فى المقابر : وضع الشموع عليها وزيارة النساء لها ، وفى الحديث : ( لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج ) رواه أبو داود والترمذى .

لأن وضع النار على من فى القبور من أشد ما يتأذى به الميت حتى أن الفقهاء قرروا ألا نضع فى القبر حجراً دخل النار دون ضرورة .

أما زيارة النساء للقبور وهى التى شرعت للرجال للعبرة ، فكيف بامرأة تخرج إلى المقبرة حيث يوجد الشباب والرجال ، فيفتنون بها أو تفتن

بهم ، وتخرج عن الإطار الإسلامى فى أهداف زيارة القبور بما تصنع من فتنة فى موضع العبرة ، أضف إلى هذا أن بعض النساء ضعيفات القلوب ، فبمجرد وصولهنّ إلى المقابر تراهنّ يلطمن الخدود ويصرخن ويشققن الجيوب ويدعين بدعوى الجاهلية . والحديث يقول : ( ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية )[1] .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة وقد عادت من خارج البيت ، فقال لها : هل ذهبت معهنّ إلى المقابر ؟ قالت : لا يارسول الله ، وكيف أذهب وقد سمعتك تشدّد فيها ، فقال : ( لو ذهبت معهنّ إلى المقابر ما شممت ريح الجنة ) . وقد روى أبو داوود والترمذى حديث : ( لا تتبع الجنازة بصوت ولا نار ) .

ولكنا نقول : إن مسئولية هؤلاء النسوة والفتيات اللائى يتواجدن عند القبور لا تنحصر فيهنّ فقط ، بل تعم من ورائهنّ من الرجال أوليائهنّ الذين يسمحون بهذا العبث .

٥ – ومن البدع التى يجهلها الكثير : وقف الأموال على مقبرة مّا ، أو الأطيان باسم الرحمة ، أو قراءة القرآن بما هو معهود الآن ، أو إقامة الحيشان وغرس الأشجار والصبار ووضع الرياحين ، لأنه تعطيل وحبس لأموال لحساب الأموات على حساب الأحياء ، حتى وإن كانوا غير ذى قربى فهم أولى .

أما وضع الجريد على القبر فقد كان خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعلها مرة على قبرين لشخصين ولم يفعلها بعد ذلك لأحد ، ولم يقم أحد من الصحابة بفعلها ، وذكر العلماء أنها كانت مجرد شفاعة

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .



منه لدى الله لتخفيف العذاب عنهما ، وقبل الله رجاءه فيهما لمدة محدودة نص عليها فى الحديث : ( ما لم ييبسا ) أى ما دامت الجريدتان خضراوين .

أما قراءة القرآن واستئجار المقرئين للتلاوة عند القبور وفى البيوت فى موضع خروج الروح وفى السرادقات ، فهذا عمل قد لا يقبله الله سبحانه وتعالى ، لأن هذا القارئ إذا لم يعلم أنه سيأخذ أجراً على قراءته ما قرأ ، فالقراءة ليست لله ولكنها للمال ، وهذا فضلا عن أنها عمل يقصد به غير وجه الله . هذا بالنسبة للقارئ ، أما بالنسبة لمستأجر القارئ فمن أين له أن هذا العمل فى ميدان الدين ، وهل ثبت الدليل لديه أن الله يقبل هذا العمل ، علاوة على مافى ذلك من التباهى والرياء والإسراف فى ضياع الوقت ، والحديث يقول : ( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له )[1] . واشترط الصلاح فى الولد لوصول ثواب الدعاء ، فكيف بحال القارئ الذى لا نعلم له ظاهراً ولا باطناً . وإذا كنت مخلصاً لهذا الميت فتعلم القرآن وتلاوته ، وصل الصلاة فى ميقاتها ، وصم شهرك من غير فسوق ، وأد حقوق ربك كلها وحقوق الخلق بالحسنى ، ثم ادع لمن شئت ، فإنك مجاب بإذن الله . وعلى فرض أن القراءة كانت صحيحة فإن خديجة كانت أحب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا لم يفعل لها ذلك ، وحمزة عمه سيد الشهداء وسعد بن معاذ وكثيرهم لم يثبت أنه قرأ لهم قرآناً بل الثابت هو الدعاء والاستغفار والصدقة وأداء ما على الميت من زكاة أو حج أو صيام أو ديون أو عهود وعقود .

٦ – ومن البدع النذر للمخلوق – ولياً كان أو غير ولى – وهو حرام لعلل ثلاث :

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن .

(ا) أن النذر عبادة ، والعبادة لا تكون إلا لله وحده .

(ب) أن الميت لا يملك شيئاً إلا ما قدم ، فلا يصح أن يوجه إليه نذر يملكه بعد وفاته .

(ج) اعتقاد الناذر أن للميت قدرة على التصرف فى الكون من دون الله ، فهذا كفر .

وفيما صح من حديث : ( النذر لا يأتى بخير وإنما يستخرج الله به من البخيل )[1] فهو ابتداء غير مرغب فيه ، ولكن إذا حدث على الوجه الشرعى دون شرك وكان نذر طاعة لله وجب الوفاء به لقوله تعالى : « وليوفوا نذورهم »[2] - « يوفون بالنذر »[3] . وفى الحديث : ( من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه )[4] .

٧ - ومن بدعها الطواف حولها وتسميتها حرماً .

وعلى المسلم أن يعلم أن الطواف وقف على بيت الله الحرام فقط « وليطوفوا بالبيت العتيق »[5] . ولا يصح الطواف حول غيره من الأضرحة تشبيهاً منهم لهذه الأضرحة بقبلة الله رب العالمين .

فكأن الطائف بقبر ولى أو غيره يقول : إن لى قبلتين وحرمين ، قبلة وحرماً اختارهما الله ، وقبلة وحرماً اخترتهما أنا ( نعوذ بالله من ذلك ) . وقد تعدد لديهم الحرم فضموا ( الحرم الزينبى والأحمدى والحسينى والغريبى والشافعى والقنائى .. إلخ ) .

أضف إلى ذلك أن الشيطان إنما استزل هؤلاء الطائفين لغرض ما فى نفسه سينفذه بعد سنين ليبعد الناس تماماً عن كعبة الله الأصلية ، أى أنه

(١) رواه البخارى ومسلم عن ابن عمر . (٢) سورة الحج ، الآية ٢٩
(٣) سورة الإنسان ، الآية ٧
(٤) رواه البخارى ومسلم عن عائشة . (٥) سورة الحج ، الآية ٢٩



إذا كان الطائف بقبر ما الآن يعلم أن قبلته هى الكعبة فسيأتى يوم على فعلته هذه تكون طوافاً من دون الكعبة ، فعلى المتحرى لدينه والغيور عليه أن يتقى الله ربه ولا يعطى للشيطان أغلالا يحبس بها أتباعه ، وخاصة وقد ألفوا أحاديث مكذوبة بأن زيارة ضريح فلان الولى ثلاث مرات كحجة تامة ، وصدق الحديث : ( ما أحدث الناس بدعة إلا رفع من السنة مثلها )[1] .

٨ - ومن البدع التقبيل والاستلام لها وتقبيل أعتابها .

وهذا كله من الشرك والتعلق بالماديات على حساب الروحانيات ، وقد يحتج من يفعل ذلك باستلام رسول الله صلى الله عليه وسلم للحجر الأسود ، وفى هذا أيضاً نقول أن هذه خصوصية للحجر الأسود فقط ، وقد قال عمر بن الخطاب : ( والله أنى أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ) .

أترى هؤلاء الذين يقبلون الأضرحة والأعتاب أهدى من عمر بن الخطاب وأشد تحققاً منه فى دين الله ودرجات الإيمان ، وما هو إلا الشيطان أراد أن يصدهم عن توحيد الله وإفراده بالعبادة . وإنى لأعجب من هؤلاء الذين يقبلون الأعتاب والأخشاب ويظنون أنهم على الهدى ، بل وتراهم من أشد المتحمسين لأفعالهم . وما أرى ذلك إلا من حمية الشيطان للدفاع عن عادات وثنية هدمها الإسلام ويحييها هؤلاء . وإنى أسأل أحدهم : هل ثبت أن أبا بكر رضى الله عنه قبل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو هل قبل عمر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر أبى بكر ، فإنه إذا كان التمسح محموداً والتقبيل يورث البركات فلا شك فى أن تقبيل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أعظم البركات ، ولكن هل يجدى هذا فى عقول قد تبلدت وران على قلوب أصحابها عادات مبتدعة وقيم هدمها

(١) رواه أحمد والبزار وبنحوه عند الطبرانى .

الإسلام ، ولكنا لا نملك إلا أن نسأل الله لهم الهداية ، فاللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

ويجدر بى أن أذكر هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بعض أصحابه يشربون ماء وضوئه ويدلكون جلودهم ، سألهم : لم فعلتم ذلك ؟ قالوا : حباً لله ورسوله ، وصحح لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم العقيدة وقال لهم : ( إن كنتم تحبون الله ورسوله وتريدون أن يحبكم الله ورسوله فاصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم ) .

وهكذا نرى صاحب الرسالة يوجه أصحابه الأطهار إلى ما فيه خيرهم وخير من بعدهم إلى يوم الدين ، وقد أمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقطع شجرة الرضوان ( التى بويع الرسول تحتها ) حتى لا يفتن الناس بها ، وذلك لما رأى الناس يقصدونها للتبرك تعظيماً لها ، وهى الشجرة المذكورة فى سورة الفتح : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً »[1] ، واسمها ( شجرة الرضوان ) .

٩ – ومن البدع على الراجح تقبيل اليد ، وقد قال سليمان بن حرب : ( قبلة اليد هى السجدة الصغرى ) . وعن ابن عبد البر : ( تقبيل اليد إحدى السجدتين ) . وقد أراد رجل أن يقبل يد هشام بن عبد الملك ، فنزع يده من يده بقوة وقال له : ( مه ، فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع ، ولا من العجم إلا خضوع ) .

والهلوع : هو الجبان ، والخضوع : هو من يخضع لغير الله .

ويزاد فى كراهية تقبيل اليد إذا كان من يقبل الناس يده يحرص على

(١) سورة الفتح ، الآية ١٨



هذا التقبيل ، أما إذا كانت بغير رغبته ولا حرصه فقد أباحها أحمد والشافعى .

بدليل أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت ، فسأله زيد : لِمَ فعلت هذا ؟ فقال : هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقبل زيد بن ثابت يد ابن عباس وقال : ( وهكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ) رواه الطبرى والبيهقى والحاكم بسند صحيح .

١٠ – ومن البدع فى القبور : الكتابة عليها وتجصيصها ورفعها أعلى من شبر ووضع القباب عليها . كل ذلك نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه مسلم .

وأفتى العلماء بهدم البناء على القبور . حكاه الشافعى فى كتاب الأم . وأفتى به ابن حجر ، وقال الشافعى : ( وجدت بمصر من الولاة من هدم القبور المسنمة ، أى المرتفعة ، فلم يمنعه أحد ) .

١١ – ومن البدع غرس الأشجار فى القبور أو نصب الخيام عليها .

وقد رأى ابن عمر خيمة على قبر ، فسأل : لِمَ ؟ قالوا : نظلله . فقال : ( دعوه يظلله عمله ) .

أما غرس الأشجار فيلحق سابقه فى الحكم بالنسبة لوضع الجريد عليها.

١٢ – ومن البدع وضع الستور والكساوى والعمائم على الأضرحة ، وهو فضلا عن أنه إسراف ينهى عنه الشرع وزينة فى موطن العبرة ، فإنه تعظيم للموتى لفتنة الأحياء ، والأحياء الفقراء أولى ألف مرة من تجميد هذا المال . هذا علاوة على أن وضع الستور من المنهى عنه . وقد روى البخارى عن عائشة قالت : سترت الباب بنمط ، أى ستارة أو بساط خامته من نوع رفيع ، وجاء النبى صلى الله عليه وسلم فرآها ، فغضب وقال : ( يا عائشة ، إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين ) .

١٣ – ومن البدع فى المقابر : تقديم العرائض والشكاوى للأولياء ، والله يعلم أن من مات فهو فى شغل شاغل بآخرته ، حيث قال تعالى : « والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم »[١] . وقال : « ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين »[٢] ، « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا »[٣] .

١٤ – ومن البدع وضع الأضرحة والمقابر فى المساجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد )[٤] . وبناء المساجد على الأضرحة ألعن وأضل وأجرم ، فكأنها لم تبن لله ، بل لأجل من بداخل الضريح .

وقال : ( الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام ) رواه أحمد .

وقال : ( لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها ) . ونرى فى هذا الكفاية .

وإن من يتعمد الذهاب إلى تلك المساجد ذات القبور إنما يذهب من أجل وجود قبر من يذهب إليه فى المسجد ، فيكون قد دعا مع الله أحداً ، والله يقول : « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً »[٥] ، حتى أنك ترى فى هذه الأيام مسجدين أحدهما ليس به قبر والآخر به قبر ، وقطعاً الخالى من القبور هو الأولى بالصلاة فيه كحكم الشرع ، كمسجد الأزهر

(١) سورة فاطر ، الآية ١٤ (٢) سورة الأحقاف ، الآية ٦
(٣) سورة الإسراء ، الآية ٥٦ (٤) رواه البخارى ومسلم .
(٥) سورة الجن ، الآية ١٨



مثلا ، ولكنك تجد الناس يحجمون عن الصلاة فيه ويجتمعون على الصلاة فى المسجد ذى القبر ، بل ويفترشون الأرض بجواره تحت قيظ الشمس لأداء الصلاة ولا يذهبون إلى المسجد الآخر . ترى ما زعمهم فى هذا ؟ الله أمرهم بأن يضعوا أنفسهم فى القيظ ويهجروا المسجد الآخر ولأى شىء ؟ أم تراهم أهدى من محمد وصحابته الذين لعنوا من فعل هذا – نسأل الله الهداية .

وهذه كلمة عن سبب ونشأة عبادة الأصنام ليحذر كل مؤمن خطوات الشيطان التى تنتهى إلى الكفران ، كان هناك قبل نوح عليه السلام خمسة من الصالحين اجتهدوا فى العبادة تعظيماً لله الواحد الأحد : ( ود – سواع – يغوث – يعوق – نسر ) ، فلما مات هؤلاء الخمسة أخذ الناس يحيون ذكراهم فى نفوس أبنائهم ، ثم أخذ الأبناء ( بعد أن وجدوا أن قبور هؤلاء الصالحين ستفنى آثارها فى تعلية قبور هؤلاء الصالحين ، ثم أخذ أبناؤهم فى عمل الأضرحة تعظيماً وتخليداً لذكراهم ، ثم أخذ من بعدهم فى تخيل وتجسيد أشكالهم بعمل تماثيل لهم ، ثم أخذ من بعدهم يتقربون بهذه التماثيل إلى الله ، ثم جاء من بعدهم فعبدوهم فعلا من دون الله ، وهؤلاء هم المذكورون فى سورة نوح عليه السلام فى القرآن ، ولهذا حرم الإسلام مثل هذه البدعة ، وإن كانت فى نظر أصحابها حباً وتعظيماً وتقديساً .. لقوم صالحين ، وحرم التماثيل والصور وجعلها مانعة للرحمة ومانعة من دخول الملائكة فى المكان الذى تتواجد فيه ، كما نهى عن الصلاة فى أوقات الكراهة حتى لا يتشبه المسلمون بعباد الشمس ..

١٥ – ومن الفظائع الخشوع للميت عند زيارته والاستئذان منه للدخول عليه .. كل هذا من عبادة وتعظيم غير الله ، وقد يحلف أحدهم بالله خمسين مرة كذباً دون مبالاة ، ولكنك لو أردت اختباره وطلبت منه الحلف بصاحب الضريح فزع وخاف من سوء العاقبة التى يزعم أنها ستحل

به من الولى « ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله »[1] . وفى آية أخرى : « يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية »[2] وقد لا يستطيع أحدهم أن يقوم على عمل ما مهما دللناه على الاستخارة الشرعية والاستشارة الدينية إلا بعد أن يمنحه شيخه ساكن الضريح إذناً بالعمل مهما كانت النتيجة ، وجعلوهم بمنزلة الأحبار والرهبان الذين يدعون أن ما يحلونه هم فى الأرض يحله الله فى السماء ، وما يحرمونه يحرمه ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

١٦ – ومن الخداع من تراهم يقصدون إلى تلك الأماكن ويذكرون لك أننا لا نقول ( مدد ) ولا نقبل الأعتاب ولا نتمسح ولا نفعل شيئاً من البدع التى ذكرتها ، ونحن نقول له : يا أخى لقد علق الله الخير لهذه الأمة على أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً ) . فأين أنت من أمر المبتدعين بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، بل إننا نراك مقراً لما يفعله هؤلاء بركونك إليهم وسلامك عليهم وابتسامتك لهم ، والله يقول : « ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار »[3] . والقاعدة الفقهية ( أزل المنكر فإن لم يزل فزل ) .

وإن من علامات الساعة رجالا يرون المنكر ولا ينكرونه ، وهم من شرار القوم عند الله ، لأن الساكت على المعصية مشترك فيها ، وكاتم الحق شيطان أخرس ، وبما أن قبور معظم من نسبه الناس إلى الولاية مملوءة بالبدع والخرافات وأنواع الشرك والاستغاثة بغير الله والتوسل إلى الولى فيما لا يطلب إلا من الله والاستشفاع به وشد الرحال إليه ، وكل هذا منعه

(١) سورة البقرة ، الآية ١٦٥ (٢) سورة النساء ، الآية ٧٧
(٣) سورة هود ، الآية ١١٧



الإسلام ، فلأجل ذلك ينبغى البعد عن غشيان هذه المساجد والأماكن منعاً لتوجه المسئولية والتقصير فيها .

وأخيراً لزم التنويه بأن زيارة المقابر الخالية من البدع بغرض أن ينفع الزائر نفسه بالعبرة وأن ينفع الميت بالدعاء له ، والاستغفار مطلوب ، وقد قال تعالى : « والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان »[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زار المقابر يقول : ( السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا سلف ونحن إن شاء الله بالأثر )[2] . وفى رواية : ( السلام على أهل الديار من المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين ، أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون – اللهم رب هذه الأجساد البالية والأرواح الباقية التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة أدخل عليها روحاً من عندك ( أى راحة ) وسلاماً منى – اللهم زد فى حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم وارفع فى درجاتهم ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم – اللهم ارحمهم فى الغابرين ( الماضيين ) وارفع درجاتهم فى المهديين ) .

ولا يشترط أن يقول الزائر كل ما سبق ، بل يكفيه بعضه . ومن المفيد دعاء وارد يقال فى صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثالثة ويدعى به فى المقابر للموتى عند الزيارة لمن شاء : ( اللهم إن هذا عبدك وابن عبدك وابن أمتك خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوبه فيها وأحبائه إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه ، كان يشهد ألا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك – اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به وأصبح فقيراً

(١) سورة الحشر ، الآية ١٠ (٢) رواه أحمد والترمذى وحسنه .

إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له - اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه ، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له فى قبره ، وجاف الأرض عن جنبه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه آمناً إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين ) .

هذا الدعاء بهذه الصيغة تتغير فيه الضمائر حسب نوع الميت من ذكورة أو أنوثة ، فرداً أو جماعة ، ففى الأنثى يقول : اللهم إن هذه أمتك وبنت عبدك وبنت أمتك ، وهكذا ، وعند الجمع يقول : اللهم إن هؤلاء عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ، وهكذا ، وعليه أن يستقبل وجه الميت عند الزيارة ، وفى حالة زيارة ممن تثبت ولايته بنص كتاب أو سنة يستدبرهم الزائر بعد زيارتهم دون طواف ويستقبل القبلة ويقول : اللهم كما حفظتهم فاحفظنى وكما وفقتهم فوفقنى أو ما شاء آمين . وكل ما سبق مشروط بأن ينهى ويزجر عن المنكر وإلا ابتعد أصلا عن الزيارة كما سبق القول .

* * *

# بدع الجنائز وسننها

١ - قال صلى الله عليه وسلم : ( صوتان ملعونان : صوت مزمار عند نعمة ، وصوت رنة عند مصيبة )[1] وقال عليه الصلاة والسلام : ( ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية )[2] . ومعنى ( ودعا بدعوى الجاهلية ) أن يقول الشخص : وامصيبتاه ، أو واسبعاه ونحوه ، وكذلك مثل صبغ الوجوه والأبواب والأيدى وصياح النساء عند خروج الروح وعند تغسيل الميت وإخراجه من البيت .

٢ - ومن البدع مشيهن مع الرجال فى أثناء تشييع الجنازة .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسوة يتبعن جنازة ، فقال لهن : ( أتحملن فيمن يحمل ؟ قلن : لا . قال : أتغسلن فيمن يغسل ؟ قلن : لا . قال : أتدلين فيمن يدلى ؟ قلن : لا . قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات )[3] أى ارجعن وعليكن الوزر وليس لكم من الأجر شىء . وقد سبق حديث : ( لعن الله زوارات المقابر والمتخذين عليها المساجد والسرج )[4] .

٣ - ومن البدع عدم الوصية بماله وما عليه ما دام عنده شىء يوصى فيه .

وفى الحديث : ( من مات على وصية مات على سنة وسبيل ، ومن مات على غير وصية مات على شقاء وعلى غير سبيل )[5] .

(١) رواه البزار بسند رواته ثقات .
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه .
(٣) رواه ابن ماجه والحاكم .
(٤) رواه أحمد وابن ماجه والترمذى .
(٥) رواه ابن ماجه .

ومن آثار عدم الوصية ارتباك الورثة وحيرتهم أمام ادعاءات من الغير قد تكون صادقة أو غير صادقة وليس لديهم دليل من الميت يرشدهم للصواب وغيره ، وقد تكون عليه ديون غير موثقة . وفى الحديث : (روح المؤمن محبوسة عن الجنة حتى يقضى دينها)[1] .

٤ – وهناك بدعة تسمى الإسعاد ، وهى حرام . وهى أن تساعد المرأة أهل الميت وتجاملهم فى النياحة كما ساعدوها فى ميتها . والحديث يقول : (لا إسعاد فى الإسلام)[2] .

٥ – ومن البدع التهرب من تكفين الميت أو غسله أو حمله أو دفنه .

فهذه الأربعة واجبات على المسلم نحو أخيه الذى مات ، وينبغى تعلمها . وفى الحديث : (من شهد الجنازة من بيتها إلى مصلاها وقبرها فله قيراطان من الأجر ، القيراط كجبل أحد)[2] .

وفى الحديث الذى رواه ابن ماجه : (إن من فعل ذلك مع الميت ولم يفش عليه ما رأى خرج من ذنبه كيوم ولدته أمه) .

٦ – ومن البدع المغالاة فى الكفن : وهو تبذير وإسراف وتفاخر لا أساس له فى الإسلام ، والسنة أن يكون الكفن من اللون الأبيض ، وأن يكون من ثلاث أثواب من قطن ليس فيها قميص ولا عمامة . أما للأنثى فخمسة أثواب بما فيها الخمار والقميص – وعدم التكفين فى الحرير للرجال.

٧ – ومن البدع الإشهاد وهو وقوف أهل الميت بعد الصلاة عليه مع بعض الرجال قبل الدفن ويسألونهم : ما تشهدون فيه ؟ فيقولون : نشهد فيه أنه كان مسلماً صالحاً ، مستندين فى ذلك إلى أن هناك جنازة مرت أمام رسول الله ، فأثنى الصحابة عليها خيراً ، فقال : وجبت ، وجبت ،

(١) رواه أحمد .
(٢) رواه أحمد .
(٣) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .



هو فى الجنة ، ومرت جنازة أخرى فقالوا عليها شراً ، فقال صلى الله عليه وسلم : وجبت ، وجبت ، هو فى النار)[1] .

وليس هذا تشريعاً أن يسأل الناس ما تشهدون فيه ، لأن الصحابة تكلموا من غير أن يطلب منهم الرأى ، كذلك فإن من شهدوا للجنازة بالخير هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم المقربون منه وليست شهادة صادرة من قوم أحرجهم أهل الميت بالسؤال عنه ، وقد يكون مرابياً وتاركاً للصلاة وظالماً ويخجل الناس أن يقولوا الحق ، وإذا كانت مناسبة بريئة لذكر الميت دون ضغط ولا إحراج فالمطلوب ذكر محاسنه دون مساوئه ، لحديث : (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم فإنهم قد أفضوا إلى ربهم)[2] .

٨ – ومن المحرم اتباع الجنازة بالموسيقى والطبول والمجامر (البخور) والمنشدين . وفى الحديث : (لاتتبع الجنازة بصوت ولا نار)[3] كما سبق ، وهو تغيير لخلق الله وتحويل لرهبة الموت إلى عبث وإسراف ومباهاة وأذى للميت .

٩ – ومن البدع الجنائز الطواف بالنعش حول الأضرحة والمقامات وحول القرية وفى الشوارع ، مع أن السنة الإسراع فى الدفن . وفى الحديث : (أسرعوا بدفنه ، فإن يكن صالحاً فإلى خير تقدمونه ، وإن كان غير ذلك فشر تضعونه عن رقابكم)[4] . وقد يحمل النعش بعض السفلة المغرضين فيدعون أنه أوقفهم وسيرهم وطار بهم ، وترفع الأصوات والزغاريد من الجاهلات (مددك يا ولى الله ، وكم أخزاهم الله حينما تدخل

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) روى البخارى مثله وعند أبى داود والترمذى بسند ضعيف .
(٣) يروى عند أبى موسى بسند فيه مجهول رواه ابن ماجه .
(٤) رواه الجماعة .

العقلاء وأبعدوا السفلة عن حمله فإذا به ميت مسكين عادى نزل به قضاء الله فما استطاع إفلاتاً « هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً »[١] .

١٠ – ومن البدع تزيين النعش وخاصة الصغار من البنين والبنات . ذلك أن المقام مقام تواضع ورهبة وخشوع لله وتذكر للموت ، لا مقام تفاخر ومباهاة .

١١ – ومن البدع الجهر بالذكر حال سير الجنازة أو بالقرآن أو بكلمة ( وحدوه ) أو غيرها . وفى الحديث : ( إن الله يحب الصمت عند ثلاث : عند تلاوة القرآن ، وعند الجنازة ، وعند الزحف )[٢] . وقد سمع ابن عمر رجلا يقول فى الجنازة : استغفروا لأخيكم . فقال له : اسكت ، لا غفر الله لك .

١٢ – ومن البدع ذبح الذبائح عند خروج الميت من البيت أو نزوله القبر ، وقد سماه الإسلام عقراً ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : ( لا عقر فى الإسلام )[٣] . وقد كان الناس يفعلونه فى الجاهلية مفاخرة ومباهاة ، ولكن إذا أراد أحد أن يطعم المساكين فبعد انتهاء الدفن وبعيداً عن القبر ، يطعمهم بصدقة سرية من غير رياء ولا سمعة ، فهذا هو الشىء الذى يحدث به الثواب للفاعل والرحمة للميت إن شاء الله مع الاستغفار والدعاء .

وفى الحديث : ( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له )[٤] . والصدقة الجارية معناها التى يدوم نفعها . وقد ورد فى الحديث أمثلة للصدقة الجارية ،

(١) سورة مريم ، الآية ٩٨

(٢) روى ابن المنذر عن قيس بن عباد قال : ( كان أصحاب النبى يكرهون رفع الصوت عند ثلاث ... ) .

(٣) رواه أبو داود .  (٤) رواه مسلم وأصحاب السنن .



فقال : ( بئراً حفره أو نهراً أجراه أو مسجداً بناه أو مصحفاً تركه أو بيتاً لابن السبيل أو شجرة غرسها أو ولداً صالحاً يدعو له أو علماً نشره ) .

١٣ – خفة الميت أو ثقله مسألة أثارت جدلا كثيراً بين الناس ، وهى فى حقيقتها مسألة يدخل فيها الخداع ، يتصنعها بعض المغرضين حتى يخلقوا الميت ولياً ينتفعون من ورائه بالنذور والخرافات ، ولكن أحياناً يكون الميت من الصالحين ويكون فى دنياه ثقيل الجسم ولكن يخف بعد الموت ، كما حدث لسعد بن معاذ رضى الله عنه ، وقال صلى الله عليه وسلم يومها : إن الملائكة تحمله . وفى رواية : ( لقد شيع جنازته سبعون ألف ملك ) .

والله مسئول أن يرزقنا قبل الموت توبة ، وحين الموت راحة ، وبعد الموت إكراماً ونعيماً . آمين .

ونعرض فى السطور التالية بعض الأمور التى قد تفيد أهل الميت ، بل والميت ذاته ، ونجملها فيما يلى :

١ – يطلب من أهل الميت عند موته الصبر والاسترجاع بما قال الله : « وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون »[١] .

وقال صلى الله عليه وسلم : ( من صبر عند مصيبته جبر الله مصيبته وعوضه خيراً منها )[٢] .

ومن السنة أن نقول ما علمه الرسول صلى الله عليه وسلم لأم سلمة : ( إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرنى فى مصيبتى واخلفنى خيراً منها )[٣] .

٢ – لا يؤاخذ الله بحزن القلب ولا بكاء العين ، إنما يؤاخذ بكلام اللسان السيىء الساخط كما تقدم فى الحديث ، ويشترط فى البكاء المباح أن يكون بغير صوت .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٥٦  (٢) مثله عند مسلم وأبى داود والنسائى والترمذى .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذى .

٣ ـ يطلب من الحاضرين بجوار المحتضر السكون والتطيب بالرائحة الطيبة ، ويمنع من مجاورته بالنتن والروائح الكريهة .

وينبغي ألا يقربه حائض أو جنب ، بل يحضره أهل الخير الذين يذكرونه بالله ويلقنونه الشهادتين ويدعون له ، وإن الملائكة تؤمن على ما يقال منهم ، وقيل إن تلاوة سورتي الرعد ويس مما يسهل خروج الروح. وفي الحديث الذي أخرجه ابن أبي شيبة والمروزي عن جابر بن زيد قال : ( كان يستحب للميت أن يقرأ عنده سورة « الرعد » فإنه يخفف عنه وإنه أهون لقبضه وأيسر لشأنه ، كذلك سورة « يس » تقرأ أيضاً على المحتضر للتذكير بالله وتسهيل خروج الروح ) كما في بعض الروايات .

٤ ـ أما تلقين المحتضر فإنه سنة ، وفي الحديث : ( لقنوا موتاكم لا إله إلا الله ، فإنه من كان آخر كلامه في الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة ) أي من حضره الموت[1] .

ويطلب من الملقن أن يكون ليناً في تلقينه ، وذلك بأن يتلو آيات القرآن ويذكر الله وينطق بالشهادتين حتى يقلده المحتضر دون أن يقول له « قل » فربما فهم المحتضر من هذا الأمر أنه سيموت فتدركه الحسرة فينسى توحيد الله ، أما تلقين الميت بعد دفنه فيقتصر على الدعاء له بالمغفرة والتثبيت عند السؤال .

٥ ـ ومن السنة كثرة المصلين على الميت وأن يكونوا في ثلاثة صفوف ، وذلك لحديث : ( ما من رجل يموت فيصلي عليه أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه )[2] . وفي رواية : ثلاثة صفوف .

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري والحاكم عن معاذ بن جبل وفي آخره : ( من كان آخر كلامه ... ) .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .



٦ ـ ومن السنة كشف نعش الرجل وستر نعش المرأة ، كما فعل السلف .

٧ ـ ومن سنن الاستغفار للميت أن يكون بعد دفنه ، وفي الحديث : ( استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل ) .

٨ ـ ومن السنة إدخال الميت من قبل رأسه ووضعه على جانبه الأيمن مستقبلا بوجهه قبلة الصلاة وكشف خده الأيمن ولصقه بالتراب وفك أربطة الكفن مع إسناده ظهر بنحو لبنة ، وأن يقول الدافنون له : باسم الله وعلى ملة رسول الله .

٩ ـ ومن السنة المكث على قبره بعد دفنه بمقدار ذبح ناقة وتوزيع لحمها ، أي نحو ساعة زمنية تقريباً . وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه : ( امكثوا على قبري بمقدار ذبح جذور وتقسيم لحمها حتى أستأنس بكم وأعرف كيف أراجع رسل ربي ) .

* * *

(١) رواه أبو داود .

# بدع المآتم وسننها

١ – من بدع المآتم الإسراف فى إعداد المكان للعزاء وجلب القراء المشهورين ، وكل ذلك يكون على حساب التركة ، وقد يكون فى الورثة قاصرون يحرم التصرف فى أموالهم بغير حق ، وهذا بخلاف ما يعدونه من الطعام للمقرئين وغيرهم ، مع أن السنة أن يصنع الناس طعاماً لأهل الميت ، وقد قال صلى الله عليه وسلم حين مات جعفر رضى الله عنه : (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه أتاهم ما يشغلهم )[1] . ولا يصح أن يجمع الناس على أهل الميت بلاءين : بلاء الحزن وبلاء التشاغل بإعداد الطعام والتكلف . وقد كرهت الأئمة للمجتمعين فى المآتم أن يتناولوا أى طعام أو شراب ، فهذه لعنة على كل من فعلها ، لأن المال المنصرف فى هذه المأكولات والمشروبات صرف قبل توزيع التركة ، وقد يكون فى الورثة يتامى ، وكل من تصرّف فى مالهم بغير إذن شرعى فهو معتد « إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً »[2] كما فى القرآن .

٢ – ومن البدع الجلوس للعزاء فى سرادقات خاصة تقام لهذا الغرض .

وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفنون موتاهم ثم يرجعون لأعمالهم ، وربما تقبلوا بعد ذلك العزاء فى المسجد عقب الصلوات كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند استشهاد عمه حمزة رضى الله عنه .

٣ – ومن البدع التفاخر فى النعى ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النعى وقال إنه من عمل الجاهلية .

(١) رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى . (٢) سورة النساء ، الآية ١٠ .



وتراهم الآن يملأون أشهر الصحف بنعى مطوّل يذكرون فيه من هبّ ودبّ ، ويسهل عليهم دفع مئات الجنيهات فى هذا ، ولو طلبت منهم صدقة لمسكين لبخلوا .

٤ – ومن البدع إقامة الخميسين والأربعين والذكرى السنوية والمواسم كطلعة رجب ونصف شعبان والعيدين ، فهذا تجديد للأحزان ، وهو محرّم ، مع أن العزاء للحاضر بعد ثلاثة أيام ممنوع ، فضلا عما فى عملهم من الإسراف والسخط وعمل الجاهلية .

٥ – ومن البدع عمل ما يسمى بالصمدية والعتاقة وإسقاط الصلاة وما يسمى بالرحمة على الميت ، وقد يكون للميت مع هذا كله ديون تركها دون سداد ، وفى الحديث : (روح المؤمن محبوسة عن الجنة حتى يقضى دينها ) ، وكان صلى الله عليه وسلم يسأل عن الميت قبل أن يصلى عليه : هل عليه دين ، فإن قالوا لا ، صلى عليه ، وإن قالوا عليه دين ، سأل : هل عنده ما يفى بدينه ، فإن قالوا لا ، قال : صلوا أنتم على ميتكم ، وذلك ليبعدهم عن أكل أموال الناس والإسراف فى الاستدانة دون ضرورة ، فلما عفوا والتزموا رجع صلى الله عليه وسلم فصلى على الجميع .

فالواجب على أهل الميت بدلا من الإسراف والتفاخر الكاذب الزائل أن يسددوا الديون ، وأن يدخروا لليتامى والمحتاجين من الورثة ما سيعثرونه فيما حرم الله ، فإن الله سائل كل ذى مال : من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

٦ – ومن البدع فى المآتم الزيادة فى الحداد عن ثلاثة أيام إلا على الزوج فتكون مدة الحداد أربعة أشهر وعشرة أيام .

والحداد : هو ترك المرأة للزينة والتعطر والكحل والخروج خارج بيتها إلا لضرورة قصوى ، كذلك يحرم عليها التعرض لخاطبين ، كما يحرم

على الخاطبين التعرض لخطبتها ما دامت فى العدة « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله »[1] .

٧ – ومن البدع المنكرة – بل اللاعنة لأصحابها – توزيع السجاير على المعزين وشربها ، فتجد فى هذه البدعة الروائح الكريهة فى أثناء تلاوة كتاب الله ، أضف إلى ذلك ما سبق أن ذكرنا من الصخب واللغو من الموزعين والموزع عليهم ، مع أن السجاير ضارة بإجماع أهل الطب الذين قرروا صلتها بسرطان الرئة ، حتى إنهم دونوا تحذيراً على كل علبة ، وهى مع ضررها مانعة للإنصات والخشوع والتدبر المطلوب لكتاب الله عز وجل ، علاوة على ما فيها من ضياع المال والصحة .

وقد صدرت جملة فتاوى من الأزهر وغيره بتحريم شرب الدخان فى مجلس القرآن ، وللجمعية الشرعية رسالة منذ خمسين عاماً فى تحريم الدخان تسمى ( السم القاتل فى أمعاء الضال الجاهل ) .

٨ – ومن البدع المغالاة فى مدح الميت بما ليس فيه ، وهذا نفاق ورياء ، وقد علمنا الإسلام أن نقول لمن نريد أن نمدحه : ( أحسبه كذلك ولا أزكى على الله أحداً ) . قال تعالى : « فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى »[2] . وقد ثبت أن الأموات الذين رضى الله عنهم ولم يكونوا محبوسين بذنوبهم يعلمون أحوال الأحياء وما نزل بهم من شدة ورخاء ، ويتألمون لألمهم ويفرحهم لفرحهم ، كما رواه أحمد والترمذى ، وكما ورد فى كتاب الإبداع ، أما قوله تعالى : « فإنك لا تسمع الموتى »[3] ، فالآية واردة فى حق موتى القلوب الذين لهم آذان ولكن لا يسمعون بها كلمة الحق ، ولهم أعين ولكن لا يرون بها آيات الله ، ولهم عقول ولكن لا يفقهون

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٣٥ (٢) سورة النجم ، الآية ٣٢
(٣) سورة النمل ، الآية ٨٠



بها الفرق بين الحق والباطل « صم بكم عمى فهم لا يعقلون »[1] . وقد ثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم كلم أم محجن بعد موتها وسألها : ( أى الأعمال وجدت أفضل ؟ فردت عليه : كنس المساجد ) رواه البخارى . وقال تعالى فى وصف أهل الجنة : « الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين »[2] ، جعلنا الله من أهلها ، ووقانا عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧١
(٢) سورة الزمر ، الآية ٧٤

## بدع الموالد

١ ــ أحدثها الفاطميون فى القرن الرابع الهجرى ، فابتدعوا ستة موالد :

١ ــ المولد النبوى .　　٢ ــ مولد الإمام على .

٣ ــ مولد السيدة فاطمة .　　٤ ــ مولد الحسن .

٥ ــ مولد الحسين .　　٦ ــ مولد الحاكم المعاصر .

ثم جاء الأفضل بن الأمير الجيوش فأبطلها ، ثم أعيدت فى عهد الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ هجرية وحتى يومنا هذا ، ومن بدعها الآتى :

٢ ــ الإطعام وتلاوة القرآن وما يسمونه بالذكر ، وهذه الأشياء فى الأصل من صالحات الإسلام لولا ما صحبها من انحرافات ، فهى مطلوبة فى كل وقت بنية القربى إلى الله لا بنية المولد المحدث الذى لم يكن فى عهد السلف الصالح ، بل وتجد أصوات مكبرات الصوت تتضارب بالذكر فتخرج عن دائرة الخشوع والخضوع إلى دائرة الصخب والضجيج ، وربما كان لهذه المساجد والساحات جيران مرضى وطلبة يذاكرون وأطفال تفزع من هذه الأصوات المنكرة الصادرة من حناجر عملاء الشيطان .

٣ ــ ومن المحرّمات التى تقع إضاعة المال بكثرة الوقود وإنارة المصابيح فى المساجد والطرق واستهلاك الشموع والمصابيح .

٤ ــ انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وباللغط ووجود الأطفال والحفاة الذين ينجسونها حتى يتعذر إقامة الشعائر بها على الوجه المرضى ، ومعلوم أن التشويش فى المساجد حرام ولو بتلاوة القرآن كما سبق فى بدع المساجد بدليله.



٥ ــ تبرج النساء الزائرات للموالد والأضرحة مع الاختلاط بالرجال وما يحدث من فجور ونشل ومعارك فى تلك الليالى فى الساحة وما حولها .

٦ ــ استعمال آلات اللهو والأغانى الخليعة ، والحديث يقول : ( من استمع إلى صوت قينة صب فى أذنه الآنك يوم القيامة ) .والآنك هو الرصاص المذاب . والتقرب يجب أن يكون لله وأن يكون بالحلال . وأولياء الله الصادقون ينفرون من المعصية ، فأين هذا الصخب والعبث من عمل الولى ، وهل كان هو على تلك الحال فى حياته ــ إن من أراد أن يتقرب إلى إنسان تقرب إليه بما كان يحب أو يفعل حال حياته ، وقد وصف الله أولياءه بأنهم الذين آمنوا وكانوا يتقون ، أى جمعوا بين حسن الاعتقاد وصلاح العمل .

٧ ــ الترجيع فى القرآن كالطرب مع شرب ( الجوزة والشيشة ) ، وهذا قد ورد حكمه وحرمته فيما سبق .

٨ ــ الرياء بالإنفاق الزائد ، والتنافس بين الأغنياء للمباهاة ، وتعطيل الناس عن أعمالهم وخاصة من يفدون من الريف ، فضلا عما يتكبدون من مال هم أحوج ما يكونون إليه ، فضلا عما يحدثون من أزمات خانقة فى المواصلات والطعام ، وما يحدث لهم من كوارث .

٩ ــ حلقات الذكر المحرف وفيها المنشدون الذين يبتغون المال والشهرة لا يبتغون رضوان الله ، كما يوجد فيها الصارخون فى المساجد والمصفقون والمصفرون والراقصون المائلون المميلون .

١٠ ــ كما تجد فى الطريق إلى الموالد قراءة القرآن على قارعة الطريق وفى الحوانيت لاجتلاب الزبائن ، وعلى الكبارى وأبواب الأنفاق ، يستجلبون بالقرآن عطف الناس ، فأرخصوا ما أغلى الله وحقروا ما عظم من منهج الحياة ودستور الوجود : كتاب الله .

١١ – وفيها تعطيل للموظفين والعمال والفلاحين عن أداء واجباتهم كما سبق ، بما فيها من إفراط فى السهر والسفر وحملهم على التكلف بشراء ما لا يلزم من الشهوات ، وقد يكون الكثير من رواد الموالد ممن لا يركع لله ركعة ، وفيها شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة بمكة والمدينة والقدس ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا )[1] .

١٢ – ولو لم يكن فى الموالد إلا اتخاذ القبور عيداً للذبائح والقرابين والنذور ، كفعل المشركين عند أوثانهم ، لكفى بذلك تحريماً ، علاوة على ما يحدث فيها من توسل لغير الله وسؤال واستعانة بما سواه ، وشرك لا يحصى ، مع أن منع المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فما دام المسلم لا يستطيع أن يزيل هذه المنكرات فليبتعد عن شهودها حتى لا تصيبه اللعنة ، قال تعالى : « وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين »[2] .

وقال تعالى : « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره ، إنكم إذن مثلهم »[3] .

فثبت بالآيتين أن كل من حضر المعصية حتى ولو لم يفعلها فهو شريك لفاعلها ، والعجب أنهم جمعوا جميع موالد من يسمونهم أولياء تباعاً ، فلا يكاد ينفض السامر عن مولد إلا استأنفوا الرحيل لغيره ، وكم فى ذلك من أزمة للمواصلات وأزمة للطعام وكثرة النشالين وأحداث

(١) رواه الجماعة .
(٢) سورة الأنفال ، الآية ٦٨
(٣) سورة النساء ، الآية ١٤٠



الفجور ، فضلا عن خرافات مضلات العقيدة والعبادة والأخلاق ، والشعب المسكين المفتقر إلى من يعلمه أحكام دينه ودنياه فى كل بلاد الإسلام مصاب بعلماء مداهنين فى دين الله وبحكام معادين لدين الله ، لأنه لن زعمهم إذا سادت شريعته ستحرمهم من منافعهم وتقضى على دجلهم وظلمهم ، وهو كذلك ، والله من ورائهم محيط ، فالعلماء الكاتمون لما أنزل الله ملقاً وجباناً ما يأكلون فى بطونهم إلا النار « ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم »[1] . والحكام الضالون المعطلون لإنفاذ حدود الله وشرعه ما هم بمسلمين ولا مؤمنين .

وبهذين الجناحين الكسيرين فى الأمة : جناحها التشريعى وجناحها التنفيذى ، أصابها ما أصابها ويصيبها من ذلة ومجاعة واستعمار واحتلال ، ولن تنجو مما حل بها إلا بالعودة لشرع الله الطاهر المطهر الذى يمحو عن العقول ضلالها ، وعن القلوب رانها ، وعن الفرد آثامه ، وعن المجتمع آلامه .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٤

## بدع الأفراح

١ – ترك الزواج مع القدرة الصحية والمالية ، وذلك من البدع المنكرة ، حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم هدد صاحبه ( عكافاً ) بأن يكون من رهبان النصارى وقال : ( إن من سنتي النكاح ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ) .

٢ – عدم التخير لصاحب الدين والخلق ، وفي الحديث : ( إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[1] . وقال في حديث طويل : (فاظفر بذات الدين تربت يداك )[2] . ومعنى ( تربت يداك ) أي التصقت بالتراب فقراً إن لم تختر ذات الدين . وفي معنى آخر : أي امتلأت يداك بالذهب والخير إن سمعت وأطعت .

٣ – ومن البدع الاقتصار على اختيار الحسب والجمال والمال مجرداً عن الخلق والدين كما أشرنا في الفقرة السابقة ، فإن المعاشرة بين الزوجين قوام سعادتها الخلق الكريم والمعاملة الطيبة والتعاون على البر والتقوى والصبر والمصابرة ، وكل ذلك ينشئه حسن التربية الدينية وتعهد الوالدين والمدرسة والبيئة للناشئة بالتوجيه الصالح ، أما الاعتماد في المصاهرة على الجمال المجرد عن الخلق والدين فهو بلاء وفتنة ، والمرعى الخصب يكثر نزول الرعاة والشياه فيه ما لم يكن حارس من دين ووازع من خلق ، وقد يولد الجمال الدلال والإذلال ثم هو ذاهب لا محالة ، فالاعتماد عليه وحده كالغرور بوردة لابد من ذبولها ، وكذلك مجرد الحسب والغنى هما وبال في غيبة الدين .

(١) رواه الترمذي . (٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .



٤ – ومن البدع الإسراف في الجهاز ومطالب الزوجية مما تسبب في إحجام كثير من الشباب عن الزواج ، وفي الحديث : ( أيسرهن مهراً أكثرهن بركة ) . وفي رواية : ( أبركهن أيسرهن مئونة ) رواه أحمد وأبو داوود . كما يترتب على المغالاة في المهور كثرة أنواع الجهاز ، ويترتب عليه بالتالي الاحتياج للمسكن الواسع متعدد الغرف غالي القيمة ، مما يربك أحوال الزوجية في المستقبل ، ومعظم ذلك ناشيء من التباهي ومجاراة الناس دون تبصر ولاتدبر ولا مراعاة لتوجيهات الإسلام وتحذيره من الإسراف .

٥ – ومن البدع تجاوز الحدود الشرعية بعد الخطبة في الخلوة المحرّمة باسم التعارف والتجربة ، مع أنه أجنبي عنها قبل العقد ، وحتى إذا تم العقد الشرعي وتأجل الزفاف حرم عليه أن يتصل بها جنسياً إلا بعد إعلان الدخول بها ، حتى لا تتهم في عرضها إن حدث حمل قبل إعلان الزفاف ، والحديث يقول : ( أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالدف )[1] ، والمراد بالدف : الآلة التي تسمى بالرق بدون جلاجل .

٦ – ومن البدع لبس الرجال للذهب المحرّم كالدبلة الذهب ، فالحرير والذهب حرامان على الذكور ، حلالان للإناث ، ومن الممكن أن تكون دبلة العروس من الذهب وزوجها من الفضة ، ومعلوم أن خاتم الفضة حلال للذكور .

٧ – ومن البدع والمحرّمات الخلوة بغير أم الزوجة ، كأختها أو عمتها أو خالتها ، فكلهن ليسوا من محارم الزوج بل يحلون له بعد موت الزوجة أو طلاقها ، فيحرم الخلوة بهنّ . وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الخلوة بالحمو ، قال : ( الحمو الموت ) . والحمو : أقارب الزوج والزوجة من غير المحرمين على التأبيد .

(١) رواه أحمد والترمذي وحسنه .

٨ - ومن البدع عمل الليالى المسرفة فى التكاليف ، وقد يصحبها خمر وتهتك واختلاط ورقص وخلوة وغناء محرم ومجون شباب مع شابات . وليعلم أن الحناء محرّمة على الرجال ، لأنها تخث لا يليق إلا بالنساء ، ولم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرد السلام على عمار بن ياسر لما وجده قد لطخ كفيه بالزعفران لتشققهما ، وقال : اذهب فأزل عنك هذا ، فلما أزاله ورجع وألقى السلام عليه رد عليه .

٩ - فض البكارة بالإصبع وهتك العورات :

وهو جناية وحشية لا تليق بزوجين يجب أن يتحقق بينهما السكون والمودة والرحمة بنص القرآن كما فى سورة الروم : « من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »[1] .

وقد يترتب على هذه العملية الوحشية ( فض البكارة باليد ) بعض العلل التى قد تسبب عقم الزوجة ، علاوة على الخوف والرعب وفضيحة انكشاف عرضها أمام الناظرين .

والمفروض أن تبقى الزوجة بكراً مع زوجها ، يلاعبها وتلاعبه ، ويمزح معها ويؤنسها وتؤنسه حتى تزول البكارة بالوضع الطبيعى بعضو الذكورة دون ألم أو فضيحة .

١٠ - ومن البدع طواف النسوة بدمها بعد فض بكارتها فى بعض الجهات ومرور العروسين وأصحابهما ، إما فى الشوارع بالشموع أو بالسيارات مع إطلاق الأصوات الفظيعة المنكرة ، مما يؤثر على أعصاب المرضى ، وأظن أن مثل هذا اللون قد انتهى من الأسر الشريفة تقريباً ولا نجد آثاره إلا فى بعض الأسر التى تعيش فى أمية دينية بل جاهلية جهلاء .

(١) سورة الروم ، الآية ٢١

## بدع عاشوراء

وعاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم ، كما أن تاسوعاء هو اليوم التاسع منه - والسنة الثابتة صيام يوم عاشوراء ويوم قبله أو يوم بعده مخالفة لغير المسلمين ، كما فى الحديث الصحيح : ( خالفوا اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده )[1] ، ومن استطاع صوم الأيام الثلاثة : عاشوراء ويوماً قبله ويوماً بعده ، فهذا هو الكمال فى الأجر ، وإلا فليصم تاسوعاء مع عاشوراء ، لحديث : ( لئن عشت إلى قابل لأصومن تاسوعاء ) ، وإلا فليقتصر على عاشوراء . وفى الحديث : ( صوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر ذنوب سنة ماضية ) .

١ - من البدع كثرة النفقة والاعتماد على ذلك فى حديث التوسعة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ( من وسع على نفسه وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته )[2] .

والحديث مطعون فيه ، بل قالوا لا أصل له ، وقال فيه الإمام أحمد : حديث لا أصل له ، وقال : راويه كوفى سمعه عمن لا يعرفه . وقال ابن الجوزى : حديث موضوع . وقال السخاوى : كل روايات الحديث ضعيفة وإن كان العراقى قال عنه إنه حسن .

وليعلم عن أهل هذا الحديث أنه كان بالكوفة قوم من الشيعة تغالوا فى حب الحسين رضى الله عنه ، وكان رئيسهم المختار بن عبيد الكذاب الرافض الذى ادعى النبوة ، وكان هناك قوم من الناصبة يبغضون علياً

(١) نحوه عند مسلم وأبا داود .

(٢) رواه البيهقى فى الشعب وابن عبد البر .

وأولاده ومنهم الحجاج الثقفى ، وقد روى الإمام مسلم حديث : ( سيكون فى ثقيف كذاب ومبير ) . ومعنى مبير : هو المسرف فى إهلاك الناس . فكان الشيعى المختار بن عبيد هو الكذاب ، وكان المبير هو الحجاج .

فالأولون أحدثوا الحزن فى يوم قتل الحسين رضى الله عنه ، وكان يوم عاشوراء ، ولا يزالون يفعلون ذلك فى بعض البلاد العربية ويضربون أنفسهم ضرباً مبرحاً وتولول النساء ، وجاء الآخرون فأحدثوا السرور والتوسعة ، والأحاديث المكذوبة شماتة فى الأولين ، ولم يصح فى عاشوراء سوى صومه وأنه يكفر ذنوب سنة ماضية ، كما سبق حيث كان اليهود يتخذونه عيداً ويصومونه ، قال تعالى : « موعدكم يوم الزينة »[1] . وكان اليهود فى هذا اليوم يلبسون نساءهم وعيالهم أفخر الثياب والحلى ، ونحن مأمورون بمخالفتهم .

٢ ـ ومن البدع فى هذا اليوم : الغسل والكحل والصلاة المخصوصة والبخور والرقية من المرأة والشحاذة على الأطفال ليعيشوا باسم زكاة العشر ، فكل ذلك من وضع الشياطين .

## مواسم نسبوها للشرع وليست منه

١ ـ ليلة ويوم ١٢ من ربيع الأول باسم إحياء الميلاد المحمدى ، وهى بدعة محدثة ، مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم ولد فى صبيحة التاسع من ربيع الأول وكان يوم الاثنين ، وإن كان المشهور عند الناس أنه يوم ١٢ من ربيع ، وقد ثبت تاريخياً أن يوم ١٢ ربيع فى عام الميلاد المحمدى لم يكن الاثنين ، وكان صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين ويقول : فيه ولدت وفيه أُنزل علىّ ، فكان احتفاله بميلاده أسبوعياً لا سنوياً ، وكان احتفالا

(١) سورة طـه ، الآية ٥٩



بطاعة وهى الصوم ، لا احتفالا بتهريج ولا بدع ولا شرك كما يحصل فى مولده اليوم كما سبق .

٢ ـ ليلة ٢٧ من رجب باسم أنها ليلة الإسراء والمعراج ، وذلك مع الاختلاف الشديد فى تعيين شهر المعراج وليلته ، وحديث قيام ليلته وصوم نهاره باطل مكذوب .

وشهر رجب من جملة الأشهر الحرم الأربعة ، يسن الإكثار من الصيام فيها دون تحديد عدد الأيام ، وفى الحديث : ( صم من الحرم وأفطر )[1] كررها ثلاث مرات .

٣ ـ ليلة النصف من شعبان ويومها :

لم يثبت فى ليلة النصف من شعبان ولا يومها حديث يعتمد عليه ، والحديث الذى يعتمد عليه الناس فى ليلة النصف هو : ( إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله يتجلى من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ويقول : هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من مبتلى فأعافيه .. إلخ ) هذا الحديث قال فيه أحمد بن حنبل رحمه الله : ليس بشىء ، وفيه راوى اسمه ابن أبى سبرة كان يضع الحديث . وقال الإمام النسائى عنه : إنه متروك . وقال الذهبى : ليس بشىء . والثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكثر من الصيام فى شعبان فى الشهر كله من غير تحديد ، فكان يصوم معظمه أو كان يصومه كله إلا قليلا .

وما أحدث الناس فى ليلة النصف من شعبان من الدعاء وهو : ( اللهم يا ذا المن .. إلخ ) دعاء باطل بإجماع الأئمة والعلماء ، والذى لفقه رجل يسمى اليافعى ، وفى نفس الدعاء أدلة لإبطاله :

أولها : أنه يقول إن ليلة النصف من شعبان هى الليلة التى يفرق فيها

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والبيهقى .

كل أمر ويبرم ، وهذا كذب ، لأن الليلة التى تبرم فيها الأمور هى ليلة القدر وهى فى شهر رمضان ، دليل ذلك أيضاً آيات سورة الدخان ، حيث يقول تعالى : « حم والكتاب المبين ، إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين، فيها يفرق كل أمر حكيم »[1] . إذن الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ذات الليلة التى أنزل فيها القرآن وهى ليلة القدر « إنا أنزلناه فى ليلة القدر »[2] التى هى إحدى ليالى شهر رمضان لا شعبان « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »[3] .

ثانياً : إنه يقول فى آخر الدعاء : إلهى ، إن كنت كتبتنى عندك فى أم الكتاب شقياً أو محروماً فامح اللهم بفضلك شقاوتى . وفيه أيضاً يقول : ( وأنت الذى قلت وقولك الحق : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ) . هذا الافتراء والتأويل الكاذب لآيات القرآن يجعل الناس فى حيرة من أمرهم، وذلك أن السعيد من سعد فى بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه .

أما موضوع « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » وهى من آيات سورة الرعد ، فهذا محو الشرائع ، أى أن الله يمحو ما يشاء من الشرائع التى انتهى زمنها ويأتى بشرع أو حكم جديد كيفما يشاء ، كما نسخ شريعة إبراهيم بشريعة موسى ثم عدلها بشريعة عيسى ثم نسخها بالإسلام ، ولو كان ذلك المفترى على الله قرأ الآية التى قبلها ما كتب ذلك فى دعائه ، ولكن الله أعمى بصيرته ، والآية التى قبلها تقول : « ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله ، لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت »[4] .

(١) سورة الدخان ، الآيات ١ - ٤ (٢) سورة القدر ، الآية ١
(٣) سورة البقرة ، الآية ١٨٥ (٤) سورة الرعد ، الآيتان ٣٨ و ٣٩



وتفسير ذلك أن اليهود أخذوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة مآخذ :

الأول : أن له أولاداً وذرية .

والثانى : أن المعجزات المادية قليلة ولا يستجيب فيها لمطالبهم .

الثالث : أنه يغير فى الشرائع كتغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة

والشبهة الأولى ردّ الله عليها بأن الزواج والذرية سنة الرسل السابقين وخاصة رسل بنى إسرائيل ، فلم يعيبون عليك ما هو عندهم سائغ ، والثانية ردّ الله عليها بأن قال : « وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله » . لأن الآيات ( أى المعجزات ) مجرد برهان على صدق الرسول وتأييد من الله له . والمعاند لو أتيت له كل يوم بسبعين آية لظل على عناده « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم »[1] . وقد شق القمر ورآه مشركو مكة ومع هذا لم يؤمنوا وقالوا : انتظر حتى يأتى المسافرون حتى نتأكد أنك لم تسحر أعيننا ، فلما جاء المسافرون شهدوا بذلك ، ومع هذا نكثوا وكذبوا ما شاهدوه وقالوا له : يا محمد ، ملأ سحرك الأرض والسماء ، وهذه هى سمات المعاند الذى ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة .

والموضوع الثالث هو موضوع تغير الأحكام : رد الله عليهم بقوله : « يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب »[2] . كما سبق .

(ب) ومن بدع ليلة النصف من شعبان قراءة سورة ياسين بقراءة خاصة ( تسمى بالقراءة الليثية ) فى جماعة ، وهذه القراءة محرّمة لجملة أسباب منها :

١ - اللحن فى القرآن .

(١) سورة يونس ، الآية ٩٦ (٢) سورة الرعد ، الآية ٣٨

٢ ـ أن من ينقطع نفسه يترك الجماعة تقرأ ثم يأخذ نفسه ثم يستمر معهم بعد أن يكون قد فاته آية أو أكثر ، وهذا تقطيع لآيات القرآن ، وقد لعن الله « الذين جعلوا القرآن عضين »[1] ، أى قطعاً .

ومن بدع ليلة النصف من شعبان أنك تجد كثيراً من الناس يصلون ست ركعات : اثنتين بنية دفع البلاء ، واثنتين بنية طول العمر ، واثنتين بنية الاستغناء عن الناس . وهذه الصلوات ليست فى الشريعة . وذات مرة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب يقول : اللهم اغنى عن الناس ، فقال له : يا علىّ ، هل تعلم ما قلت ؟ قال : نعم ، ألا يجعلنى الله محتاجاً لأحد . قال : ( ذلك معناه أنك تطلب الموت ، لأنك لا تستغنى عن الناس إلا إذا مت ) ، بل إنك محتاج إليهم بعد مماتك فى أن يدعو لك . قال : فماذا أقول يا رسول الله ؟ قال : قل ( اللهم اغنى عن شرار خلقك ) . قال : من هم يا رسول الله ؟ قال : ( الذين إذا أعطوا منوا وإذا منعوا عابوا ) ، ذلك لأن هذه هى سنة الله فى الخلق أن يحتاج كل إنسان للآخر ، لأن الله لم يعط الفضل كله والغنى لواحد « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد »[2] ، فليس هناك مشروعية لدعاء ليلة النصف من شعبان ولا لصيام يوم ولا للقراءة الليثية ولا الصلاة التى ذكرناها . وفى الأثر : ( اللهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة ) . فرفع البلاء تابع لتغيير للناس سلوكهم السيىء « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[3] . وركعتا طول العمر نقول فيها الآية : « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا فى كتاب »[4] . وقد ورد فى الحديث أنه ( من أراد أن يطيل الله فى عمره ويزيد فى رزقه فليصل

(١) سورة الحجر ، الآية ٩١ (٢) سورة فاطر ، الآية ١٥
(٣) سورة الرعد ، الآية ١١ (٤) سورة فاطر ، الآية ١١



رحمه )[1] . فنعم الله فى الأرزاق والآجال مرتبطة بقوانين إلهية وسنن كونية لا تتبدل .

والخلاصة أن المسلم ملتزم دائماً فى كل أحواله بتوجيهات مولاه وإرشادات نبيه الأعظم صلوات الله وسلامه عليه وآله ، أما الزيادة باسم الدين وادعاء عبادات ما تعبد الله بها خلقه فهو من الكذب على الله الذى يسود وجه صاحبه يوم القيامة « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة »[2] .

نعوذ بالله من الخذلان ونسأله تعالى السداد والتوفيق .

## المواسم الأجنبية

الحديث يقول : ( من تشبه بقوم فهو منهم ) رواه أبو داوود ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بمخالفة أهل الكتاب والمشركين حتى قالت اليهود إن محمداً يريد أن لا يترك من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه . وفى الحديث : ( إن اليهود لا يصبغون فخالفوهم )[3] .

والصبغ : هو دهن شعر اللحية والرأس بمثل الحناء مثلا ما عدا السواد ، اللهم إلا فى الجهاد فيباح الصبغ بالسواد لإرهاب الأعداء . وفى الحديث : ( لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه ) رواه البخاري .

ومن هذه المواسم الأجنبية عن الإسلام ( شم النسيم ) والأولى أن يسمى شقاء الجحيم لما يحدث فيه من الاختلاط والتبرج وإغضاب الله ، وخروج الألوف من الشباب المخنث والفتيات المائعات باسم الترويح والتمتع بالطبيعة ، وما هى إلا الفضائح .

(١) رواه البخارى ومسلم والترمذى . (٢) سورة الزمر ، الآية ٦٠
(٣) رواه الجماعة .

أعياد محدثة ( وطنية لا شرعية )

١ - عيد النصر .
٢ - عيد العلم .
٣ - عيد الفن والمعلم .
٤ - عيد الأم .
٥ - عيد الثورة .
٦ - عيد ثورة التصحيح .
٧ - عيد السلام .
٨ - عيد العمال .
٩ - عيد الوحدة .
١٠ - عيد الثورة الخضراء .
١١ - عيد الأحزاب .
١٢ - عيد الدستور .

وهذه مجرد نماذج .

وهذه كلها أعياد وطنية محلية عادية تخضع للمحو والتغيير ، لأنها من وضع بشر ، ليست تشريعاً من الله ، ويأليتهم وضعوا عيداً ، لنزول القرآن فى ليلة القدر من رمضان ، وكان عوضاً عن شم النسيم مثلا ، وكذلك عيد النصر ببدر والفتح لمكة ، ولكنهم وضعوا من الأعياد ما لم ينزل الله به سلطاناً ، وتغافلوا عن أيام الله التى أمر الله المسئولين أن يذكروا الناس بها « وذكرهم بأيام الله »[1] . فاللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون .

(١) سورة إبراهيم ، الآية ٥

## بدع الطرق

١ - منها اعتقاد الكمال فى المشايخ وأنهم لا يخطئون ( وأن من اعترض الطرد ) حتى لو كان الاعتراض على معصية شرعية ، لأن لهم حسب زعمهم ظاهراً وباطناً ، والأشباح عندهم قد تعصى ولكن الأرواح باقية على طاعتها ، وأن الولى يملك أربعين شخصية ، وكل هذا من الضلال والشرك والكفر الصحيح عند من يعتقده فى نفسه أو فى غيره ، فكل بنى آدم خطاء ، والعصمة لرسل الله ، والكمال المطلق لله وحده ، وكان صلى الله عليه وسلم يقول لصحبه : ( إذا نسيت فذكرونى ) .

٢ - ومنها اعتقاد النفع والضر فى المشايخ وأنهم يملكون تصريف الكون ، بل يعتقد بعض المريدين أن بعض الأولياء يخرجون بعد موتهم من القبور لقضاء مصالح الناس بأجسامهم وينسبون ذلك لمثل الشيخ الشرقاوى ، وأنه كان يذهب كل يوم من قبره لبنته ويشترى كل شىء من السوق ثم يذهب لقبره ، مع أن سيد الخلق نفسه لم يفعلها قط .

٣ - ومن بدعهم اللحن فى أسماء الله عند الذكر كما سبق والتشويش به فى المساجد واللعن فى بقية الفرق كأهل النار « كلما دخلت أمة لعنت أختها »[1] . فكل فرقة تدعى أن طريقها هو الصواب وغيره هو الخطأ .

٤ - ومن بدعهم كتابة الأحجبة والتعاويذ ، ويأليتها بالمأثورات الإسلامية ، ولكن قد يكتب فيها أسماء الجن والأصنام ، وقد تبرأ الأئمة من ادعاء العصمة ، وقال أبو زيد البسطامى : ( لو نظرتم إلى رجل أعطى

(١) سورة الأعراف ، الآية ٣٨

من الكرامات حتى طار فى الهواء أو مشى على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا إليه عند الأوامر والنواهى والحدود الشرعية ) ، ومثل ذلك قال أبو القاسم الجنيد .

٥ – ومن بدعهم الرقص والتصفيق والصفارة والتهريج ، وقولهم : العبرة بالقلوب ، وقولهم : ( بيض قلبك وامش فى ظلها ) ، وقولهم : ( إذا زادت المحبة سقطت شروط الكلفة والأدب ) ، ويزعمون أن المتصوف يمكنه أن يصل إلى حالة يصل فيها إلى الله فيسقط عنه التكليف ، مع أن الله قال لرسوله صلى الله عليه وسلم : « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين »[1] أى الموت ، وقال عن عيسى عليه السلام : « وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً »[2] ، فكأنهم يزعمون أنهم أعلى شأناً من الرسل .

ولقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ذات يوم فى سفر يرفعون أصواتهم بالذكر فقال : ( أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ولكن تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم ) ، وفى رواية : ( هو أقرب إليكم من أعناق رواحلكم ) ، مع أن السنة الذكر فى خفاء والانفراد فيه عن الخلق ( خير الذكر الخفى ) . وفى القرآن : « واذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين »[3] .

٦ – ومن بدعهم قولهم : ( يجب على المريد أن يكون بين يدى شيخه كالميت بين يدى المغسل يوجهه كيف يشاء ، وفى هذا إلغاء الشخصية ، مع أن سيد الخلق صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصحابة المناقشة ويقول : ( سلونى ما شئتم فإنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم ) .

وقال تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[4] .

(١) سورة الحجر ، الآية ٩٩ (٢) سورة مريم ، الآية ٣١
(٣) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٥ (٤) سورة الأنبياء ، الآية ٧



٧ – ومن بدعهم وضع السبحة فى العنق وحملها فى اليد من غير ذكر ، بل لمجرد الشهرة ولفت الأنظار .

٨ – ومن بدعهم لبس المرقعات والملونات والعمائم الحمراء والخضراء والسوداء ، إلى آخر ما يصنعون ، وما هذه إلا عينات مما يصنعون .

٩ – ومن بدعهم الطواف فى البلاد على المريدين لا باسم التعليم والإرشاد لأمور الدين ولكن لجمع تبرعات وفرض أتاوات ترهق الناس ، موهمين البسطاء أن الامتناع عن الدفع سيعرض المنزل كله للخراب ( خراب الديار وقصف الأعمار ) ومثلهم فى ذلك مشهور : ( قطع الوريد ولا قطع العوايد ) أى أن قطع الوريد والتعرض للموت أهون من قطع العادة فى الدفع للمعلوم .

١٠ – ومن مصائبهم تفضيل أوراد المشايخ عن كتاب الله ، فتراهم يحفظون الورد مع طوله وعرضه جيداً من كثرة تكراره ، ومعظمهم لا يحسن حفظ سورة من قصار السور ، وبهذا أقصى أنواع الحرمان والخذلان ، فإيثار أى كلام على كلام الله شقاء وتعاسة .

١١ – ومن شركهم أوامرهم لمريديهم أن يلاحظوا مشايخهم فى أثناء الذكر ، وأن يكون مغمض العين ولكن قلبه لابد أن يلاحظ صورة شيخه ليستمد منه المدد ومن رجال السلسلة كلهم والأقطاب والأوتاد والخلفاء والنقباء ، وقد سمعت بنفسى رغم أننى من المهرجين الصاخبين فى مولد الرفاعى وهم ينشدون ويذكرون بأصوات ليس فيها أسماء ولا ضمائر ، إنما هى مجرد حناجر مبحوحة تخرج الفحيح ضبحاً ، ثم تسمع من المنشد يضرع إلى من تخيلهم أولياء ويعدهم بالاسم ما بين ذكور وإناث ، ويطلب منهم فى ذلة وخشوع وميوعة واهتزاز ما لا يطلب إلا من الواحد القهار وحده سبحانه ، بل دمى قلبى بعد نفاد دمع عينى حينما سمعتهم يقلدون فى

أناشيدهم صوت المطربات فى حلبة الرقص بالموسيقى التوقيعية ، وهنا تهيج الأصوات وتثور الغرائز ويتمايل الراقصون أماماً وخلفاً وعن اليمين والشمال ، وخلفهم وأمامهم النساء يزغردن ويرقصن ويصفقن مشجعات مدغدغات لهذه الشهوات ، ووالله لقد منعوا النوم من الحى كله بصخبهم وضجيجهم حتى بعد الفجر ، وصدق من قال فى أمثالهم :

ويذبحون النبح كالكلاب  طريقهم ليس على الصواب
وليس فيهم من فتى مطيع  فلعنة الله على الجميع

ولو أنهم قضوا عشر هذا الوقت الصاخب فى تلاوة كتاب الله أو قيام الليل ، أو تعلم أحكام دينه ، أو ذكر سليم خاشع ، لكان خيراً لهم وأهدى سبيلا ، ولما كانوا عنواناً سيئاً لهذا الإسلام الحائر بين ظلم أعدائه وضلالة أدعيائه « ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً »[1] .

## كلمة فى اللحية لمن سألوا كثيراً عنها

ثبت فى الصحيح حديث : ( قصوا الشارب واعفوا اللحى )[2] . وفى رواية : ( أحفوا الشارب وأوفوا اللحى )[3] . وفى رواية : ( جزوا الشوارب وأرخوا اللحى )[4] .

معنى ذلك أن الشارب يصح تقصيره بالقص أو حلقه بالموس أو الماكينة ، أما اللحية فيجب إعفاؤها وإيفاؤها وإرخاؤها ، بمعنى تركها على حالها حتى تطول .

وروى الترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من لحيته من عرضها وطولها . وروى أبو داود والنسائى أن ابن عمر كان يقطع ما زاد عن الكف . وفى رواية :

(١) سورة النساء ، الآية ٨٨

(٢ ، ٣ ، ٤) ورد بروايات مختلفة فى البخارى ومسلم والطحاوى .



أن ابن عمر كان يقبض على لحيته ثم يقص ما تحت القبضة .. وذكره البخارى تعليقاً .

واللحية هى من سنن الله وشعائر المسلم الذكر ، ميز الله بها الذكور دون الإناث لحكمة ، وهى تورث صاحبها الهيبة والوقار ، ولا يصح من مسلم اتهام مولاه بالعبث فى تخصيص الذكر بها ، فهذا كفر بالله وتمرد على الفطرة ، ولا يصح أن يعتبرها كشعر إبطه أو عانته فيحلقها ، وكانت عائشة رضى الله عنها تقول : ( سبحان من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب ) أى ضفائرهن ، والأمر فى إعفاء اللحية صريح وصحيح لم ينسخ ، وهو للوجوب ، ولم يصرفه صارف إلى الندب ، وكاذب من يترخص فيها ضعفاً منه أو جهلا ويقول : إنها عادة عربية لا عبادة ، وهذا كذب على رسول الله القائل : ( من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار )[1] .

وإذا كان التشبه من الرجال بالنساء يجلب لهم اللعنة لحديث : ( لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء )[2] فحلق اللحية أليس هو داخلا فى هذا الوعيد - إن مصيبتنا أننا اتبعنا سنن من قبلنا من اليهود والنصارى والفرنجة ، شأن الضعيف دائماً فى تقليد القوى ، ثم ذهبنا نلتمس مبررات لهذا التقليد بدل أن نعود لديننا ونستقل بشخصيتنا ونعتز بكرامتنا ولا نكون إمعة ، وكثيراً ما نسمع : ( هل فرغنا من كل شىء ولم يبق إلا اللحية ) كما هو دأبهم أمام كل ناصح أمين - هدى الله الجميع إلى الصواب ، وتاب عليهم من التحلل والانحراف .

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( خمس من الفطرة : الختان ، والاستحداد ، وحلق العانة ، وقص الأظافر ، وتوفير اللحية ) أخرجه

(١) رواه مسلم وغيره .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والطبرانى .

البخارى ومسلم وغيرهما بأسانيد مختلفة ، أما الشارب ففيه لفظ ( قصوا الشارب ) وهناك ( جزوا الشارب ) وهناك ( أحفوا الشارب ) . ومعنى هذا أنه يحرم حلق اللحية ، وهناك حد لإعفاء اللحية ، وقد بينه صحابى جليل وهو عبد الله بن عمر حيث كان يقبض على لحيته وما زاد كان يجذه بحيث لا تزيد على القبضة . والإمام مالك قال : ( حلق ما تحت الحنك ليس بمكروه والأخذ من طولها وعرضها إذا زادت عن القبضة ليس بمكروه ، أما حلق العنفقة فهو حرام ، وهو الشعر المجتمع تحت الشفة السفلى ) . وهذا إجماع الأئمة الأربعة ، أما الخد إذا أخذ شعره فلا كراهة ، أما شعر الأنف فيندب أخذه ، أما تقصير اللحية عن القبضة فمعرض للحرمة .

أما من حيث الحكمة فإن الله تبارك وتعالى قد خص الرجال باللحى ، وكانت السيدة عائشة إذا اجتهدت فى اليمين قالت : ( وحق من زين الرجال باللحى والنساء بالذوائب ) وهى ضفائر الشعر . والواقع أن هناك شعوراً مشتركة وشعوراً خاصة ، حتى قص الأظافر مشترك بين الذكر والأنثى ، وشعر الإبط والعانة مشترك بين الذكر والأنثى ، ولكن المرأة ليس فى بدنها شعر ، والذكر هناك فى بدنه شعر ، وسواء كانت اللحية تمنع بعض نزلات البرد كما يقول البعض أو لا تمنع ، فنحن لا نتلمس الفوائد الصحية لتنفيذ أوامر الله ، ولكنها الطاعة التامة المجردة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وهناك من يظن أن كلمة العفو بمعنى التشكر والثناء ، ولكنها وردت فى القرآن بمعنى التجاوز والصفح فى قوله تعالى : « فاعفوا واصفحوا »[1] ووردت بمعنى الكثرة فى « يسألونك ماذا ينفقون قل العفو »[2] . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( أعفوا اللحية ) المقصود به إطالة اللحية وتوفيرها .

(١) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٩



وقد قال بعض علماء الأثر : ( المهيبة فى اللحية والعمامة ) ، وهذا صحيح ، لأن الإنسان حتى إن كان إيمانه لم ينضج بعد فمجرد توفير اللحية يحدث عنده خجل طبيعى وحياء ، وهما وإن بدءا صناعياً إلا أنهما ينتهيان إلى الحقيقة . والحديث يقول : ( إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم )[1] .

نرجع ثانية إلى قول رسول الله : ( أحفوا الشارب واعفوا اللحية ولا تتشبهوا بالمجوس ) . والأمر هنا بالوجوب ، وهناك من يعفى الجزء الأسفل من اللحية فقط ، وهذا ليس بصحيح ، لأن اللحية هى مجموع العارضين مع الذقن ، ولا يعارض فى توفير اللحية إلا صاحب غرض أو صاحب شهوة تماماً ، كما فى إقامة الحدود ، فالشريف لا يهمه تطبيق قطع يد السارق مثلا لأنه ليس لديه مصلحة فى منعه ، ولكن الذى له مصلحة هو الذى يعارض ، لأنه ملوث ويخشى على نفسه ، والقرآن يقول : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيماً »[2] . والشهوات كثيرة ، منها : شهوة السمع ، وشهوة المال ، وشهوة الشهرة .

والمعارضين لهذه المناهج التى أقولها ، مثلهم مثل قوم لوط الذين قالوا : « أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون »[3] . والعجيب أن الطهر أفضل مما هم عليه بحكم الفطرة السليمة ، ولكنهم اجتمعوا على الكفر والفساد فأصبحت الطهارة لديهم شيئاً مستهجناً وإن كان فاضلا . كذلك ارتداء العمائم والعذبة واللحية ، فإن الناس تقول عنها إنها من المشيخة فى هذه الأيام ، ولكنه الشيطان يلبس علينا ديننا بالرغم من اعتراف الجميع بالفضيلة ، وأنها من أحسن السبل لرقى الفرد والجماعة – بل إن فى سورة يوسف مثلا حياً حيث أن الساقى وخباز الملك حين دخلا السجن مع سيدنا

(١) رواه الطبرانى . (٢) سورة النساء ، الآية ٢٧

(٣) سورة النمل ، الآية ٥٦

يوسف ورأيا الرؤيا قالا : « نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين » قالوا : نراك من المحسنين ، بالرغم من أنهم مجرمون . وهذه سنة الله ، إنه مهما جاب الإنسان أقطار الأرض وعاث فيها فساداً فسيأتى عليه يوم يكون فيه محتاجاً للصالحين ودعائهم ، وقد عرفوا صلاحه من لحيته وتوحيده وعفته ونصحه لهم بالتزام الخير وترك الشر ، بل هناك مثل آخر : إنه لو فرض أن هناك ثلاثة ممن يجتمعون فى المعاصى ويعيشون الفساد وأحدهم له أخت تقدم لها خطيبان : أحدهما من أهل الاستقامة ، والثانى من الاثنين الذين يلتقيان معاً فى المعاصى ، فأيهم يزوج أخته ؟ لا شك أنه وأهله سيؤثرون الصالح . معنى هذا أن المجرم إذا ما جد الجد رجع إلى رشده حتى لا يهلك. فصاحب اللحية وصاحب العمامة وصاحب العذبة المتمسك بكل القيم الفاضلة شرعاً وديناً قطعاً له الهيبة ، وهناك من يقول إنها عادة عربية ، وهناك من يقول إنها عادة قومية . وعلى فرض أنها عادات عربية وقومية فلم لا نحرص على اتباع نبينا صلى الله عليه وسلم وهو رأس العرب والمسلمين .

وقد كان رسول الله كلما عمم إنساناً أرخى طرف عمامته بين كتفيه ، والقرآن يقول : « يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين »[1] ، وكلمة « مسومين » معناها معممين بعمائم أرخوها خلف أكتافهم ، لأن الملائكة نزلوا يوم بدر على سيما الصحابة الموجودين معممين ومرخين للعذبة بين الكتفين ، وهذا هو دليل القرآن .

أما بداية هذه السُّنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى ذلك اليوم الذى تأخر فيه رسول الله عن صلاة الصبح حتى كاد قرن الشمس أن يظهر ، فخرج مسرعاً وثوب بالصلاة ، وبعدها قال للصحابة رضوان الله عليهم : ( مكانكم ، أتدرون ما الذى أخرنى عنكم اليوم ؟ قمت الليلة

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٢٥



فصليت ما شاء الله لى ثم غلبتنى عيناى فنعست فرأيت رب العزة فى أبهى صورة ، وقال لى : يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ فقلت : أنت أعلم يا رب ثلاثاً ، فوضع الرب يده بين كتفى فأحسست بردها بين ثدىّ ، فأورثنى بها علم الأولين والآخرين ، وعرفت ما بين السماء والأرض ، وأدركت كل شىء ، وسألنى بعدها : أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : أدرى . قال : فيم يختصمون ؟ قلت : فى الكفارات والدرجات . قال : فما الكفارات ؟ قلت : إسباغ الوضوء فى السبرات ، ونقل الأقدام إلى الجماعات ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة . قال : فما الدرجات ؟ قلت : إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام ، ومن حافظ عليها عاش بخير ومات بخير وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه . قال : يا محمد ، أفلحت فادع . قلت : يا رب علمنى . قال : إذا صليت فقل : اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب علىّ . وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون. وأسألك حبك وحب من يحبك ، وحب عمل يقربنى إلى حبك ، واجعل حبك أحب إلى من الماء البارد . ثم قال النبى لمن يستمعون له فى المسجد فتعلموا هذه الكلمات وادرسوها فإنها حق أمرنى الله بها ) .

وقال الإمام ابن القيم الجوزية : سألت عنه الإمام محمد بن سعيد البخارى ، فقال حديث صحيح . وقال : فلما أصبح الرسول علم أن السبب فى نجاحه فى إجابته على سؤال ربه وأنه ورث العلم كله أن رب العزة وضع يده على كتفه من الخلف ، وذلك من غير مثال ولا كيفية فتسجيلا للرؤيا وتسجيلا لما أدركه ، أثناء الرؤيا وضع العذبة مكان وضع الرب سبحانه يده على كتفه فى أثناء الرؤيا الشريفة العظيمة من غير مثال ولا كيفية ، تسجيلا لما أدركه فى أثناء الرؤيا الكريمة واستمرت سُنَّة إلى يومنا هذا — وهذا رأى الإمام ابن القيم الجوزية .

## انكار السنة

وهناك فتنة من نوع جديد ، ألا وهى أنك تفاجأ بمن يقول لك : لا تقل لى قال رسول الله ولكن قل لى قال الله ، فإن الأحاديث لا ثقة لى فيها ، لأن كثيراً منها ليس من الدين ، هذا علاجه أن تطلعه على حقيقة القرآن والسنة ، وأن القرآن هو القانون وأن المذكرة التفسيرية له هى السنة ، وأن الذين عملوا فى حقل الحديث تحروا الدقة وكانوا فى منتهى الحذر ، حتى أنهم قسموا الحديث إلى درجات فى المتن والإسناد ، حتى قسموه إلى عشرات من أنواع الحديث ، وهناك الكتب الستة وهى عماد الحديث ، وهى : البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأبو داوود . وهناك محدثون كثيرون ثقة .

وإذا كان الذى يؤمن بآيات القرآن فقط ولا يؤمن بالحديث لأنه شاك فيه يصلى ، فلم يصلى المغرب مثلا ثلاث ركعات مع أنه لم يرد فى القرآن ما يفيد عدد الركعات فى كل فرض ولا شكل هذه الصلاة من ركوع وسجود — فهذه فتنة ، لأننا إن أهدرنا الحديث ضاع الدين ، وها أنت ذا تصلى بموجب الحديث ، لأن القرآن قال : ( أقيموا الصلاة ) فقط ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (صلوا كما رأيتمونى أصلى )[1] فلابد أن نتقبل سنة الرسول القولية والفعلية والحالية — أى ما قاله وما فعله وما كان عليه حاله .

فالسنة هى المصدر الثانى بعد كتاب الله ، وأى إنسان يهدرها أو يسقطها من حسابه فليس بمسلم ويعيش كافراً ويلقى الله كافراً ؟ وقد تنبأ

(١) أخرجه البخارى فى الأدب المفرد .



الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا فقال : ( يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يأتيه الأمر من أمرى فيقول ما نجد هذا فى كتاب الله ، ألا إنى أوتيت القرآن ومثله معه )[1]. فمعنى كلمة « ومثله » هى السنة . وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز لأمهات المؤمنين : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »[2] ، فكلمة « الحكمة » هى السنة ، فها هو الله سبحانه وتعالى يحث على ذكر السنة ونشرها ، والمنكر للسنة منكر للقرآن ، لأن السنة هى التطبيق العملى والممارسة العملية .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( خذوا عنى مناسككم ) ، فإذا ما أهدرنا السنة فلن تكون لنا صلاة ولا أذان ولا ركوع ولا سجود ولا قراءة فاتحة ولا تشهد ، إلى آخر ذلك من أركان الصلاة وسننها . كذلك فلن نعرف الزكاة ولا النصاب ولا أنواع الزكاة . كذلك لن نعلم مبطلات الصيام ولا المباحات فيه . ولن نعلم فى الحج كم من الأشواط نطوف حول الكعبة ، ولا كم مرة نسعى بين الصفا والمروة ، ولا ما هى حدود عرفة ومنى ومزدلفة ، ولا حتى عدد الجمار . كل المطلوب فى الحديث أن يكون صحيحاً صريحاً ، فإذا تم ذلك وجب قبوله ، ونحن نؤمن بأن هناك أحاديث مدسوسة ولكن المحققين كشفوها .

### حكم الخمر فى كتاب الله

ننتقل بعد ذلك إلى سؤال يطرحه الشباب هو : هل الخمر حرام وأين ذلك فى كتاب الله وسنة نبيه ؟ نقول فى ذلك : إن القرآن قال عنها : ما هو أبشع من أنها حرام والرسول عليه الصلاة والسلام قال : ( من شرب كأساً من خمر سقاه الله من عصارة أهل النار يوم القيامة )[3] والله سبحانه

(١) سبق تخريجه .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية ٣٤
(٣) روى ومسلم والنسائى قريبا منه .

وتعالى قرن الخمر مع عبادة الأصنام ومع القمار والأزلام ، وقال : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »[1] . والرجس هو أشد أنواع النجاسة والحرام . ولو سرنا على منوال السائل لكان كثير من الكبائر المحرمة بإجماع المسلمين مباحاً بحجة أن الله لم يعبر عنها بلفظ حرام ، فقد نهى الإسلام فى القرآن والسنة عن أشياء كثيرة محرمة بلفظ لا الناهية .

وهنا يأتى دور العالم حيث يبين للسائل أن الحرمة لها جملة تعبيرات وأساليب فى القرآن عبرت عن الحرام بأساليب مختلفة . وأنت لا بد أن تتلقى أوامر الله فى القرآن والسنة معاً . والزنا وشرب الخمر من الكبائر السبعة التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه : ( اجتنبوا الكبائر السبع : الزنا بالمحصنات والربا وقذف المحصنات وشرب الخمر والسحر والإشراك بالله وعقوق الوالدين ) .

وقد عد ابن حجر الكبائر أربعمائة وسبعين كبيرة فى كتابه المسمى بالزواجر عن ارتكاب الكبائر ، ولا يصح لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعتقد أن الخمر وقد حرمها الإسلام هذا التحريم ، واعتبرها أم الخبائث وأم الكبائر ، أنها يجوز الاستشفاء بها والاستدفاء فى المناطق الباردة ، فالنصوص الإسلامية قاطعة فى تحريمها والزجر عنها بعامة . وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن العلاج بالخمر فقال : ( إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها )[2] . وهناك مائة وسيلة ووسيلة للاستشفاء والدفء ، والمؤمن الصادق فى إيمانه لا يستحل حرمات الله بمثل التهاون فى هذه المسائل .

وقد ظهر من أفتى الناس بجواز تعاطيها للمريض ، وهذا باب

(١) سورة المائدة ، الآية ٩٠

(٢) رواه البخارى عن ابن مسعود والبيهقى وابن حبان عن أم سلمة .



لو فتحناه بهذه الفتوى المتساهلة والمجاملة على حساب الدين والنصوص القاطعة لادعى كثير من مدمنيها أنهم مرضى وفى حاجة إلى تعاطيها للعلاج فالفتوى سنة سيئة على من أفتى بها وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة لأنه لا اجتهاد مع النص ولا قياس . وإذا كان الفقهاء أباحوا إطفاء الحريق بها وإزالة الغصة المفضية إلى الموت عند عدم وجود ما يزيلها سواها ، فهذا شىء أبعد ما يكون عن التعاطى المعتاد المحرم ، وإنما هو كما سبق أن قلنا ( من باب الضرورات تبيح المحظورات ) فليس هو شرباً لها ولا تداوياً بها ولا استدفاءً . وليعلم أن من جملة من لعنهم الله المستحل حرمة الله كما ورد فى حديث أحمد عن عائشة ، واليهود هم الذين تحايلوا على استحلال المحرمات بالحيلة ، فاستحقوا لعنة الله .

* * *

# الولى والولاية

السؤال الذى طالما يطرح أمامنا : ما هى حدود الولاية ، ومن هو الولى ، وما هى الكرامة ؟

أما كلمة من هو الولى : فإنه من آمن بالله واتقى ، ولما كان الإيمان والتقوى درجات كانت الولاية تختلف باختلاف عمل صاحبها ، والله يقول: «ولكل درجات مما عملوا»[1]. ودليل أن الولى هو من آمن واتقى هو قوله تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون »[2] . ولا يشترط فى الولى كرامة وإنما يشترط فيه الاستقامة ، وهناك فرق بين الكرامة والاستقامة ، بل كلما زادت الولاية كلما ستر الله كرامات صاحبها حتى لا يفتتن بنفسه أو يفتتن به الناس ، وهناك لله أولياء مستورون عن الناس ، بل هناك أولياء ستروا عن أنفسهم ، حتى أن أبا بكر إذا حسبت كراماته من يوم أن أسلم إلى أن مات فلن تجد له عشر معشار ما ينسبه الضالون إلى المجهولين ، إذ لا يشترط فى الولى كرامة . والعلماء قالوا إن الولى الحقيق يستحى من ظهور الكرامة كما تستحى البنت من ظهور حيضها .

ولابد أن تعلموا أنه لا يوجد فى الدنيا ولى حقيقى تهدر على يده أوامر الشرع ، فلا بد لشرع الله أن يحترم ، وليس هناك دين فى الباطن ودين فى الظاهر ، ومن يقول هذا فهو يتهم الله ورسوله .

إذن الخلاصة أن الولى من جمع بين الإيمان والتقوى ، ولا يشترط فيه الكرامة ، بل يشترط فيه الاستقامة ، وقد تقع منه المعصية ، ولكن

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٣٢ (٢) سورة يونس ، الآية ٦٢



نستحيل فى حقه استمرار المعصية ، والفرق بينه وبين النبى أن النبى معصوم والولى محفوظ ، ولا يحق لنا أن نطلق كلمة الولاية على أحد إلا ببرهان من الله .

ومعنى كلمة « ولى » أن الله تولاه بالتوفيق لتوليه هو أوامر الله بالعمل والتنفيذ . إذن الولاية متبادلة ، فمن لا يتولى الله فإن الله لا يتولاه ، ومن لم يرض عن الله لا يرضى الله عنه ، أى لا يرضى عن شرائع الله فلا يرضى الله عنه . وهناك فرق بين الولاية والأولياء . وكل مؤمن متق له حظ من الولاية على قدر إيمانه وتقواه .

ولما كانت أسرار الناس بينهم وبين الله ولا نعلم حقيقتها ، فلنـدع هذا الأمر ليتولاه هو ، فنقبل الظاهر ونكل السرائر لله ، فلا نقرر أن فلاناً ولىّ ، ولكن يمكن أن نقول أحسبه عند الله صالحاً ، ولا نزكى على الله أحداً ، لأن أى إنسان مهما كان تقياً نقياً لا تستطيع أن تجزم أنت بما مات عليه ، بدليل أن أم حارثة وقد استشهد ابنها قالت وهى تقلب جثته وتصبر قلبها المحترق : هنيئاً لك عصفور من عصافير الجنة ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذه المتألية على الله ؟ فقيل : أمه ، فقال : يا أم حارثة ، والله إنى لأرجو لابنك الخير ، ولكن أنا رسول الله ولا أدرى ما يفعل الله بى ، ثم قال : لعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يمنع ما لا ينفعه ، وفى ذلك يقول تعالى : « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى »[1] . وقيل مرة لابن عمر : ما دمت حياً فالإسلام بخير ، فقال : ويلك يا هذا ، أتدرى علام أغلق باب بيتى ، فلا يصح منا أن نقول إن فلاناً ولىّ إلا بنص قرآنى أو بحديث لرسول الله ، مثل السيدة مريم ومؤمن آل فرعون

(١) سورة الأحقاف ، الآية ٩

وأصحاب الكهف والحسن والحسين ، أما غير ذلك فيعتبر تألياً على الله . والوصف بالولاية شيء والاستعانة بها من دون الله شيء آخر ، فهذا شرك كما سبق ، بل رسل الله – وهم أشرف الخلق – لا يصح الاستعانة بهم رغبة أو رهبة .

## حكم الكهان والعرافين والمنجمين

كلنا يعلم أن الكهانة من ألعن الأضرار فى الإسلام ، وهى ادعاء معرفة الغيب ، ويدعى الكاهن أنه يعبد الله ، وكذب ، وصدق الله حين قال للملائكة : « أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون »[1]. فهؤلاء إنما يسخرون الجن لمعرفة بعض الأشياء التى يحسبها الجاهلون كشفاً للغيب ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من أتى كاهناً وسأله عن شيء ولم يصدقه لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً ، فإن سأله وصدقه كفر بما أنزل على محمد )[2]. ويدخل فى ذلك ما شاع الآن وذاع حتى بين طبقات المثقفين وهو الشغف الشديد بمحاولة معرفة الغيب المحجوب عند علام الغيوب بالاطلاع يومياً على ما يسمونه فى الصحف بمعرفة الطالع تحت عنوان ( أنت والنجوم ) أو ( حظك اليوم ) إلى آخر هذه المغريات التى يفتن بها الكثير « ويحسبون أنهم على شيء ، ألا انهم هم الكاذبون ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون »[3] .

---

(١) سورة سبأ ، الآية ٤١

(٢) شطره الأول رواه مسلم ، والثانى من رواية أبى داود والترمذى والنسائى وابن ماجه والبزار .

(٣) سورة المجادلة ، الآية ١٩



ومن البديهيات أن الأبراج التى يحددونها للطالع حسب تاريخ الميلاد يشترك فى كل برج منها الملايين . ويقطع العقل والواقع أنهم مختلفون فى حظوظهم وطبائعهم وأرزاقهم وأعمالهم ومصائرهم ، فقد يتزوج بعضهم فى الوقت الذى يموت فيه البعض الآخر ، وقد يسر بعضهم فى الوقت الذى يصاب فيه الآخر ، وهكذا كما خالف بين الألوان والأصوات فقد خالف بين الأرزاق والأخلاق ، حتى بين الأشقاء والتوائم ، وهناك من يخدعون الناس بحساب الجمل وهو ترتيب الحروف الأبجدية على هذا النحو ( أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ ) ، ويضعون لكل حرف منها رقماً معيناً ، فالألف ١ والباء ٢ والجيم ٣ والدال ٤ إلى حرف الغين الأخير فهو ١٠٠٠ ويحسبون أرقام من يأتونهم حسب حروف أسمائهم وأسماء أمهاتهم وما مضى من الشهر ثم يقسمون المجموع على رقم ١٢ ، فإذا كان الحاصل كذا كان عنصره نارياً أو ترابياً أو هوائياً أو مائياً ، إلى آخر ما يوهمون به السذج من خداع القول .

ومثلهم من يتعاطون معرفة الحظ بالنظر فى الكف ويدعون أنه علم كامل ، ومثله فتح الكوتشينة وضرب الودع والتخطيط فى الرمل والنظر فى الفنجان ، فكل ذلك وأشباهه من تلبيس إبليس على الناس . وإذا كان سيد الخلق صلى الله عليه وسلم يقول الله له آمراً إبلاغ أمته : « قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء »[1] . وقال : « قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم »[2]. فكيف بهؤلاء المدعين الآكلين لأموال الناس بالباطل ، وفى سورة الجن يعترف الجن أنفسهم بما حكاه الله عنهم بقوله تعالى : « وإنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٨٨ (٢) سورة الأحقاف ، الآية ٩

بهم ربهم رشداً »[1] ، وقال عنهم : « وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً »[2] ، وفى آخر السورة قال سبحانه : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً »[3] الآيات . وصدق الله العظيم : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله »[4] .

## هل قام الإسلام بالسيف ؟

الشبهة فى هذا الموضوع أنك ترى بعض الخطباء يقومون للخطابة على المنابر وفى أيديهم سيف من خشب غالباً ، فإذا سألت الواحد منهم عن السبب يقول لك إن هذه إشارة أن الإسلام قام بالسيف وأنه دين القوة .

أيها الإخوة الفضلاء ، إن الإسلام لم ينتصر بالسيف وإنما انتصر على السيف ، بل إنه هو الذى منع السيف ، والقرآن يكرر دائماً ألفاظ السلام : « ادخلوا فى السلم كافة »[5] . « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله »[6] . والله سمانا المسلمين رمز للسلم والسلام ، ومن أسماء الجنة ( دار السلام ) ولكن كل ما هو مطلوب منا هو الدفاع عن النفس وعن الدين والعرض والمال والذرية .

وقد يطرح علينا سؤال هو : من أين جاءت فكرة أن الإسلام قام بالسيف ؟

الرد على هذا السؤال سهل جداً ، فإننا إذا نظرنا إلى بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمنا السنين والأيام فسنجد أن الأعوام المكية الثلاثة عشر الأولى لم يحدث أن رفع الإسلام عصاً أو سيفاً ، بل كان كل من ينتمى للإسلام يهان ويضرب ويؤذى دون أن يرد أحد منهم إذعاناً لأمر

(١) سورة الجن ، الآية ١٠ (٢) سورة الجن ، الآية ٦
(٣) سورة الجن ، الآية ٢٦ (٤) سورة النمل ، الآية ٦٥
(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٠٨ (٦) سورة الأنفال ، الآية ٦١



السماء : « فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره »[1] . وكلنا طبعاً يعلم مدى ما تعرض له بلال وعمار بن ياسر وعائلته وغيرهم ممن أوذوا فى أنفسهم وأموالهم ومن هاجروا إلى الحبشة وتركوا ديارهم وهاجروا إلى المدينة أيضاً تاركين أموالهم وأهليهم . فلما ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون إلى المدينة كان هناك مبرر للسيف ، وذلك من خلال تسعة وعشرين غزوة وثلثمائة سرية ، وكانت هذه الغزوات والسرايا كلها إما للدفاع عن النفس ، وإما لنكث العهد ، وإما لرد الفتنة عمن آمنوا ؛ فلو حللنا أية غزوة من الغزوات نجد سببها لا يخرج عن هذه الأهداف الثلاثة .

فمثلا بالنسبة للغزوة الأولى وهى بدر نجد أن الصحابة تركوا أموالهم فى مكة قسراً وأهليهم قسراً وديارهم قسراً . فأول آية فى السماح بالحرب كانت : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله »[2] . أما لماذا أذن الله بالقتال فقد أجاب الله عن ذلك فى آية : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً »[3] ، كأن الله يقول : إن الإسلام لو ركن إلى الاستكانة والضعف فلن تقوم له قائمة ولن يبقى معبد لله فى الأرض ، فلابد أن نسلح المؤمن الذى لم يعتد بقوة ، وأن نأذن له فى القتال طالما أنه غير معتد ، ودليل ذلك آية سورة البقرة : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »[4] . فأذن الله فى القتال ضد من يقاتل الإسلام ، والآية الثانية تقول : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى

(١) سورة البقرة ، الآية ١٠٩ (٢) سورة الحج ، الآية ٤٠
(٣) سورة الحج ، الآية ٤٠ (٤) سورة البقرة ، الآية ١٩٠

عليكم »[1]. وذات مرة اتهم الكفار المسلمين بأنهم قتلوا أفراداً منهم فى الشهر الحرام ، وكان ذلك فى خلال إحدى السرايا ، وكان شهر جمادى ٢٩ يوماً ، وظن المسلمون أنه ثلاثون ، فوقعوا رغماً عنهم فى هذا الخطأ مما أدى إلى أن كفار قريش نددوا بهذه العملية ، فنزل قوله تعالى يبين مدى جرم هؤلاء الكفار بقوله : « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله »[2]. إذ القتال فى الشهر الحرام ذنب كبير عند الله ، ولكن إخراج المسلمين من المسجد الحرام أكبر عند الله ، وفتنة المسلمين أكبر كذلك .

وهناك رد أيضاً منا على هذا الاتهام هو إذا كان الإسلام قد قام بالقوة ، فلماذا بقى الإسلام بعد زوال هذه القوة ، بل إننا نجد حتى الآن المئات والألوف يدخلون فى الإسلام من أفريقيا وأوربا وآسيا وأمريكا وغيرها ... إذن هذا معناه أن الإسلام دين العقل ، وهو الدين الملائم للفطرة ، وأن ما قام من حروب فى الصدر الأول للإسلام إنما كان كما ذكرنا لإحدى ثلاث : إما للدفاع عن النفس ، وإما لنكث العهد ، وإما لرد العدوان .

* * *

(١) سورة البقرة ، الآية ١٩٠ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٧

## حول القرآن العظيم

لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى ألف القرآن لكان من الحكمة أن ينسبه لنفسه لا لغيره خاصة ، وأنه أعجز العرب ، وكان ذلك أجدر بأن يحظى بالشهرة كلها ، بل إن القرآن جاء فى بعض آياته تهديد للرسول صلى الله عليه وسلم ، فهل هناك من ألف كتاباً وهدد نفسه فيه ، حيث يقول الله فى سورة الحاقة : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين »[1]. وقال : « لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين »[2]. وقال : « عبس وتولى ، أن جاءه الأعمى »[3]. وقال : « تخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه »[4]. وقال : « قل يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون »[5]. فكلمة « قل » هنا معناها أن هناك أحداً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له « قل » .

الدليل الثانى على أن القرآن من عند الله هو إعجازه العلمى ، فقد ثبت أن القرآن لم ينبىء عن شىء فى الإنسان والنبات والحيوان والأخلاق والطبيعة أو أى شىء إلا ووجد مطابقاً لما تم اكتشافه أو اختراعه أو رؤيته على مر الأزمان ، وحتى الآن لم يستطع الشرق ولا الغرب أن يثبت أن هناك كذباً فى القرآن ، فمثلا فى أول البعثة قال الله : « ولسوف يعطيك ربك فترضى »[6]. وفعلا هذا ما تم بعد ذلك ، وقال القرآن : « غلبت

(١) سورة الحاقة ، الآيات ٤٤ - ٤٧ (٢) سورة الزمر ، الآية ٦٥
(٣) سورة عبس ، الآيتان ١ و ٢ (٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧
(٥) سورة الكافرون ، الآيتان ١ و ٢ (٦) سورة الضحى ، الآية ٥

الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين »[1]. وكلمة « البضع » هنا ، أى من ثلاثة إلى تسع سنين . وهذا ما تم فعلا ، وهو إعجاز لايمكن لبشر أن يتنبأ به . وقوله : « إنا كفيناك المستهزئين »[2]. وقد كان المستهزئون ستة أشخاص ، فبعد يومين كانوا جميعاً صرعى بأسباب مختلفة . وقال : « ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء »[3] .

وثبت علمياً أن الإنسان كلما صعد إلى أعلى كلما قل الأكسجين فحدث عنده ضيق فى الصدر وفى النفس ، ولهذا يستعين رواد الفضاء وطيارو الطائرات التى ترتفع ارتفاعات شاهقة بأنابيب الأكسجين حتى يمكن أن يتنفسوا فى طبقات الجو العليا . بل ذكر بعض العلماء والعهدة عليه أن القرآن نبأنا عن سرعة الضوء فى الثانية وهى ٣٠٠,٠٠٠ كيلو متر ، حيث يقول : « تعرج الملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة »[4]. وبما أن الملائكة من النور ، فلو قسنا سرعة الفرس وهى المقياس العالمى عند العرب فى الساعة وهى ستون كيلو متراً ، فلو ضربت هذه المسافة فى خمسين ألف سنة لوجدت أن الناتج هو بليوناً وخمسة آلاف وتسعمائة وعشرون مليون كيلو متراً ، والله يقول إن الملائكة تعرج إليه فى يوم ، وهذا اليوم يوازى خمسين ألف سنة من نظامنا العددى ، فلو حسبت سرعة الضوء فى يوم وهى ٣٠٠,٠٠٠ كيلو فى ٦٠ × ٦٠ × ٢٤ تجد أن الناتج يساوى ما سبق ذكره وهو بليونان وخمسة آلاف وتسعمائة وعشرون مليون كيلو متراً بالضبط . فهذه معادلة علمية غاية فى الدقة نبأ بها القرآن منذ ألف وربعمائة عام ، ونشرت منذ مدة طويلة بمجلة الأزهر الرسمية لأحد العلماء .

(٧) سورة الروم ، الآية ١ (٨) سورة الحجر ، الآية ٩٥
(١) سورة الأنعام ، الآية ١٢٥ (٢) سورة المعارج ، الآية ٤



ولا أدرى علام اعتمد الكاتب فى تحديد سرعة الفرس فى الساعة بستين كيلومتراً ، وتحديد أيام السنة بثلثمائة وستين يوماً . وعلى كل حال فالقرآن بعظمته وإعجازه غير متوقف على مثل هذه النظريات التى قد تصح أو لا تصح . ومعلوم أن البحث يبدأ دائماً بالملاحظة ثم بالتجربة ثم بالنظرية ثم تتحول النظرية أخيراً إلى حقيقة إذا أجمع عليها أهل الذكر . ومحال أن يتناقض كتاب الله مع أية حقيقة تثبت ثبوت النهار . أما ما دامت البحوث مجرد نظريات فنكبر القرآن أن نخضعه إلى مثل هذه الفروض « لامبدل لكلماته »[1].

## حول الطلاق وتعدد الزوجات

الطلاق فى الإسلام هو فك العصمة عند تعذر الحياة بين الزوجين ، وجعل الإسلام ذلك لايتم إلا على مراحل :

المرحلة الأولى : هى مرحلة الوعظ « واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن »[2] . والوعظ ليس بمجرد إلقاء الوعظ ، لا بل قد يستمر الوعظ يوماً أو يومين أو شهراً أو شهرين أو ثلاثة ، فإذا لم يجد الوعظ تنتقل إلى المرحلة الثانية ، وهى الهجر فى المضجع « واهجروهن فى المضاجع »[3] ، ولم يقل الله عن المضاجع ، أى أنه يكون الزوج مع زوجته تحت لحاف واحد ولكن عليه أن يهجرها ، فإذا لم يؤد بها الوعظ ولاالهجر فى المضجع إلى خير تنتقل إلى الضرب الخفيف الذى لا يكسر عظماً ولا يسيل دماً ، وهناك نوع من النساء لا ينفع معه إلا هذه المرحلة ، بل إنهن يحببن أزواجهن إذا ما ضربوهن لنوع من الشذوذ عندهن .

المرحلة الرابعة : وهى أن تنتقل بعد ذلك إلى المرحلة التى يتم فيها إدخال وسيط بين الزوجين « فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها »[4].

(١) سورة الكهف ، الآية ٢٧ (٢) سورة النساء ، الآية ٣٤
(٣) سورة النساء ، الآية ٣٤ (٤) سورة النساء ، الآية ٣٥

فإذا كان الحكام يريدون أن يصلحوا فسيوفق الله بين الزوجين ، حتى أن سيدنا عمر ضرب حكمين جاءا إليه وقالا له أنهما فشلا فى إصلاح زوجين متخاصمين ، وقال لهما أن لابد أن نيتكما كانت فاسدة ، لأن الله قال : « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما »[1] . وأرجعهما إلى الزوجين بنية جديدة ، فاستطاعا أن يصلحا بين الزوجين المتخاصمين .

فإن لم تفلح هذه المرحلة الرابعة حل إذن الطلاق ، وحدد الله الطلاق ولم يجعله دفعة واحدة ، فقال : « الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان »[2] . ويحرم شرعاً جمع الطلاق دفعة واحدة ، وجعل الله الطلقة الأولى يمكن بعدها رجعة ، والثانية يمكن بعدها رجعة ، أما بعد الثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، وهذا من شفقة الإسلام على الأسرة وعلى الأولاد بالذات .

قالت خولة بنت حكيم عن الأولاد الذين يطلق آباؤهم : إذا انضموا إلى أمهم ضاعوا ، وإذا انضموا إلى أبيهم جاعوا .

فالإسلام يضيق الخناق على من يريد الطلاق ، حتى أن الله خصص للطلاق سورة ، ولم يكرر الله كلمة « التقوى » فى آية سورة قدر ما كررها فى سورة الطلاق ، وذلك حتى يضبط الذى أراد الطلاق نفسه ، وقال : « إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة »[3] .

معنى هذا أنه على من أراد الطلاق أن يطلق فى طهر لم يمس زوجته فيه ، فإذا كانت حائضاً حرم الطلاق ، وإذا كانت على طهر ضاجعها فيه حرم عليه الطلاق حتى تحيض ثم تطهر وذلك حتى يتيقن من استبراء الرحم ، فإذا طلقها فلا تخرج من بيتها ويحرم عليه إخراجها ويحرم عليها

(١) سورة النساء ، الآية ٣٥ (٢) سورة البقرة ، الآية ٢٩٩
(٣) سورة الطلاق ، الآية ١



الخروج ، وعلى من خالف اللعنة ، إلا إذا أتت بفاحشة . ولو ماتت فى أثناء العدة يرثها ، ولو مات هو فى أثناء العدة ترثه هى ، فإن مالت نفسه لها خلال العدة صارا زوجين بالمراجعة ، فإن انقضت العدة ولم يتراجعا عما هما فيه يغنى الله كلا من سعته ويتفرقا - وهذه هى البينونة الصغرى - وعدة الحامل حتى تضع حملها ، وعدة المطلقة ثلاثة أطهار ، فإن أرادها بعد ذلك يدخل عليها بعقد ومهر جديدين ، فإن طلقها بعد ذلك بنفس الكيفية وأراد الرجوع ترجع أيضاً بعقد ومهر جديدين ، فإن طلقها الثالثة - وهذه هى البينونة الكبرى - فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره ، ولا تدوم العشرة الهانئة بينهما فيطلقها فتحل للزوج الأول إن أراد أن يخطبها بعد انقضاء عدتها من الثانى .

وهناك دول كان يحرم دينها الطلاق كما يزعمون ، ولكن للحاجة الملحة إليه أباحته هذه الدول كالإسلام ، وتيقنت أنه الدواء لمشاكلها ، مثل إيطاليا . فشريعة الإسلام فى إباحة الطلاق بآدابه وحدوده وقيوده تعتبر من أعدل الشرائع ، وذلك حتى لا يتحايل الناس على شريعة الله كما فى الملل الأخرى .

أما موضوع إباحة تعدد الزوجات :

فمن أسبابه إذا مرضت المرأة مرضاً يمنعها من مزاولة الحياة الجنسية ، وكان للزوج منها أولاد ، أو أن العشرة بينهما دائمة فى معروف ولكن لا بد لهذا الزوج من أن يقوم بالناموس الطبيعى ولا ينحرف عن التيار الصحيح والقوامة والأخلاق ، فصرح له الإسلام بالزواج من أخرى ، وقد تكون الزوجة عندها بغض للجنس ولا تريد أن تطلق ، وقد جعل الله قيداً على الزواج أيضاً حيث قال : « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة »[1] .

(١) سورة النساء ، الآية ٣

وهذا العدل يجب أن يكون مع الزوجات ومع الأولاد فى الإنفاق والكلمة بل والابتسامة ، ويكون الرجل قادر على الإنفاق بعدل ، وكذلك من ضمن أسباب التعدد تفوق أعداد النساء على أعداد الرجال نظراً لفناء الرجل فى الحروب كما حدث فى ألمانيا مثلا ، والرسول صلى الله عليه وسلم تنبأ بهذا حيث قال : ( لا تقوم الساعة حتى يقل الرجال وتكثر النساء فيكون لكل رجل واحد خمسون امرأة ) رواه البخارى .

## زواج الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من أربع

يقول بعض المعادين للإسلام : كيف يكون رسولكم إماماً للاقتداء به فى الزواج ، والله تعالى فرض على أمة المسلمين ألا يتزوجوا بأكثر من أربع ، ورسول هذه الأمة كان الأولى بأن يكون أول المنفذين ، فلم تزوج بأكثر من أربع ؟

والجواب على ذلك مهم جداً ويجب أن نناقشه بهدوء وإيجابية ، وقد سبق فى بدء الزواج شىء من هذا :

أولا : هل رب العزة حرم الزواج بأكثر من أربع فى أول البعثة المحمدية ، أم أن هذا تشريع جاء بعد مضى فترة من بداية البعثة ؟

من المعلوم أن الزواج بأكثر من أربع كان مباحاً قبل الإسلام ، فلما جاء الإسلام لم ينه عن ذلك فى بداية الأمر وذلك لوجود أمور أهم منه فى حياة الناس ، وذلك بدليل أن الاقتصار على أربع زوجات جاء فى سورة النساء ، وسورة النساء لم تنزل إلا فى السنة الثامنة من الهجرة كما سبق أن أشرنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم توفى فى أول السنة العاشرة من الهجرة ، وفى السنة الرابعة من الهجرة أنزل الله سورة الأحزاب ، وفيها : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك



حسنهن إلا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شىء رقيباً »[1] .

وهذا قيد على رسول الله قبل الناس أجمعين ، فمعنى هذا أنه لو ماتت هذه الزوجات جميعاً فلا يحل له الزواج من بعدهن ، ولا يحل له الاستبدال .

القيد الثانى : فى نفس السورة : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً »[2] . وهذا قيد على هؤلاء النسوة بالنسبة للأمة أنه لا يحل زواجهن بعد رسول الله طلاقاً أو وفاة ، فلما نزلت آية سورة النساء : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع »[3] اقتضت الحكمة الإلهية سلفاً ألا يطلق الرسول زوجاته ، لأنه لن ينكحهن أحد بعده ، وهذه خصوصية للرسول ولأمهات المؤمنين ، أضف إلى هذا أن هذه الآية نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ من العمر ٦٢ سنة ، ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام صاحب شهوة ما تزوج السيدة عائشة وهى بنت ٩ سنوات وهو يبلغ من العمر ٥٤ عاماً ، ولو كان صاحب شهوة لبرزت هذه الشهوة فى شبابه الذى اقتصر فيه على زوجة واحدة هى السيدة خديجة بنت خويلد وكانت ثيباً .

## القضاء والقدر

دائماً يتبادر سؤال إلى الذهن ، ويتساءل عنه الكثير جداً : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ هل الشقاء للشقى مكتوب عليه من الله ، أم هناك عناصر أخرى تتدخل فى هذا الشقاء ، ويبد من هذه العناصر ؟

والجواب : أولا قبل أن نبدأ لنعلم أنه نهانا رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٥٢ (٢) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣
(٣) سورة النساء ، الآية ٣

وسلم عن الخوض فى القضاء والقدر وقال : « أبهذا أُمرتم أم بهذا بعثت فيكم ، إنما هلك من كان قبلكم بالمراء ) . كان ذلك بعد أن رأى بعض الصحابة يخوضون فى الكلام فى القضاء والقدر وفى غيره من المسائل التى لا تدخل تحت فهم العقول .

وأسوق هنا المناقشة التى دارت بين الشيخ محمد عبده وأحد الناس حين قال له : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ فأجابه الشيخ إجابة الخبير ، وقال له : فى الشرق هنا مسير ولكن فى الغرب مخير . فتعجب السائل . فقال له الشيخ : لا تعجب ، فإنهم هناك فى الغرب علموا أنهم مخيرون وأن الله منحهم عقولا بها يميزون ، فتطوروا واخترعوا وتقدموا ، ونحن هنا فى الشرق قلنا إننا مسيرون ، فشبهنا أنفسنا بالحيوانات ، فربط المخيرون الحبال فى أعناقنا وجرونا خلفهم ، وهذا من الناحية السياسية ، أما من الناحية الدينية فاعلم يا بنى أن المسير أحد ثلاثة ، وذكر الحديث : ( رفع القلم عن المجنون حتى يفيق ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يبلغ )[1] . فأين أنت من الثلاثة ؟ إذا لم تكن منهم فأنت مخير .

وهذه هى الحجة وأضيف أنا إلى هذا أن الإنسان مسير فى أشياء ومخير فى أخرى ، فالأشياء التى أنا مسير فيها هى خلق الله ، مثل وجودى فى الحياة وطلوع الشمس وغروبها وطلوع القمر وهبوب الرياح والزلازل والبراكين ، إلى آخره . فكل هذه مسائل لا تصح أن تكون موضع نظر فى مجال التخيير ، لأنها جميعاً خلق الله ، كذلك الموت المحتم على الجميع ، أما ما يدخل فيه الإنسان بتدبيره واختياره وإرادته هو فلا يصح أن ينسبه إلى الله ، وإنما يجب أن ننسب ما دبرناه بعقولنا وفكرنا فى عواقبه لأنفسنا ، لأن الله قال : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون »[2] أى أن الله أعطاك الآلات لتعمل بها

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن . (٢) سورة النحل ، الآية ٧٨



وهناك بعض الآيات فى القرآن قد تفتن من ليس له علم بالله وحكمته من الخلق ، مثل : « فلو شاء لهداكم أجمعين »[1] — « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين »[2] — « إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون »[3] — « وما تشاءون إلا أن يشاء الله »[4] — « لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا »[5] .

والجواب على هذا أن الله سبحانه وتعالى بقدرته البالغة وحكمته لما أراد أن يخلق الخلق جعل نوعاً لايستطيع المعصية ، بل جُبل على الطاعة ، وهم الملائكة « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[6] . ولا تصدقوا الذين يقولون أن هاروت وماروت كانا من الملائكة ونزلا فى الأرض وزنيا بامرأة ، فهذا كله ضلال ، بل هم « عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »[7] ، وهم من خشيته مشفقون « يسبحون الليل والنهار لايفترون »[8] . وطبيعة خلقهم لا تقبل الشهوة ، بمعنى أنهم نورانيون ، لأنهم خلقوا من نور والجان من نار وآدم من الطين فمجرد التفكير فى معصية لا يجوز على الملائكة ، لأن هذه طبيعة خلقهم ، وقد أمرهم الله بأن يستغفروا لمن فى الأرض حتى لا ينزل غضبه عليهم عندما يستجيب لهم ، وهناك الشياطين ، وهم لا يفكرون فى الطاعة مطلقاً ، بل يفكرون فى المعاصى دائماً ، وخلق الله خلقاً آخر لا فكر له فى حسنات ولا سيئات ولا غيرها ، بل ولا إرادة له وهو الجماد ، ولا حركة له ولا غواية ، ومثله الحيوان والنبات . كل هؤلاء غير مكلفين .

(١) سورة النحل ، الآية ٩ (٢) سورة السجدة ، الآية ١٣
(٣) سورة يونس ، الآية ٩٦ (٤) سورة الإنسان ، الآية ٣٠
(٥) سورة التوبة ، الآية ٥١ (٦) سورة التحريم ، الآية ٦
(٧) سورة الأنبياء ، الآية ٢٧ (٨) سورة الأنبياء ، الآية ٢٠

وهناك عنصر رابع خلقه الله وأعطاه الحرية الكاملة والمسئولية التامة وهو ابن آدم ، فقد خلقه الله قابلا لأن يكون فى صف الملائكة ، وقابلا لأن يكون فى صف الحيوان ، وقابلا لأن يكون فى صف الشياطين ، وكل ذلك بواسطة العقل ، وأنزل الله له رسلا مبشرين ومنذرين ليدرك بعقله الذى وهبه الله إياه ويختار الطريق الذى يريد أن يسلكه ، حتى إذا ما حاسب الله هؤلاء العباد وأدخل بعضهم لحسن عمله الجنة وآخرين أدخلهم النار لسوء عملهم فلا يكون الله ظالماً لهم .

هذه هى الحرية التى أعطاها الله لابن آدم ، سماها الله فى القرآن الأمانة « إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولا »[1] . ولا تتبعوا الأقوال التى تقول أن الأمانة هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ومن يقول أنها الجنابة ، وهذا جهل ، وهل تكون للجبال جنابة ! . فالحرية التى أعطيت لابن آدم هى حرية الإرادة لفعل الخير أو الشر ، ولهذا سخر الله له المخلوقات ، وكأن الله تعالى يقول : يا ابن آدم خلقت كل شىء لأجلك وخلقتك لأجلى فلا يشغلك ما خلقته لك عما خلقتك له . فالأمانة التى حملها الإنسان هى المسئولية بعد الحرية .. كل هذا مدخل لكلمة : هل الإنسان مخير أم مسير ؟

لقد شاء الله تعالى أن نكون مخيرين من الأزل ، وأن الله لم يرض أن يصطفى من خلقه خلفاء فى الأرض غير آدم وأولاده من بعده ، وذلك من إكرام الله لنا « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »[2] ، حتى أن الملائكة أرادوا أن يأخذوا هذا الشرف وقالوا : « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٧٢ (٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٠



الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إنى أعلم ما لا تعلمون »[1] ، ذلك أن الله يعلم أن هذا النوع الآدمى وإن ظهر فيه شذوذ ولكن منه الأنبياء والعلماء والشهداء والأوفياء ، ومن أجلهم اختاره .

نأتى بعد ذلك إلى دور الملائكة المدبرات كما قال تعالى : « فالمدبرات أمراً »[2] . قال لهم الله : إذا رأيتم عبدى يذهب إلى المسجد فلا تمنعوه ، وإن رأيتم عبدى يذهب إلى أماكن الفساد فلا تمنعوه ، ولكنى سأرسل إليه من رحمتى رسلا مبشرين ومنذرين « لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »[3] . وهذا تعطف من الله ، والله يقول لرسوله : « لا إكراه فى الدين »[4] ، بل اختيار ورضا عن طواعية ، لأننى تعاقدت مع هؤلاء الناس ألا يكون هناك إكراه بل حرية كاملة « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر »[5] . « إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل »[6] . وبعد ذلك كله « إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم »[7] . فهذا هو التخيير لنا من الله القائل : « أنلزمكموها وأنتم لها كارهون »[8] . ولكن الرسول عليه التذكرة والإبلاغ « فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر »[9] . ثم يقول له : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً »[10] . والذى يدل على رحمة الله لنا وتخييره لنا أن قال : « فبما رحمة من الله لنت لهم »[11] . معنى هذا أن الله كان يحمل رسوله المشاق فى سبيل عباده ويقابل صدودهم برحمة منه وضعها فى قلب نبيه .

(١) سورة البقرة ، الآية ٣٠ (٢) سورة النازعات ، الآية ٥
(٣) سورة النساء ، الآية ١٦٥ (٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦
(٥) سورة الكهف ، الآية ٢٩ (٦) سورة النحل ، الآية ٣٧
(٧) سورة الغاشية ، الآيتان ٢٥ و ٢٦ (٨) سورة هود ، الآية ٢٨
(٩) سورة الغاشية ، الآيتان ٢١ و ٢٢ (١٠) سورة الرعد ، الآية ٣
(١١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٩

كل هذا يدلك على أن الخير من الله والشر من نفسك ، وهذا يثبت مائة فى المائة أنك لست مسيراً فى كل شىء ، فإنه لا يسير إلا الحيوان والجماد والنبات وأمثالها ، لأن ابن آدم مكرم ، وقد علمه الله ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة فى الأرض ، وما من صفة من صفات الله العليا إلا أعطاه منها جزءاً ، فهو كريم وأمرنا بالكرم ، وهو رحيم وأمرنا بالتراحم ، وخلق الله بنى آدم على صورة الرحمن كما فى حديث البخارى .

وإبراهيم خليل الرحمن يقول : « فإنهم عدوّ لى إلا رب العالمين ، الذى خلقنى فهو يهدين ، والذى هو يطعمنى ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين »[1] . فنسب الخلق إلى الله والهداية لله والرزق فى الطعام والشراب إلى الله ، ولكن فى المرض قال « وإذا مرضت » أى نسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله ، لأن الله لا يريد بنا إلا الخير « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2] .

ولكن نحن الذين نظلم أنفسنا « وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »[3] ، فإذا أتاك شر فاعلم أن لك فيه مدخلا ، ولهذا تقول الآية عن الله سبحانه وتعالى : « بيدك الخير إنك على كل شىء قدير »[4] ، ولكن الشرك عند الإنسان من سوء النية وسوء التصرف . وقال الله فى سورة الأنبياء : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة »[5] . فسيدنا آدم حينما عصى الله خرج من الجنة ، وهذا جزاء لذنبه وليس شراً من الله .

وذات مرة أُحضر أمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه سارق ليحكم عليه ، فقال السارق : اعف عنى يا أمير المؤمنين ، فهذه أول مرة . فقال له عمر : كذبت ، والله ما هى أول مرة . فقال السارق : تكون أميراً

(١) سورة الشعراء ، الآيات ٧٧ - ٨٠ (٢) سورة البقرة ، الآية ١٨٥
(٣) سورة البقرة ، الآية ٥٧ (٤) سورة آل عمران ، الآية ٢٤
(٥) سورة الأنبياء ، الآية ٣٥



للمؤمنين وتحلف بالله على شىء لم تعلمه . قال : نعم أحلف بالله على صدق وبصيرة ، والله الذى لا إله إلا هو لو كانت هذه أول مرة ما فضحك الله أمامى . فلما وجد السارق أن عمر رضى الله عنه سيقيم عليه الحد حتماً قال : يا أمير المؤمنين ، هذه عاشر مرة . فقال له عمر رضى الله عنه : نعم لقد كذبت وصدق الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( إن الله لا يفضح عبده بأول مرة ) .

فالرب دائماً حتى لو أخطأ العبد يعطى فرصة ، وإذا نوى حسنة كتبت له حسنة ، فإن فعلها ضاعف له الأجر من عشرة ثما فوق إلى سبعمائة ضعف ، والله يضاعف لمن يشاء ، وملك الحسنات رئيس لملك السيئات . فلا تكتب السيئة إلا إذا فعلها العبد ولم يتب ولم يستغفر ولم يجبر عليها ، ولا تكتب النيات فى الشر كما فى الحسنات ، والحديث يقول : ( لن يهلك على الله إلا هالك ) ، وقال تعالى : « ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حىّ عن بينة »[1] . ثم نرجع ثانية إلى آية « فلو شاء لهداكم أجمعين »[2] — « ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها »[3] — يعتقد بعض الجهال بالتفسير أن هذه الآيات ومثلها دليل على أن الإنسان مسير ، ولكن الحقيقة أن الرب عز وجل قال « ولو » وهذه أداة امتناع الجواب لامتناع الشرط ، أى لو شاء لجعلكم يا معشر الإنس كالملائكة فلا تستطيعون المعصية ، وفى هذه الحالة نكون خلقاً آخر غير هذا الخلق الذى نحن فيه ، ولكن الله لم يشأ هذا واختاركم بمشيئته الحكيمة أن تكونوا نوعاً آخر تملكون حريتكم فى اختيار أعمالكم ثم تحاسبون عليها .

ولا يمكن لمؤمن صحيح الإيمان أن ينكر أن هناك الكثير والكثير مما يسير فيه الإنسان ولا يخير ، قال تعالى : « هو الذى يسيركم فى البر

(١) سورة الأنفال ، الآية ٤٢ (٢) سورة الأنعام ، الآية ١٤٩
(٣) سورة السجدة ، الآية ١٣

والبحر »[1] ـ فخلق الإنسان وموته وتصريف الرياح والسحاب وسير الكواكب والنجوم والأفلاك وترتيب المسببات على أسبابها وإعطاء الجزاء العادل حسب الأعمال .. كل ذلك وأمثاله مثل الأوبئة العامة مما لا اختيار للناس فيه وليسوا بمسئولين عنه ؛ لأنه لا دخل لهم فيه ، أما ما دبروه بعقلهم وباشروه بأيديهم فمن العدل أن يحاسبوا عليه ؛ والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

## حقائق عن الرسل تزهق أمامها الأباطيل

دخلت على المسلمين فتنة يهودية اتبع فيها الجاهلون سنن من قبلهم من الكفرة الفجرة ؛ وهى لصق بعض التهم والتشنيعات بأنبياء الله ورسله المصطفين الأبرار ؛ أولئك الذين جعلهم الله أسوة للناس فى دينهم ودنياهم وهم مصابيح الهدى الذين قال الله فى شأنهم : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده »[2] . والمفروض أن يكون القدوة مثلا أعلى فى الخلق الكريم والسيرة العطرة والقيادة والعبادة ومعاملة الخالق والمخلوق .

ونوع كهذا يستحيل فى حقه أن يرتكب متعمداً صغائر الذنوب ، فضلا عن كبائرها ؛ قال تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته »[3] ، فيستحيل فى حق الله تعالى ـ وهو الإله الحكيم ـ أن يبعث من عنده رسولا لهداية الناس إلى ما يسعدهم فى العاجل والآجل ؛ وهو على غير المستوى الرفيع ؛ وعلى غير القمة ؛ مما يدعو الناس إليه . وقال تعالى على لسان النبى صالح شعيب عليه السلام : « وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت »[4] ؛ وقال تعالى على لسان كليم الله موسى : « إنى لكم رسول أمين »[5] . وأجمع علماء الأمة الإسلامية سلفاً

(١) سورة يونس ، الآية ٢٢ (٢) سورة الأنعام ، الآية ٩٠
(٣) سورة الأنعام ، الآية ١٢٤ (٤) سورة هود ، الآية ٨٨
(٥) سورة الدخان ، الآية ١٨



وخلفاً على أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد فى رسل الله أربعة أمور :

الصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة .

ومعنى الأمانة : أمانة ظواهرهم وبواطنهم ، فكل جوارحهم وقلوبهم مستعملة فى طاعة الله ، وإذا وقع منهم شىء بحسن قصد على غير الوجه الأكمل لفت الله أنظارهم وأعادهم إلى أرشد الأحوال ، ومن يقرأ الأسفار التى نسبوها إلى الله ، مع أنها من تأليف اليهود ، يجدها مليئة بالتهم الملصقة لأنبياء الله ، تهم وصلت إلى درجة رميهم بالزنا وشرب الخمر والاتصال الجنسى بالمحارم والقتل ، بل وعبادة الأصنام ، وخدع بعض المسلمين ، بل بعض المفسرين ومؤلفى الكتب التى لا تتحرى الحقائق ، بل تنقل من الإسرائيليات ما شاء لها الهوى أو الجهل ـ فنسبوا إلى بعض الرسل جرائم نكتفى منها ببعض أمثلة فيما يلى :

## يوسف الصديق عليه السلام

هو الذى وصفه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : ( الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ) .

ومع هذا فقد نسبوا إليه أنه همَّ بامرأة العزيز فاحشة ، وقالوا ما منعه من إتمام الفاحشة ، إلا أن جبريل ضربه على ظهره ضربة قوية حتى خرجت الشهوة من أظفاره . وقال بعضهم أنه رأى أباه يعقوب عاضاً على أصابعه ندماً وخجلا . وقال فريق ثالث أنه رأى مكتوباً على الحائط : « ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا »[1] .. إلى آخر هذه الخرافات التى تتعارض كل التعارض مع الكتاب والسنة وإجماع عقلاء الأمة ، ويكفى فى تكذيب هذه الأقوال :

أن الله عز وجل قال فى نفس القصة : « كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين »[2] . وانظر إلى أسلوب القرآن فى تنزيه

(١) سورة الإسراء ، الآية ٣٢ (٢) سورة يوسف ، الآية ٢٤

رسل الله عن المنكر ، فقد قال : « لنصرف عنه السوء والفحشاء » ولم يقل (لنصرفه عن الفحشاء) ، فقد أبعد الله عنه كل سوء وكل فحشاء ، فلم يقرب إلى جنابه شيء من مغضبات الله ، لا هماً ولا فعلا ، وما قرره المنصفون هو أن المرأة سلكت مع الصديق يوسف عليه السلام ثلاث مراحل حينما فتنت به ، المرحلة الأولى : محاولتها فتنته بلسان الحال وإفراطها فى التزين وصنع المغريات ، ومع هذا فقد عصمه الله تعالى من الفتنة بها ولم تشعر منه بأية مبالاة أو التفات . فلجأت إلى المرحلة الثانية ، وهى محاولتها فتنته بالتصريح والأقوال ، فقالت له ما حكاه القرآن : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه »[1] ، وذلك بعد المرحلة الأولى التى حاولت بها امرأة العزيز جذبه إليها بالمغريات والفتن الصامتة ، فلما فشلت « غلقت الأبواب وقالت هيت لك »[2] ، فلما سمعها نطقت بالشرود عنه إلى الفحشاء تصريحاً بعد التلميح رد عليها رد المؤمنين الذين يستعينون بربهم إذا حزبتهم الأمور : « قال معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى ، إنه لا يفلح الظالمون »[3] . ولما حينما فشلت بالحال والمقال لجأت إلى الأفعال كنوع من محاولة رد الاعتبار بما جبل عليه أمثالها من كبرياء وعناد ، إذ كيف يتعالى عليها وهى امرأة العزيز ، وما هو فى نظرها سوى عبد اشتراه زوجها لخدمتها ، فهمت به همَّ سوء لتجذبه إلى ما أرادت بالقوة والتأديب حسب زعمها ، وما كان لمثله عليه السلام أن يقف أمام الباطل وقد أسفر عن طبعه مكتوف اليدين ، فهمَّ بها همَّ دفاع شرعى عن دينه وكرامته ، ولولا أن الله أراه برهان الانصراف عن ضربها لقتلها ولو قتلها لقتلوه ، فلم يتم ما أراد الله من إتمام نعمته عليه وتوليه الملك وإنقاذه للناس من المجاعة ، إلى آخر هذه التدبيرات الإلهية ، فألهمه الله تعالى بالبرهان اليقينى أن يحاول

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٣ (٢) سورة يوسف ، الآية ٢٣
(٣) سورة يوسف ، الآية ٢٣



سبقها إلى الباب لينجو من المعصية ، فأسرعت وراءه لتشده إلى شهوتها بالقوة ، فقدَّت قميصه من دبر ، وانتهى التحقيق فى الحادث باعتراف الذى هو من أهلها بقوله : « إنه من كيدكن ، إن كيدكن عظيم ، يوسف أعرض عن هذا واستغفرى لذنبك إنك كنت من الخاطئين »[1] . فإذا ضممنا لذلك قوله تعالى : « إنه من عبادنا المخلصين »[2] مع قول إبليس : « لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين »[3] ، ثم اعتراف النسوة بقولهن : « قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء »[4] . ثم قول المرأة نفسها التى كانت اتهمته زوراً وسجنته ظلماً : « الآن حصحص الحق ، أنا راودته عن نفسه ، وإنه لمن الصادقين »[5] . ثم ضممنا إلى كل ذلك قول الملك الذى أجرى تحقيقاً بعد إقرار المرأة وقولها : « وما أبرئ نفسى ، إن النفس لأمارة بالسوء »[6] قال الملك : « ائتونى به أستخلصه لنفسى » . فلما كلمه قال : « إنك اليوم لدينا مكين أمين »[7] ، وجدنا أنفسنا أمام شهادات عظمى ناصعة تصف يوسف عليه السلام بالطهر والعفاف والشرف والأمانة ، ولهذا رفعه الله وآتاه من الملك وعلمه من تأويل الأحاديث واجتباه وأتم نعمته عليه . ولما تعجب إخوته المعذبون مما وصل إليه وقالوا : « أئنك لأنت يوسف ، قال أنا يوسف وهذا أخى قد منَّ الله علينا أنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين »[8] ، فكان يوسف من المحسنين . والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

وبعض هذه الأدلة يكفى لإقناع المسلم الطالب للحق ، المبرأ من نفاق القلب والتقليد الأعمى .

(١) سورة يوسف ، الآية ٢٨ (٢) سورة يوسف ، الآية ٢٤
(٣) سورة الحجر ، الآية ٤٠ (٤) سورة يوسف ، الآية ٣١
(٥) سورة يوسف ، الآية ٥١ (٦) سورة يوسف ، الآية ٥٣
(٧) سورة يوسف ، الآية ٥٤ (٨) سورة يوسف ، الآية ٩٠

## داود عليه السلام

نبأ الخصم :

قال أصحاب الجهالة والضلالة : إن داود أبصر زوجة وزيره قائد الحرب تغتسل فرآها وهى عريانة ففتن بها ، فدبر لزوجها معركة ، وأمر بعض الناس فقتله ثم تزوج هو امرأته . وهذا شيء لا يمكن صدوره إلا من المجرمين ، وينتزه عنه عوام المسلمين ، فضلا عن رسل الله المقربين ، وداود شهد الله له بأنه « واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب »[1] إلى قوله تعالى : « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب »[2] . والحقيقة كما حكاها القرآن تتلخص فى أن داود عليه السلام الذى كان يصوم أعدل الصيام ، يوماً بعد يوم ، وينظم تهجده بالليل وجلوسه للناس للقضاء ، جاءه خصمان يملك أحدهما تسعاً وتسعين نعجة ويملك الثانى نعجة واحدة ، وهذا صريح القرآن ، فادعى الفقير صاحب النعجة أن الغنى أكرهه على أخذ نعجته منه ليتم له مائة ويبقى هو دون أى شيء . ولما كان داود عليه السلام يتعبد لله فى هذه الساعة وقد تركوا هم يوم قضائه بين الناس وتسوروا عليه المحراب ، وفزع منهم كما حكى القرآن ، رد عليهم متسرعاً دون أن يسمع الخصم الآخر : « قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض »[3] . وخرج الخصمان ، وبعد انصرافهما فكر داود عليه السلام ، فعلم أنه لم يسمع حجة الطرف الآخر فى القضية ، فربما يكون بريئاً ولكنه مثلا عمى لا يحسن الكلام ، والثانى ربما يكون فصيحاً غلاباً قهر الأول بخطابه وعجز الثانى عن الدفاع ، فربما لو أسنده داود عليه السلام وسأله عن دعوى زميله لأبان عن شيء يحول مجرى الحكم ، فلما أدرك هذا ندم على تسرعه وتيقن أن هذا بلاء من الله واختبار لم يجد

(١) سورة ص ، الآية ١٧ (٢) سورة ص ، الآية ٢٠
(٣) سورة ص ، الآية ٢٤



منه ما كان ينبغى أن يفعل « فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب ، فغفرنا له ذلك ، وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب »[1] . وهنا أوحى الله إليه أن يعطى حكمه بين الناس التأنى والإنصاف بين المتخاصمين ، وألا يجعل لهوى النفس وثوران العاطفة مدخلا إلى حكمه « يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »[2] . ثم نرى صريح القرآن فى ثناء الله على داود عليه السلام بتسخير الجبال والطير يسبحن بالعشيّ والإشراق وإلانة الحديد « وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم »[3] ، « وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء »[4] . وإذا كانت الإسرائيليات لا تتورع عن قذف رسل الله بالجرائم فإننا معشر المسلمين بحكم تعليم الله إيانا ونصوص الإسلام الصريحة ننزه رسل الله عن كل ما لا يليق بالصفوة الكاملين من عباده ، عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

## موسى عليه السلام وملك الموت

قال المعترضون : كيف نصدق أن موسى عليه السلام جاءه ملك الموت ليقبض روحه فلطمه لطمة فقأ عينه منها ؟

وجواب المحققين أن الحديث فى هذا الأمر صحيح لا شك فيه ، أما تفسير ما حدث فإن موسى عليه السلام شيخ أنبياء بنى إسرائيل وكليم الله ومن أولى العزم ، وقد أثنى عليه القرآن فى غير ما آية ، وقد لقى من فرعون مصر ومن بنى إسرائيل قومه ما لا يحتمله إلا أولو العزائم القوية ، ومن شرور بنى إسرائيل قتلهم الأنبياء بغير حق والذين يأمرون بالقسط من الناس « أوكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً

(١) سورة ص ، الآية ٢٥ (٢) سورة ص ، الآية ٢٦
(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٨٠ (٤) سورة البقرة ، الآية ٢٥١

كذبتم وفريقاً تقتلون ؟ »[1] ، « وقتلهم الأنبياء بغير حق »[2] . وقد حكى القرآن من ذلك الكثير ، فكان موسى عليه السلام يتوقع أن يهجم عليه أحد هؤلاء الأشرار ليقتله ، فلما جاءه ملك الموت فى صورة إنسان عادى وسأله ما الذى جاء بك يا هذا ( ولم يعلم بأنه ملك ) فقال : جئت لقبض روحك . ظن موسى عليه السلام أنه أحد السفاحين جاء ليغتاله ، وبحكم الدفاع الشرعى عن النفس لطمه الكليم ، أى لطم الجسم الذى تقمصه الملك ، وظهر فيه بشراً ، وكان موسى عليه السلام مشهوراً بالشدة والحدة ، ففقأ عين الصورة التى تقمصها الملك ، أما ذات الملك فلا تحكم عليه الصورة . وهذا ابتلاء من الله تعالى للكليم وللملك الموت ولنا وسائر المؤمنين ، والذى يدل على عذر موسى أنه كان يستعمل حقه الشرعى فى الدفاع عن النفس أنه لما عاد إليه ملك الموت بأمر الله وعرفه نفسه وخيَّره بين أن يعيش سنين بعدد ما تحت يده من شعر ثور ، وبين أن يلقى الله ، فضَّل أن يلقى الله تعالى ، وفعلا قبض روحه . وكلام المحققين هذا معقول وليس فيه ما يتنافى مع العقل أو النقل . والله الهادى .

## الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
## وعلمه بالقرآن قبل نزوله

هناك من يروِّج بقوله ومقالاته ، مثل هذا الادعاء ، زعماً منه أن المبالغة فى الثناء على رسول الله ترضى الله تعالى ورسوله ، والواقع أن الخروج عن الحد فى كل شىء مذموم ، وخاصة فى مثل هذه الأمور وما يتعلق بالإلهيات والنبوَّات ، وقد كرر القرآن وصف النبى محمد صلى الله عليه وسلم بأنه أُمى حتى فى التوراة والإنجيل « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل »[3] الآيتين ،

(١) سورة البقرة ، الآية ٨٧ (٢) سورة النساء ، الآية ١٥٥
(٣) سورة الأعراف ، الآية ١٥٧



كرر فيهما لفظ الأمى ، كما ذكره فى أول الجمعة ، وقال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذن لارتاب المبطلون »[1] . وقال تعالى : « وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان »[2] . وقال سبحانه : « وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك »[3] . وردَّ على من اقترحوا عليه تبديل القرآن بغيره بقوله فى سورة يونس : « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون »[4] .

وكان صلى الله عليه وسلم من شدة خوفه أن تتفلت منه آيات يكرر ما يقرؤه عليه جبريل حتى لا ينساه ، فطمأنه الله تعالى بأنه سبحانه سيتكفل بتثبيت القرآن فى صدره وجمعه وتفسيره ، وأمره بالإنصات عند الوحى ولا يتعجل التلاوة قبل انقضاء ما يقرؤه أمين الوحى ، قال تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به ، إن علينا جمعه وقرآنه ، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم إن علينا بيانه »[5] . وقال : « ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل رب زدنى علماً »[6] . وحتى يطمئنه على أنه لن تفلت من صدره كلمة ولا حرف قال له : « سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله »[7] . ولم ينه عن النسيان ، لأن هذا لا يدخل فى طاقة الإنسان الذى ينسى رغم أنفه ، وإنما عبر له بأسلوب النفى والخبر لا الإنشاء . وخبر الله دائماً صدق ووعده لا يخلف ، أى أننا سنتلو عليك قرآننا ولن تنسى منه حرفاً .

فأين يجد المدعون دليلا لدعواهم بأنه كان حافظاً للقرآن وجبريل ما نزل إلا لمجرد التمويه والتشريع كما يقولون ، بل كتبوا فى بعض كتبهم

(١) سورة العنكبوت ، الآية ٤٨ (٢) سورة الشورى ، الآية ٥٢
(٣) سورة القصص ، الآية ٨٦ (٤) سورة يونس ، الآية ١٦
(٥) سورة القيامة ، الآية ١٧ (٦) سورة طه ، الآية ١١٤
(٧) سورة الأعلى ، الآيتان ٦ و ٧

الآثمة أن جبريل كان يعرج إلى السموات فيجد محمداً صلى الله عليه وسلم جالساً بجوار ربه ، فإذا هبط وجده جالساً مع الصحابة ، فيقول له حيث أنك هو وأنه أنت فعلام أهبط وأعرج ؟ فقال له : هو كذلك يا جبريل ولكنه للتشريع ، وهذا من الضلال والوقاحة والافتراء على الله ورسوله بما لم يفتر عليه أشد الناس شركاً ووثنية « تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً »[1] وصلى الله وسلم على من قال : ( لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله )[2] .

## الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
## وكثرة زوجاته

سبق لنا فى هذا الكتاب مرتين أن فنَّدنا هذه الشبهة ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم ضيَّق الله عليه فى هذا الأمر ، فقد حرم عليه التزوج بغيرهن حتى من يموت منهن أو تطلق لا تبدَّل ، كما ضيَّق على أُمهات المؤمنين رضى الله عنهن ، إذ حرَّمهن على سائر الأمة إذا طلقن أو توفى عنهن ، قال تعالى فى شأن الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن أزواج ولو أعجبك حسنهن »[3] ، وقال عن نسائه : « ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ، إن ذلكم كان عند الله عظيماً »[4] .

وسبق أن قلنا إن هذا التضييق عليه وعلى زوجاته كان قبل أن يحدد الله عدد النسوة المباحات بأربع . فلما نزل التشريع بالعدد وأراد هو أن يفارق ما زاد عن الأربع أبقاهن الله فى عصمته عوضاً عن تحريمهن على الأمة ، وإلا فأين يذهبن ومن يعولهن ويعفهن ، وخاصة وقد اخترن جميعاً

(١) سورة الإسراء ، الآية ٤٣ .
(٢) أخرجه البخارى ومسلم .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٥٢ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية ٥٣ .



الله ورسوله والدار الآخرة والصبر على شظف العيش ، وكلهن كنَّ يذكرن ما يتلى فى بيوتهن من آيات الله والحكمة ويعلمن الأمة ما يرين ويسمعن ويعلمن من زوجهن المعلم والمربى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وآله ، ولو كان نبى شهوة كما يقول الضالون لكان له فى شبابه متسع للعب من الأبكار الجميلات ، ولكنه اكتفى بخديجة أم عياله إلى أن جاوز الخمسين من عمره حيث لقيت ربها ، وكانت ثيباً وكلهن كن من المعمرات ، ما عدا عائشة التى تنقص عنه خمسة وأربعين عاماً ، بل هى النبوة التى تتحرك وتسكن وتأخذ وتذر بأمر ربها تعالى .

## الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
## ودعوة أن اليهود سحروه

من خير من كتبوا فى هذا الموضوع الإمام محمد عبده رحمه الله تعالى فى تفسيره جزء ( عم ) وكتبه تلميذه البارع السيد محمد رشيد رضا فى تفسيره سورة ( الفلق ) فى قوله تعالى : « ومن شر حاسد إذا حسد »[1] . وأنقل أنا نص ما كتبه الثانى فى تفسيره لسبع سور من قصار السور ، قال فى ص ١٣٥ الطبعة الثانية سنة ١٣٦٧ هـ ما يلى :

### فى حديث سحر منافق من أشرار اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم :

روى البخارى ومسلم من حديث عائشة رضى الله عنها قالت : سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشىء وما فعله ، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه ، ثم قال : أشعرت يا عائشة أن الله أفتانى فيما أستفتيه فيه ؟ قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟ فقال : جاءنى رجلان ، فجلس أحدهما على رأسى والآخر عند رجلى ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن

(١) سورة الفلق ، الآية ٥ .

طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم اليهودى من بنى زريق . قال : فيم ذا ؟ قال : فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر ، قال : وأين هو ؟ قال : فى بير ذى أروان — ومن الرواة من قال : بئر ذروان — قال : وذروان بئر فى بنى زريق ، فذهب النبى صلى الله عليه وسلم فى أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها ، وعليها نخل ، ثم رجع إلى عائشة فقال : « والله لكأن ماءها نقاعة الحناء ، ولكأن نخلها رؤوس الشياطين .. قلت : يا رسول الله ، أفأخرجته ؟ قال : لا ، أما أنا فقد عافانى الله وشفانى ، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً ، وأمر بها فدفنت .

وفى رواية للشيخين ( البخارى ومسلم أيضاً ) : كان صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يرى أنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، بنحو الرواية السابقة ، وفيه : سحره رجل من بنى زريق حليف اليهود وكان منافقاً ، وروى النسائى عن زيد بن أرقم : سحر النبى صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياماً ، فأتاه جبريل ، فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، عقد لك عقداً فى بئر كذا وكذا ، فأرسل صلى الله عليه وسلم فاستخرجها فحلها ، فقام كأنما أنشط من عقال ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى ولا رآه فى وجهه قط . اهـ .

هذه نصوص الروايات فى الصحيحين والنسائى كما نقلها رشيد رضا ، ثم قال رحمه الله :

فحديث البخارى ومسلم صريح فى أن المراد من السحر فيه خاص بمسألة مباشرة النساء ، واعتقاد أنه سحر أثر فى عقله كما أثر فى جسده ، أنكره العلماء وبالغوا فى إنكاره ، وعدوه مطعناً فى النبوة ومنافياً للعصمة ، لقول عائشة : حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشىء ولم يكن فعله ، فعظمت هذه الرواية على علماء المعقول وعدوها مخالفة للقطعى فى النقل ، وهو



ما حكاه الله تعالى عن المشركين من طعنهم فيه كعادة أمثالهم فى رسلهم بقولهم : « إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً »[1] . وتفنيده تعالى لهم بقوله : « انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا »[2] . ومخالف القطعى فى العقل من عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من كل ما ينافى النبوة والثقة بها ، إذ يدخل فى ذلك التخيل ما هو من التشريع ، ومخالفة لعلم النفس الذى يعلم منه أن الأنفس السافلة الخبيثة لا تؤثر فى الأنفس العالية الطاهرة ، فأنكر صحة الرواية بعض العلماء ، وأقدم من عرفنا ذلك عنهم من المفسرين الفقهاء : أبو بكر الجصاص فى كتابه أحكام ( القرآن ) وآخرهم شيخنا الأستاذ الإمام فى تفسير ( جزء عم ) . وقد أطال شيخنا فى هذا وبالغ فيه ، وبنى إنكاره له على القاعدة المتفق عليها عند علماء العقائد وأصول الفقه فى معارضة الظنى للقطعى ، إذ الحديث آحادى وهو يفيد الظن ، فيرد بالقطعى عقلا ونقلا ، وهو ما ذكرناه آنفاً ، وقد اتفقوا على أن أحاديث الآحاد لا يحتج بها فى أصول العقائد .

ثم قال رشيد رضا :

وأجاب المحدثون المصححون للرواية علماً والمقلدون لهم ، بأن غاية ما تدل عليه أن ذلك السحر إنما أثر فى بدنه دون روحه وعقله ، فكان تأثيره من الأعراض الجسدية كالأمراض التى لم يعصم الأنبياء عليهم السلام منها ، أقول : ومثل الإصابات البدنية التى كانت تنال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعدائه ، كجراحاته فى غزوة أحد برأسه وقدمه ، وما يناله منهم من ضيق الصدر وحزن النفس من أثر شتمهم وسبهم له واتهامهم إياه بالجنون والكذب والشعر والكهانة والسحر ، فكل هذا ابتلاء من الله تعالى على يد هؤلاء الأشرار ، يمس بدنه أو إحساسه كما كان

---

(١) سورة الفرقان ، الآية ٨ (٢) سورة الإسراء ، الآية ٤٨

يمرض أحياناً بالحمى ، وكما أثر فيه سم اليهودى يوم خيبر حتى استمر معه إلى موته ، أما عقله الشريف فما دنا إلى رحابه طائف من الإنس ولا من الجن ، ولو وزن بعقول من فى الكون كله لرجح عليهم ، كما صح ذلك فى الحديث ، وقول الله تعالى : « والله يعصمك من الناس »[1] ، وهى من أواخر ما نزل من القرآن تحمل على عصمته صلى الله عليه وسلم من كل ما يبطل دعوته أو يعوق رسالته ، فالله عاصمه من ذلك وأمثاله حتى يظهره الله على الدين كله وتكون كلمة الله هى العليا ، ويتم الله نوره ولو كره الكافرون ، لأن الآية فى إبلاغ الرسالة : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس » أى لا تخش أحداً فالله حافظك حتى يتم الهدف الذى من أجله أرسلك الله ، وقد كان .

ثم قال رشيد رضا فى ص ١٣٩ :

والرواية فى أصح أسانيدها عند الشيخين ( عن هشام عن أبيه عن عائشة ) فيها علة من علل الحديث الخفية التى يشترط فى صحة الحديث السلامة منها ، وهى أن بعض منكرى الحديث ( أى وإن كان من رواية الصحيحين وغيرهما ) أعلوه بهشام هذا ، وألف بعضهم كتاباً خاصاً فيه محتجاً بقول بعض علماء الجرح والتعديل : أنه ( أى هشام أحد رواة الحديث ) كان فى العراق يرسل عن أبيه عروة بن الزبير ما سمعه من غيره ، وعروة هو راوية عائشة الثقة وهى خالته ، وقال ابن خراش : كان مالك لا يرضى هشاماً ، وقد نقم منه حديثه لأهل العراق ، وقال ابن القطان : تغير هشام قبل موته ، ولا شك أن تعديل الجماعة له ومنهم الشيخان خاص بما رواه قبل تغيره ، فهذا عذر من طعن فى روايته لهذا الحديث الذى أنكروا متنه بما علمت .

(١) سورة المائدة ، الآية ٦٧



ثم قال رشيد : والأمر فيه أهون مما قالوا ، فالتحقيق أنه خاص بمسألة الزوجية كما جاء التصريح به فى الرواية الثانية كما تقدم ، ولا يعتمد بغير هذا . أما رواية البيهقى فى نزول المعوذتين من أجل حل سحره ، فهو حديث باطل مخالف لحديث الصحيحين ومخالف لنزول سورتى المعوذتين بمكة قبل الهجرة وقبل مخالطته لليهود فى المدينة بعد الهجرة ، وهى من رواية الكلبى المتهم بالكذب ، وكذلك حديث أبى نعيم فى الدلائل فى نزول المعوذتين لأجل شفائه من هذا السحر فهو من طريق أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس وهما ضعيفان . انتهى كلام السيد رشيد رضا .

تفسير بعض كلمات حديث الصحيحين :

( المطبوب ) الذى يعالج مرضه الطبيب والمسحور . ( والمشط ) بالضم هو الذى يمشط به الشعر . ( والمشاطة ) ما يسقط من الشعر عند مشطه أى ( تسريحه ) . ( وطلعة ذكر ) أى غطاء طلعة من طلع نخلة ذكر : ( والجف ) بضم الجيم : الغطاء الذى يخرج منه طلع النخل فيكون منه ثمره . ( فكأن نخلها رؤوس الشياطين ) أى فى قبحها الذى تضرب العرب به المثل ، وتسمى بعض الحيات شيطاناً وهو ثعبان قبيح الوجه . ( بنو زريق ) بطن من الخزرج ، أى أن الساحر كان يهودياً بالحلف لا بالنسب . اهـ . من نفس المصدر الهامش .

## حديث التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم

يقول بعض الناس : إن لنا على جواز ذلك حجة لا أبلغ منها وهى : ما رواه الترمذى بسنده إلى عثمان بن حنيف رضى الله عنه قال : أن رجلا ضرير البصر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ادع الله أن يعافينى ، فقال : إن شئت دعوت ، وإصبرت ن شئت فهو خير لك ، قال : فادعه ، قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء :

( اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، إنى توجهت بك إلى ربى ليقضى لى حاجتى ، اللهم فشفعه فى ) . قال الترمذى : وهو حديث حسن صحيح غريب ، قال علماء الحديث : والغريب ما رواه واحد ، وقالوا يكفى فى لزوم التحرز عن الأخذ به أن أهل القرون الثلاثة الأولى لم يقع منهم مثله ، وهم أعلم منا بما يجب الأخذ به من ذلك . ولا وجه لابتعادهم عن العمل به إلا علمهم بأن ذلك من باب طلب الاشتراك فى الدعاء من الحى ، أى أن التوسل فى الحديث السابق المراد منه هو الدعاء من الأعمى ، ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم له ، والدعاء وطلبه مشروعان ، ومن دعا لغيره كان شفيعاً له ، ومنه الدعاء للميت فى صلاة الجنازة ( وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له ) . فالأعمى طلب الدعاء من النبى صلى الله عليه وسلم فدعا له ، والدعاء شفاعة ، وهو دعاء الله أن يقبل شفاعته فيه ، أى دعاءه له ، ولا يمكن الآن لأحد أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم دعا له وشفع فيه حتى يسأل الله أن يقبل شفاعته فيه ، وثبت أن عمر رضى الله عنه قال فى حديث الاستسقاء : ( إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك ، العباس ، فاسقنا ، قال ذلك رضى الله عنه والعباس بجانبه يدعو الله تعالى ، ولو كان التوسل كما يزعم الزاعمون لاستسقى عمر وتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ولم يقل : كنا نستسقى بنبينا والآن نستسقى بعم نبيك . وطلب الاشتراك فى الدعاء مشروع حتى من الأخ لأخيه ، بل ويكون من الأعلى للأدنى ، كما ورد فى حديث : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر حينما أراد العمرة : ( لا تنسنا من دعائك يا أخىّ ) . وليس فى هذا ما يخشى منه ، فإن الداعى ومن يشركه فى الدعاء وهو حى ، كلاهما عبد لله تعالى ، يسأل الله تعالى ، والشريك فى الدعاء شريك فى العبودية ، لا وزير يتصرف فى إرادة الأمير



كما يظنون « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »[1] . ثم إن المسألة داخلة فى باب العقائد التى لا ينفع فيها الظنيات ، فضلا عن حديث غريب ، وليست من باب الأعمال ، فالأمر فيها يتلخص فى هذا السؤال : هل يجوز أن نعتقد بأن أحداً سوى الله يكون واسطة بيننا وبين الله فى قضاء حاجاتنا التى لا يقدر عليها سواه ، أو لا يجوز ؟ وذلك طبعاً فى غير الاستشفاع بدعاء الغير من الأحياء كما سبق .

قال رشيد رضا فى كتابه تفسير الفاتحة ص ١٥٦ ، ص ١٥٧ :

صريح القرآن أن تلك العقيدة من عقائد المشركين ، وقد نعاها عليهم فى قوله : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »[2] . وفى الفاتحة التى نرددها فى صلاتنا : « وإياك نستعين » ، فلا استعانة إلا به ( أى فيما لم تجربه عادة الناس أن يستعين بعضهم ببعض فيه ، فالتعاون بين الناس على البر والتقوى مشروع ، أما طلب الهدى وأمثاله فخاص بالقوى القادر سبحانه ) . قال : ثم إن البرهان العقلى يرشد إلى أن الله فى أعماله لا يقاس بالحكام وأمثالهم فى التحول عن إرادتهم بما يتخذه أهل الجاه عندهم ، لتنزهه جل شأنه عن ذلك ، وليس لدى من يعمل ذلك أو يقول ويدعيه برهان عقلى سليم أو سمعى متواتر ولا يصح أن يتخذ حديث الآحاد دليلا على العقيدة مهما قوى سنده ، فإن المعروف عند الأئمة قاطبة أن أحاديث الآحاد لا تفيد إلا الظن « وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً »[3] . اهـ .

---

(١) سورة الصافات ، الآية ١٨٠ (٢) سورة يونس ، الآية ١٨

(٣) سورة يونس ، الآية ٣٦

## حديث الغرانيق المكذوب

ادعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سورة: « والنجم إذا هوى »[1] فلما وصل إلى قوله تعالى : « ومناة الثالثة الأخرى »[2] أجرى الشيطان على لسانه فقال : ( تلك الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لترتجى ) . ففرح المشركون بمدحه لآلهتهم وسجدوا معه ومع المسلمين عند آية السجدة فى آخر السورة ، ونزل قوله تعالى فى سورة الحج : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم »[3] الآيات . وأضافوا إلى ذلك روايات كلها هراء وخرافات وأضاليل ينتزه عنها من عصم الله عقله عن الضلال ، وقلبه عن الغواية ، ولسانه عن الهوى ، وبصره عن الزيغ ، وعلمه عن الجهالة ، كما قرر الله ذلك فى أول السورة التى ادعى المفترون أنه زاد فى آياتها هذا البهتان .

قال ابن إسحاق : القصة من وضع الزنادقة ، وأطال القاضى عياض فى إبطالها ومن جملة ما قال إن حديثها لم يخرجه أحد من أهل الصحة وإنما رواه المؤرخون والمفسرون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم ، ونقل عن أبى بكر بن العلاء ما يدل على ضعف الرواية واضطراب الرواة فيها وما يقضى عليها بالسقوط عن درجة الاعتبار .

وقال الإمام أبو بكر بن العربى : ( وكفى به حجة فى الرواية والتفسير : أن جميع ما ورد فى هذه القصة لا أصل له . وقال القاضى عياض : إن الذى ورد فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ « والنجم » وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس . اهـ . وقد يكون ذلك لبلاغة السورة ، وشدة قرعها ، وعظم وقعها .

(١) سورة النجم ، الآية ١ (٢) سورة النجم ، الآية ٢٠
(٣) سورة الحج ، الآية ٥٢



وقد أجمعت الأمة وقامت الحجة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن هذه الرذيلة ، فإن كذبهم هذا لو صح لكان فيه نسبة الكفر إليه صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه ( وهو أول المؤمنين والعابدين والمسلمين ) وقد عصمه الله تعالى أن يجرى الكفر على لسانه أو قلبه ، لا عمداً ولا سهواً أو أن يلبس عليه ما يلقيه الملك بما يلقى الشيطان ، أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو يتقوّل على الله عمداً أو سهواً ما لم ينزل عليه ، وقد قال تعالى : « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين »[1] وقال : « إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً » .

ولو صحت هذه الرواية لوجدت فيها قريش واليهود أكبر حجة على المسلمين نبيهم ، كما شنعوا عليه حين أخبرهم بالإسراء ، بل لارتد عن الإسلام ضعفة الناس ، ولم يثبت أبداً عن أى معاند فى ذلك كلمة ، فدل على بطلانها ، ولا شك أن بعض شياطين الإنس والجن قد أدخلوا هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين وضعفاء المسلمين ، وقد قرر القرآن تثبيت الله له حتى لا يركن إليهم ولو أدنى ركون : « ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا »[2] وقال : « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شىء »[3] . هذا هو الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ انتهى كلام القاضى عياض ، وفيه الشفاء .

أما معنى آيات الحج فيتلخص فى قول المحققين فى تفسيرها : ما من رسول ولا نبى دعا قومه إلى هدى جاء هو به أو أراد أن يحملهم على شرع

(١) سورة الحاقة ، الآية ٤٦ (٢) سورة الإسراء ، الآية ٧٤
(٣) سورة النساء ، الآية ١١٣

سابق شرعه لهم إلا وله أمنية فى قومه وهى أن يتبعوه ليسعدوا ، وعلى رأسهم يقيناً نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فلقد كانت أمنيته وحرصه الشديدان أن يهدى الله الجميع ، قال تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين »[1] . وقال : « حريص عليكم »[2] . وقال : « فلا تذهب نفسك عليهم حسرات »[3] .

ومع حرصه الشديد على هدايتهم وتمنيه ذلك ليله ونهاره ، فإن الشيطان ألقى فى سبيل دعوته العثرات ، وأقام بينه وبين مقصده العقبات ، ووسوس فى صدور الناس ، وسلبهم الانتفاع بما وهبهم الله من قوة العقل والإحساس فثاروا فى وجهه ، وصدوه عن قصده ، وحاولوا بالعناد والسلاح أن يقهروه ، فإذا نالوا شيئاً من الغلبة عليه ظنوا أن الحق فى جانبهم ، ففتنوا أكثر وأكثر ، وظنوا أنه على الباطل وأن دينه أساطير الأولين ، أما من أراد الله بهم الخير فقد اطمأنت قلوبهم إلى وعد الله وصدقوا وعيده ، فمهما نالهم أو نال نبيهم من بلاء فهم ثابتون ، ما يزيدهم البلاء إلا إيماناً وتسليماً .. اقرأ فى سورة الحج من الآية ٥٢ إلى الآية ٥٥ تجد أن الآيات ليس لها معنى إلا ما ذكرنا لا ما ذكره الضالون ، وبالله التوفيق .

## الرسول محمد صلى الله عليه وسلم
## ومسألة زيد وزينب أو إبطال التبنى

من المقرر أن قبول الحديث لا يصح أن يكون موقوفاً على قوة سنده أو ضعفه فقط ، بل تجب فيه مراعاة أمور أخرى ، كانطباقه على قواعد الشريعة العامة ، وعقائد الدين الصحيحة ، وغير ذلك من شروط مقررة ، فإذا جاء الحديث على خلاف ذلك ، كأن يخالف القرآن أو فيه ما لا يليق

(١) سورة يوسف ، الآية ١٠٣ (٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٨
(٣) سورة فاطر ، الآية ٨



بجلال الله وتنزيهه وحرمة دينه وعصمة أنبيائه وكرامتهم ، وجب رفضه وعدم قبوله ، سواء أطعن فى سنده أم لا ، كما قرروا ذلك فى رواية مسلم حديث خلق التربة والأنهار والأشجار والجبال .. إلى آخره .. كل منها فى يوم من أيام الأسبوع ، فالحديث وإن صح سنداً ولكنه مخالف للعقل والمنطق والواقع ، فإن أيام الأسبوع وتقسيم الزمن إلى ليل ونهار وأسابيع وشهور وسنين لم تظهر إلا بعد تمام خلق الشمس والمجموعة الشمسية التابعة لها والتى منها الأرض ، فحين دارت الأرض حول نفسها بأمر الله وأمام الشمس تولد الليل والنهار ، وحينما دارت حول أمها الشمس تولدت الفصول الأربعة وأطلقت الأسماء على السنين والشهور والأسابيع والأيام . وكما سبق التعليق عليه فى رواية الصحيحين فى سحر النبى صلى الله عليه وسلم ، إما بتأويله وقصره على المسألة الزوجية فقط كأى مرض بدنى يجوز على كل البشر ، وإما بالطعن فى أحد رواته وهو هشام الذى تغير فى آخر حياته ، وهذان الحديثان مجرد مثال ليقاس عليهما غيرهما مما يخالف إجماعاً أو تواتراً أو معلوماً من الدين بالضرورة .

ويدخل فى هذا الباب غير ما سبق ما رووه فى مسألة زيد بن حارثة وطلاقه لزينب بنت جحش رضى الله عنهما ، وزعموا أن سبب طلاقها من زيد عشق النبى صلى الله عليه وسلم ( حاشاه ) لها ، وقد لطخت هذه الرواية المكذوبة أكثر التفاسير ، ولم يتنبهوا إلى إخلالها بمقام النبوة التى شهد الله لها بالعظمة « وإنك لعلى خلق عظيم » . ولقد تجرأ الأجانب بسبب هذه الرواية على الخوض فى النبى الأكرم ، والاستدلال بذلك على عدم صحة نبوته ( وكذبوا ) وتحقيق المسألة رواية ودراية وتاريخاً وواقعاً صادقاً يتخلص فيما يلى :

أراد الله تعالى إبطال عادة من عادات الجاهلية وتقليداً من تقاليدهم الموروثة ، ألا وهو تحريمهم زوجة الدعى المتبنى ، كتحريم زوجة الابن

من الصلب تماماً ، ولما كان هذا التحريم عقيدة لديهم يقدسونها حق التقديس ويثورون على من خالفها ، قدر الله الحكيم العليم فى مراحل تغيير هذه العادة أن يجعل بدء التغيير على يد من أرسله الله تعالى أسوة للناس وإماماً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فدبر أن يكون زيد بن حارثة عبداً له وهبته له زوجته خديجة رضى الله عنها التى اشترته من قريب لها ، ثم منّ الله عليه فأسلم ، وأعتقه صلى الله عليه وسلم ، فصار مولى له بعد أن كان قد تبناه وصار يسمى زيد بن محمد على ما كان معروفاً فى العرب ، وأعلن تبنيه بجوار الكعبة ، وعلم الكل ذلك ، وصار فى نظر العرب أن كل زوجة يتزوجها زيد تحرم بعد فراقها إياه على أبيه فى التبنى رسول الله ، فخطب صلى الله عليه وسلم بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب المسماة بزينب بنت جحش ، خطبها لمولاه زيد بن حارثة المذكور ، فأبت ، وأبى أخوها عبد الله بن جحش ، فنزل قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً »[1] .

فلما نزلت قال عبد الله : رضينا يارسول الله ، فأنكحها إياه وأصدقها عشرة دنانير وستين درهماً وخماراً وملحفة ودرعاً ( قميصاً ) وخمسين مداً من طعام وعشرة أمداد من تمر ، كما فى تفسير ابن كثير ، ولما كان رضا زينب وأخيها مجرد طاعة لله ورسوله وإرغام من النبى لها على التزوج لما يدبره الله من تنفيذ شرعه فى عباده عاشت زينب مع زيد مسلمة لأمر ربها ، إلا أنها استمرت تفهم فى نفسها أن زيداً ليس كفؤاً لها باعتبارها هاشمية قرشية وباعتباره كان عبداً ثم أعتق ، فصارت تشمخ عليه بأنفها وتفخر بنسبها ، فاشتكى مراراً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرسول يعلم

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٦



يقيناً أن أمر الله نافذ ، ولا بد أن تطلق زينب ليأخذها هو بأمر الله بعد انتهاء العدة ليبدأ بإبطال تحريم زوجة الدعى المتبنى ، ولكنه مع علمه هذا كان يخفيه فى نفسه ، فالأعداء كلهم متربصون يستغلون أية ثغرة ينفذون منها إلى التشنيع عليه ، وخاصة فى مثل هذا الأمر المقدس لديهم ، وكان يحاول تبرير موقفه أمام الناس بنصح زيد وتوصيته أن يتقى الله فى زوجته التقية ويمسكها على نفسه .

واستمر زيد يشكو حتى غلب أمر الله على أمر الناس ، وسمح لزيد بطلاقها ، ثم تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد انتهاء العدة ليمزق حجاب تلك العادة ، ويكسر ذلك الباب الذى كان مغلقاً دون مخالفتها ، اقرأ فى سورة الأحزاب بعد آية منع الخيرة مع قضاء الله قوله تعالى : « وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه ( الله بالإسلام والنبى بالعتق ) أمسك عليك زوجك ( زينب ) واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ( حكم الله بأن زيداً سيطلقها حتماً وتتزوجها لتنفيذ شرع الله ) وتخشى الناس ( أن يعيروك بمخالفة تقاليد الجاهلية ) والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطراً ( عاشرها مدة وانتهت حاجته منها ) زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا »[1] .

وهكذا تبين أن المسألة تكليف من الله ولم تكن شهوة النبى ، بل تحمل فى سبيله ما تحمل وعانى ما عانى ، ولو كان أسير شهوة أو جمال لتزوجها دون أدنى معسرة ، لأنها بنت عمته ، تربت تحت نظره وشملها بعنايته ، فكان من السهل جداً عليه أن يتزوجها بكراً مشتهاة وألا يتركها حتى تصير ثيباً عند رجل كان عبداً له فمولى ثم يأخذها ، لولا أمر الله ، وهو الذى أرغم أهلها وأرغمها على قبول أمر الله لتشريع حكم الله .

(١) سورة الأحزاب ، الآية ٣٧

والمعروف فى علم النفس والاجتماع أن القريب المخالط لمدة طويلة تقل الشهوة بينه وبين قريبته المخالطة ، وخاصة إذا طالت الخلطة منذ الصغر ، فإن إحساسهما غالباً يكون كإحساس الإخوة ، وهى كانت على مرأى ومسمع من النبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف يخطر على بال من عصمه الله من كل دنيئة أن يفكر فى التعدى على بنت عمة له بعد أن زوّجها بنفسه لعبد من عبيده بدعوى أنه عشقها ، إلى آخر ما يأفك الضالون .

وفى أول سورة الأحزاب نفسها التى ذكرت فيها قصة زيد مع زينب نفى الله تعالى أن يكون الدعى المتبنى كابن الصلب ، كما نفى أمومة المرأة التى يظاهر منها زوجها ، أى يحرمها على نفسه كتحريم أمه عليه ، وسمى الله ذلك منكراً وزوراً ، لأنه يخالف الواقع والحق ، فكيف تصبح الزوجة بمجرد كلمة من زوجها أمًّا لزوجها وهى بعيدة كل البعد عن أمه الحقيقية . وكيف يدخل دعىّ غريب على بيت يتبناه رب البيت فيصبح كابن الصلب فى كل شىء من تحريم زوجته وإخوته لبقية عيال الأب الذى تبناه ، وقد يكون فى العيال بنات يخلو بهن كأخ وهو غريب عنهن ، وتحدث المآسى ثم يرث أباه المزعوم ، وقد يكون هناك ورثة حقيقيون أولى منه ، قال تعالى : « وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن أمهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم » الآية[1] .

وهناك أثرياء من الرجال والنساء يتبنون بعض الأولاد من الملاجئ أو الأسر المعوزة التى فقدت عائلها ، والقانون الوضعى الملعون يعطهم

(١) سورة الأحزاب ، الآيتان ٣ و ٤



الحق فى هذا العمل فيصبح المتبنى من أفراد الأسرة لحماً ودماً واختلاطاً وإرثاً .. إلى آخره ، وهذا منتهى التحدى لأمر الله وارتكاس فى حمأة الجاهلية . وعلى الدولة أن تصحح مثل هذه القوانين المشاقة لله ولرسوله ودينه . ومن أراد أن يرعى يتيماً أو مسكيناً فليرعه لوجه الله وله الأجر ، بشرط أن يبقى غريباً عن الأسرة نسباً ، وأن يعلم بذلك إذا ميز ، وألا يمكنه من خلوة محرمة بأفراد الأسرة ، وألا يفضله على مستحق فيها .. إلخ .

## أفعال العباد

### ونسبتها تارة إليهم وتارة إلى الله تعالى

سئل الإمام الشيخ محمد عبده حجة الإسلام ومفتى الديار المصرية سؤالا هذا نصه :

أرجو من فضيلة مولانا الإمام حجة الإسلام أن يفهمنا كيف نجمع بين قوله تعالى : « وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ، قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثاً ، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ، وأرسلناك للناس رسولا ، وكفى بالله شهيداً »[1] .

فإن بين الآيتين فيما يبدو تنافياً ينزه عنه كلام الله تعالى ؟

فأجاب رضى الله عنه بقوله :

كان بعض القوم — بطراً جاهلا — إذا أصابه خير ونعمة يقول : إن الله تعالى قد أكرمه بما أعطاه من ذلك وساقه من خزائنه فضلا منه وعناية به لعلو منزلته فيما يزعم ، وإذا وصل إليه شر ، وهو المراد من السيئة فى الآية ، يزعم أن منبع هذا الشر هو النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن شؤم وجوده هو ينبوع هذه السيئات والشرور ، أى كما قال قوم صالح

(١) سورة النساء ، الآيتان ٧٨ و ٧٩

عليه السلام له : « اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله ، بل أنتم قوم تفتنون »[1] . وقول أصحاب القرية لرسل عيسى عليه السلام : « إنا تطيرنا بكم »[2] .

فهؤلاء الجاهلون الذين كانوا يرون الخير والشر والحسنة والسيئة يتناوبانهم قبل ظهور النبي وبعده ، كانوا يفرقون بينهما فى السبب الأول لكل منهما ، فينسبون الخير أو الحسنة إلى الله تعالى على أنه مصدرها الأول ومعطيها الحقيق ، يشيرون بذلك إلى أنه لا دخل للنبي فيها ، وينسبون الشر أو السيئة إلى النبي على أنه مصدرها الأول ومنبعها الحقيق ، كذلك وأن شؤمه هو الذى رماهم بها ، وهذا هو معنى ( من عند الله ) ومعنى ( من عندك ) أى من خزائن الله وفضله ومن رزاياك التى ترمى بها الناس ، فرد الله عليهم هذه المزاعم بقوله تعالى : « قل كل من عند الله »[3] أى أن السبب الأول وواضع أسباب الخير والشر المنعم بالنعم والرامى بالنقم ، إنما هو الله وحده ، وليس ليمن ولا لشؤم مدخل فى ذلك ، فهو بيان للفاعل الأول الذى يرد إليه الفعل وينسب فيما لا تتناوله قدرة البشر ولا يقع عليه كسبهم ، وهو الذى يعنيه أولئك المشاقون عندما يقولون : الحسنة من الله والسيئة من محمد ، أى أنه لا دخل لاختيارهم هم فى الأولى ولا فى الثانية ، وأن الأولى من عناية الله بهم ، والثانية من شؤم محمد عليهم ، فجاءت الآية ترميهم بالجهل فيما زعموا ، ولو عقلوا لعلموا أن ليس لأحد فيما وراء الأسباب المعروفة فعل الخير والشر فى ذلك سواء .

هذا فيما يتعلق بمن بيده الأمر الأعلى فى الخير والشر والنعم والنقم ، أما ما يتعلق بسنة الله فى طريق كسب الخير والتوقى من الشر والتمسك بأسباب ذلك ، فالأمر على خلاف ما يزعمون كذلك فإن الله قد وهبنا من

(١) سورة النمل ، الآية ٤٧ (٢) سورة يس ، الآية ١٨
(٣) سورة النساء ، الآية ٧٨



العقل والقوى ما يكفينا فى توفير أسباب سعادتنا والبعد عن مساقط الشقاء ، فإذا نحن استعملنا تلك المواهب فيما وهبت لأجله ، وصرفنا حواسنا وعقولنا فى الوجوه التى تنال فيها الخير ، وذلك إنما يكون بتصحيح الفكر وإخضاع جميع قوانا لأحكامه ، وفهم شرائع الله حق الفهم ، والتزام ما حدده فيها ، فلا ريب فى أننا ننال الخير والسعادة ، ونبعد عن الشقاء والتعاسة ، وهذه النعم إنما يكون مصدرها تلك المواهب الإلهية ( التى أحسنا استعمالها ) فهى من الله تعالى ، فما أصابك من حسنة فمن الله ، لأن قواك التى كسبت بها الخير وأكثرت بها من الحسنات ، بل واستعمالك لتلك القوى ، إنما هو من الله ، لأنك لم تأت بشىء سوى استعمال ما وهب الله ، فاتصال الحسنة بالله ظاهر ، ولا يفصلها عنه فاصل ، لا ظاهر ولا باطن .

وأما إذا أسأنا التصرف فى أعمالنا ، وفرطنا فى النظر فى شئوننا ، وأهملنا العقل بانصرافنا عن سر ما أودع الله فى شرائعه ، وغفلنا عن فهمه ، فاتبعنا الهوى فى أفعالنا ، وجلبنا بذلك الشر على أنفسنا ، كان ما أصابنا من ذلك صادراً عن سوء اختيارنا ، وإن كان الله تعالى هو الذى يسوقه إلينا جزاء على ما فرطنا ، ولا يجوز لنا أن ننسب ذلك إلى شؤم أحد أو تصرفه ، ونسبة الشر والسيئات إلينا فى هذه الحالة ظاهره الصحة ، فأما المواهب الإلهية بطبيعتها فهى متصلة بالخير والحسنات ، وإنما الذى يبطل أثرها فى الخير إنما هو إهمالها أو سوء استعمالها ، وعن كلا الأمرين يساق الشر إلى أهله ، وهما من كسب المهملين وسيئى الاستعمال ، فحق أن ينسب إليهم ما أصيبوا به ، وهم الكاسبون لسببه ، فقد حالوا بكسبهم بين القوى التى منحها الله لهم لتؤدى إلى الخير أو السعادة وبين ما حقها أن تؤدى إليه من ذلك ، وبعدوا بها عن حكمة الله فيها ، وصاروا بها إلى ضد ما خلقت لأجله ، فكل ما يحدث بسبب هذا الكسب الجديد فأجدر به أن ينسب إلى كاسبه .

ثم قال الإمام محمد عبده رحمه الله :

وحاصل الكلام فى المقامين : إذا نظرنا إلى السبب الأول الذى يعطى ويمنع ويمنح ويسلب وينعم وينتقم ، فذلك هو الله وحده ، ولا يجوز أن يقال إن سواه يقدر على ذلك ، ومن زعم غير هذا فهو ممن لايكاد يفقه كلاماً ، لأن نسبة الخير إلى الله ونسبة الشر إلى شخص من الأشخاص بهذا المعنى مما لا يكاد يعقل ، فإن الذى يأتى بالخير ويقدر على سوقه هو الذى يأتى بالشر ويقدر عليه ، فالتفريق بينهما خبال ، وإذا نظرنا إلى الأسباب المسنونة التى دعا الله الخلق إلى استعمالها فيكونون سعداء لا أشقياء ، فمن أصابته نعمة بحسن استعماله لما وهبه الله فذلك من فضل الله لأنه أحسن استعمال الآلات التى منّ الله عليه بها ، فعليه أن يحمد الله ويشكره على ما آتاه ، وأما من فرط أو أفرط فى استعمال شىء من ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، فهو الذى أساء إليها بسوء استعماله ما لديه من المواهب ، وليس يصح منه أن ينسب شيئاً من ذلك إلى النبي ولا إلى غيره ، فإن النبي أو غيره لم يغلبه على اختياره ، ولم يقهره على أن يفعل ما كان سبباً للانتقام منه ، فلو عقل هؤلاء لحمدوا الله وحمدوك يا محمد على نعمة ما ساقه الله لهم على يديك ، ثم إذا أصابهم شر رجعوا على أنفسهم باللوم لخروجهم عن حدود الله تعالى ، فانتقم الله منهم بسوء اختيارهم « ولا يظلم ربك أحداً »[1] .

أما بعد :

فإن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان بالله ( نؤمن بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، من الله ) . هذا شىء لاشك فيه « وكل شىء عنده بمقدار »[2] ، « وكل صغير وكبير مستطر »[3] . ونحن دائماً عند وقوع ما قدر الله مهما كان

(١) سورة الكهف ، الآية ٤٩ (٢) سورة الرعد ، الآية ٨

(٣) سورة القمر ، الآية ٥٣



نقول ما علمنا الرسول : قدر الله وما شاء فعل ، ولسان قولنا وحالنا يناجى ربه قائلا :

ما شئت كان وإن لم أشـــأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن

ومع هذا فإننا نؤمن أيضاً أن الله أودع فينا وسائل الاختيار بين البدائل ، وأوضح لنا الطريق ، وهدانا النجدين ، وقال : اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ، وأعلمنا أنه سيحاسبنا على ما اخترنا دون ما وقع بنا دون اختيار منا ، وما أبدعها من حكمة قالها ابن كثير فى تفسيره : ( كل ما أوجب الحمد والثناء فهو من الله ، وكل ما أوجب الاستغفار والندم فهو من العبد ) وهذا منتهى العدل والحكمة ولله الحجة البالغة .

## الإسلام : دين ودولة ، قضاء وسياسة

## مصحف وسلاح ، معاش ومعاد

قضت حكمة العليم الخبير أن يجعل الإسلام خاتم الأديان على يد خاتم المرسلين ، ولآخر أمة فى حياة هذه الدنيا ، إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لذلك زوده تعالى بكل مقومات الحياة نصحاً وتخطيطاً ، وشريعة كاملة ، أوضحت للناس سبيل الهدى والحق فى عقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، كما سنت للمسلم أخلاق الكمال ، وسلوك البر ، وكيف يتعامل المسلم مع نفسه ، ومع أهله ، ومع وطنه ، ومع مواطنيه ، وعلمه حق الحاكم وواجباته ، وكيف يرتبط مع غيره محباً وعالمياً .

وإذا فهم بعض الأجانب المغرضين ، أو ادعى المستشرقون المفترون ، أو بعض من لم يدرس حقيقة الإسلام من المنتسبين إليه .. إذا فهم هؤلاء أو ادعوا أن الإسلام سلوك خاص بين العبد وربه ، لاصلة له بالحياة العامة ، ولا بدنيا الناس وسياستهم ، ولا بقضائهم وأمنهم ، فهم إما جهال

وإما ضلال ، وإلا فإن من درس شريعة الإسلام ، حتى فى مصادرها الأولية ، التى يدرسها طلاب المرحلة الأولى فى المعاهد الدينية ، وجدها بعد أن تسرد أحكام العبادات من طهارة وصلاة ، وحج وزكاة ، تذكر أحكام المعاملات من بيع وشراء وشركات ووكالة ، ورهن وإجارة ، وزواج وطلاق ، وعدة وميراث ، ونفقة وحضانة .. وتذكر الحدود الزاجرة عن الإضرار بالناس ، كحد الزنا والقتل والحرابة والقذف ، والسرقة والخمر والردة .. كما تذكر أحكام القضاء والشهادات والبينة وشروط الحاكم ، وكيف يتولى أمور الناس ، وكيف يتحقق حكم الشعب بالشعب ومن أجل الشعب ، حتى أن الله تعالى خصص للشورى سورة باسمها ، وهى أعلى درجات الديمقراطية فى الحكم ، وجعل أطول آيات القرآن آية توثيق الدين والبيوع والسلم ، وعقد للمعاهدات أبواباً طويلة فى الفقه ، وأوجب الوفاء بالعقود والعهود والوعود ، وكيف يصنع المسلمون إذا تيقنوا الغدر من عدوهم المعاهدلهم ، وكيف ينبذون إليه عهده على سواء ، وكيف إذا اقتضت الضرورة تعلن الحرب ، وتعلن التعبئة العامة ، وكيف تنظم صفوف الجيش وتطهر من الدخيل ، وكيف يثبت المسلم عند اللقاء ويحرم عليه الفرار عند الزحف حتى النصر أو الشهادة ، وكيف التصرف فى الغنائم والفىء والأسرى ، ثم مع هذا كله نظام الصيد والذبح ، ما يحل من ذلك وما يحرم ، وأبواب الطب والتداوى ، وما نصح الإسلام به فى هذا ، وتحريم الغش والرشوة والربا والظلم والتدليس والميسر ، والوثنية وضلالات العقول .. وتذكر كذلك أحكام الودائع والعارية ، وإحياء موات الأرض ، وأبواب الغصب والضمانات ، والشفعة واللقطة ، والهبة والهدية ، والوقف والوصايا ، وعتق الأرقاء ، وأحكام التفليس ، والمصالحة ، وحق الجار ، والحجر على السفيه ، والمضاربات ، والمزارعة والمساقاة ، وأحكام التجارة والصناعة والزراعة ، وأحكام العمل والعمال ،



والهجرة وأقسامها ، والصلح والأمان والمهادنة ، ومعاملة المخالف فى العقيدة ، وكيف أباح للمسلم مصاهرة أهل الكتاب وطعامهم ، وأبواب التدريب على الجهاد كالسبق والرمى ، وما يحرم من الحيوانات والطيور وما يحل ، وأحكام الرضاع واللعان والظهار والخلع والرجعة والإيلاء ، وأبواب القصاص والقسامة والديات ..

وماذا بقى بعد هذا من شئون العباد ، لم يستوعبها الدين الإسلامى ، حتى يتهم أنه قاصر عن قيادة البشرية ؟ ..

إذا كانت هناك ملل أخرى قصرت عن استيعاب حياة الناس ، وقصرت نفسها على بعض مواعظ أو ترنيمات بعيدة عن دنيا الناس ، فما ذنب الإسلام فى هذا ، وهو الدين الكامل الشامل الكافل ، وصدق الله العظيم : « ونزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين » . وقال تعالى : « ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء »[1] .

اللهم إنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول ، فاكتبنا مع الشاهدين ، رضينا بك رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا ، على ذلك نحيا ، وعلى ذلك نموت ، وفى سبيل ذلك نجاهد ، وعليها نلقى الله بعونه مؤمنين صادقين ، والحمد لله رب العالمين ..

* * *

(١) سورة يوسف ، الآية ١١١

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية
http://www.zdnyilma.com/vb/



# فهرس الكتاب


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة ... ... ... ... ... | ٥ |
| نصوص من القرآن الكريم فى وجوب الاتباع والتحذير من الابتداع ... ... ... ... | ٩ |
| وجوب التمسك بالسنة ... ... | ٢٢ |
| اتباع الأهواء ... ... ... ... | ٣١ |
| السنة والبدعة ... ... ... ... | ٣١ |
| أقسام السنة... ... ... ... ... | ٣٥ |
| البدعة ... ... ... ... ... | ٣٥ |
| أقسام البدعة ... ... ... ... | ٣٦ |
| أنواع الأدلة ... ... ... ... | |
| الاستحسان... ... ... ... ... | ٣٧ |
| الرد على شبهة وردت على حديث كل بدعة ضلالة ... ... ... | ٣٨ |
| حول اسم الجلالة الله تعالى... ... | ٤٨ |
| نصائح عامة فى بعض أنواع السلوك والعقائد... ... ... ... ... | ٥٣ |
| بدع الطهارة ... ... ... ... | ٦٠ |
| بدع المساجد ... ... ... ... | ٦٨ |
| بدع الأذان ... ... ... ... | ٧٥ |
| بدع الجمعة ... ... ... ... | ٨٠ |
| بدع الجماعة وسننها ... ... ... | ٩٠ |
| صلاة المنفرد ... ... ... ... | ١٠١ |
| صلاة الرسول صلى الله عليه وسلم | ١٠١ |
| الصلاة وما طرأ عليها من البدع... | ١٠٦ |
| الصوم ... ... ... ... ... | ١١٩ |
| حول الزكاة ... ... ... ... | ١٢٧ |
| الحج ... ... ... ... ... ... | ١٢٩ |
| حول الأعياد ... ... ... ... | ١٣٧ |
| بدع المقابر... ... ... ... ... | ١٤٣ |
| بدع الجنائز وسننها ... ... ... | ١٥٥ |
| بدع المآتم وسننها ... ... ... | ١٦١ |
| بدع الموالد... ... ... ... ... | ١٦٤ |
| بدع الأفراح ... ... ... ... | ١٦٧ |
| بدع عاشوراء ... ... ... ... | ١٧٠ |
| مواسم نسبوها للشرع وليست منه | ١٧٢ |
| المواسم الأجنبية ... ... ... ... | ١٧٧ |
| أعياد محدثة (وطنية لا شرعية) ... | ١٧٧ |
| بدع الطرق ... ... ... ... | ١٧٨ |
| كلمة فى الخيبة لمن سألوا عنها ... | ١٨٢ |
| حكم الخمر فى كتاب الله ... ... | ١٨٨ |
| حكم الكهان والعرافين والمنجمين | ١٩٢ |
| هل قام الإسلام بالسيف ... ... | ١٩٤ |
| حول القرآن العظيم ... ... ... | ١٩٧ |





| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| حول الطلاق وتعدد الزوجات ... | ١٩٩ |
| زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من أربع ... ... ... | ٢٠٢ |
| القضاء والقدر ... ... ... ... | ٢٠٣ |
| حقائق عن الرسل ترهق أمامها الأباطيل ... ... ... ... | ٢١٠ |
| يوسف الصديق عليه السلام ... | ٢١١ |
| داود عليه السلام ... ... ... | ٢١٣ |
| موسى عليه السلام وملك الموت ... | ٢١٥ |
| الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعلمه بالقرآن قبل نزوله ... | ٢١٦ |
| الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرة زوجاته ... ... ... ... | ٢١٧ |
| الرسول صلى الله عليه وسلم ودعوة أن اليهود سحروه ... ... ... | ٢١٨ |
| فى حديث سحر منافق من أشرار اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم | ٢١٨ |
| حديث التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ... ... ... ... ... | ٢٢٢ |
| حديث الغرانيق المكذوب... ... | ٢٢٥ |
| الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ومسألة زيد وزينب أو إبطال التبنى ... ... ... ... ... | ٢٢٧ |
| أفعال العباد... ... ... ... ... | ٢٣٢ |
| الإسلام : دين ودولة - قضاء وسياسة - مصحف وسلاح - معاش ومعاد ... ... ... | ٢٣٦ |

جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية
http://www.zdnyilma.com/vb/


## • المؤلف فى كلمات •

- ولد فى ١٩١٥/٨/١ ، بقرية كوم حلين – منيا القمح شرقية .
- تعلم القراءة والكتابة وحفظ جزء ( عم ) فى كتاب القرية فى سن السابعة ، ودخل مدرسة « سنهوت » شرقية لمدة أربعة أعوام حفظ فيها القرآن كله مع إجادة بقية العلوم المدروسة بها .
- التحق بمعهد الزقازيق الدينى لمدة تسعة أعوام: ٤ ابتدائى و٥ ثانوى وكان فى سنى دراسته من الأوائل .
- التحق بكلية أصول الدين شعبة التفسير والحديث لمدة أربعة أعوام، نال منها العالية ثم التحق بقسم الدعوة ملحقاً بنفس الكلية وتخرج عام ١٩٤٤ وكان ترتيبه الأول على مستوى الجمهورية ، ونال العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد .
- وحسب المتبع أخذته الأوقاف إماماً وخطيباً ومدرساً لمدة عامين ، ثم دخل مسابقة الوعظ عام ١٩٤٧ فنجح بتفوق .
- وحسب نشاطه ترقى من واعظ إلى مراقب وعظ ، ثم وكيلا للدعوة على مستوى الجمهورية ، ثم مديراً للوعظ ( إلى الإحالة على المعاش ) .

تلك هى حياته الرسمية من الميلاد إلى المعاش .

- من نشاطه الخاص ، استدعته السعودية ٣ مرات ومنها مرة كأستاذ زائر جامعى لإلقاء محاضرات على رواد معهد الدعوة الإسلامية بالرياض ، وقد نال إعجاب الجميع حتى رجوه أن يمد مدة الإعارة ، وكذلك ذهب إلى الكويت بدعوة منهم ٣ مرات ، وكذلك عُمان حيث سلموه الإذاعة الموجهة فى إقليم ظفار ضد المتمردين ، وقد هدى الله الكثير وقدر المسئولون ذلك ، وذهب



إلى السودان ٣ مرات وإلى سوريا كواعظ عام لجميع مناطقها أيام الوحدة ، وكانت اللاذقية أشدها تأثراً حتى لما عاد إلى القاهرة قام الألوف بمظاهرات عارمة يطالبون بعودته .

- عمل فى حقل الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٢٧ م بإخلاص لله تعالى وينذر أن توجد مدينة أو قرية لم يزرها ويلقى فيها التوجيهات الإسلامية من الإسكندرية إلى أسوان ، ومن أسوان إلى بور سعيد ولله الحمد والمنة .
- أحبه أئمة الجمعية لله حباً يثيبهم الله عليه وبخاصة الإمامين : أمين وابنه يوسف خطاب ، ووصى الأخير ألا يصلى عليه الجنازة إلا شخص عبد اللطيف مشتهرى وكانت مفاجأة وقد أجمع علماء الجمعية وهم هيئتها الكبرى على انتخابه رئيساً عاماً وإماماً لأهل السنة ، وقد بذل ما فى وسعه من الجهد بالتعاون مع إخوته أعضاء الجمعية المخلصين حتى تضاعف المنضمون لها وكثرت مساجدها ومعاهدها الدينية ومرافقها الأخرى .
- أخرج للإسلام نحو اثنتى عشرة رسالة منها على سبيل المثل لا الحصر:

– مدرسة الصوم .
– هذه دعوتنا .
– أنت تسأل والإسلام يجيب .
– الدنيا مع الآخرة على طريق الإسلام .
– الإيمان والمؤمنون .
– سيد الشباب الحسين ( صلاح وجهاد ) .
– المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح .
– شريعة الله فى الصلاح والصلاة .
– رأى الدين والعقل والقانون فى تحديد الملكية .

● نشاطه فى الدعوة إلى الله تعالى :

بالإضافة إلى جهوده المسموعة والمرئية فى مجال الدعوة إلى الله تعالى وفق المنهاج السديد للكتاب والسنة واتباعاً لأمر الله وسيراً على منهاج رسوله الأكرم - صلى الله عليه وسلم - زود المكتبة الإسلامية بتاجه المبارك من الشرائط المسجلة على النحو التالى :

(١) ٢٥٠ شريطاً فى تفسير القرآن الكريم كله .

(٢) عشرات الأشرطة فى التفسير الموضوعى للقرآن الكريم .

(٣) عشرات الأشرطة فى قصص الأنبياء .

(٤) ٢٨ شريطاً فى الدار الآخرة .

إلى غير ذلك من النشاط الفعال فى مجال الدعوة إلى الله تعالى .

ولا زال فضيلته يمارس نشاطه فى الدعوة على الرغم من مرضه وتقدمه فى السن .

نفع الله الإسلام والمسلمين .

**وقد توفي الشيخ رحمه الله سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م رحمه الله رحمةً واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وجمعنا وإياه في جنات النعيم ، مع حبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .**

**جامعة الدرة المضية العالمية للعلوم العربية والإسلامية**

**http://www.zdnyilma.com/vb/**

رقم الإيداع : ١٩٨٨/٤٧٥٤

الترقيم الدولى : ٦ - ١٩٢ - ١٦٣ - ٩٧٧